القرآن دَعوة « نصْرانيّة »

(القسم الثاني: الفصل الرّابع - الفصل السّابع (ص 371 - 745)

The Qur'an is a "Nazaritic" Mission

(The second part: 4th chapter – The 7th chapter (pp. 371- 745)

يوسف درة الحداد

Professor Youssef Durrah al-Haddad

www.muhammadanism.org
September 21, 2004

الفصْل الرَّابع

الوثائق القرآنية على وحدة الدعوة
في القرآن و « النصرانية »

بحث أول : الوثائق **المكية** لانضمام محمد إلى « النصارى »

بحث ثانٍ : الوثائق **المكية** لقيام « النصارى » مع محمد بالدعوة القرآنية

بحث ثالث : الوثائق **المدنية** « لتنصّر » محمد والدعوة القرآنية

بحث رابع : الوثائق **المدنية** لإسلام « النصارى » مع محمد

تمهيد

المبادئ القرآنية لفهم ما تشابه من القرآن

إن القرآن نفسه يصرّح بالمتشابه فيه : « هو الذي أنزل عليك الكتاب : منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب، وأُخر متشابهات » . ويعلن أن هذا المتشابه قد لا يقوى على فهمه إلا الراسخون في العلم : « وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم، يقولون : آمنا به، كلٌّ (المحكم والمتشابه) من عند ربنا؛ وما يذكّر إلا أولو الألباب » (آل عمران 7). والواقع القرآني، بالإجماع، يدل على أن المتشابه فيه أكثر من المحكم.

تجاه هذا الواقع، لا بدَّ من استنباط بعض المبادئ منه ولا يصح تفسيره بدونها. وهذه **سبعة مبادئ** تساعد على تلاوة القرآن حقّ تلاوته، وفهمه حقّ فهمه.

المبدأ الأول : الإسلام هو دين موسى وعيسى ديناً واحداً

يصرّح القرآن عن الدين الذي يشرعه للعرب : « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً ـ والذي أوحينا إليك ـ وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه. كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ... وقلْ : آمنت بما أنزل الله من كتاب » (الشورى 13 و15).

فالدين الذي يشرعه القرآن للعرب، بواسطة محمد، هو دين موسى وعيسى ديناً واحداً. فإن ما كان عليه نوح وإبراهيم من دين، لم يبقَ له أثر إلا ما جاء في التوراة. فالدين هو دين موسى وعيسى بلا تفرقة، لا دين سواه في القرآن، وفي عرف القرآن.

والإيمان المطلوب هو الإيمان الذي جاء به أنبياء الكتاب كلهم، خصوصاً الإيمان « بما أوتي موسى وعيسى، وما أُوتي النبيّون من ربهم : لا نفرّق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون » (البقرة 136؛ قابل آل عمران 84). فالإسلام هو الإيمان بما أُوتي موسى وعيسى معاً بلا تفرقة.

وهذا الإسلام هو إسلام أولي العلم المقسطين (آل عمران 18) أي النصارى من بني إسرائيل، ومَن « تنصّر » معهم من العرب (الصف 14) : فلا هو « ملة إبراهيم » من فوق عيسى وموسى كما يحلو لبعضهم أن يقول؛ ولا هو ملة موسى وحدها كما يتوهم اليهود؛ ولا هو ملة عيسى وحدها كما يقول المسيحيون. إنه دين موسى وعيسى ديناً واحداً كما يقول « النصارى » والقرآن معهم. فلا يقول بإقامة التوراة والإنجيل معاً (المائدة 71)، كما ينادي القرآن، إلا هؤلاء « النصارى » ؛ إذ أن اليهود ينكرون المسيح والإنجيل؛ والمسيحيون يقيمون شرع الإنجيل من دون شريعة التوراة. فالإسلام هو دين موسى وعيسى ديناً واحداً، وهو دين القرآن (الشورى 13) وإسلام « النصارى » أولي العلم المقسطين (آل عمران 18).

*

المبدأ الثاني : « النصارى » في القرآن هم طائفة من بني إسرائيل آمنت بالمسيح

إن الشبهة الكبرى في القرآن والإسلام والتاريخ هي الترادف بين النصارى والمسيحيين؛ وبين النصرانية والمسيحية. بينما « النصرانية » و « النصارى » تعبير محدود في التاريخ وفي القرآن لا يصح إطلاقه على سواهم فنحرّف التاريخ والقرآن.

في التاريخ، قبل الإسلام، إن اسم « نصارى » و « نصرانية » لم يُطلق أبداً على المسيحيين والمسيحية، في جميع ديارهم، وفي كل تاريخهم. إنما هو اسم مخصوص بطائفة من بني إسرائيل آمنت بالمسيح، لكنها افترقت منذ مؤتمر

الرسل بأورشليم عام 49م فكان الشيعة النصرانية بالنسبة للسُنّة المسيحية، في العقيدة والشريعة.

وفي هجرة النصارى من بني إسرائيل إلى مكة والحجاز، شاع بين العرب إطلاق اسم « نصارى » على أهل الإنجيل جميعهم، لأن النصارى من بني إسرائيل احتكروا حقيقة الإنجيل وحقيقة عقيدته ودعوته بهم دون سواهم، كما نرى من لقب إمامهم الأخير بحيرى في بصرى : « وصيّ عيسى على دينه » كما تروي السيَر النبوية.

ومحمد نشأ في بيئة « نصرانية » ، والقرآن دعوة « نصرانية » ـ هذا ما يبرهن عليه هذا الكتاب ـ لذلك كان لا بدّ أن يرد **تعبير « نصارى » في القرآن متشابهاً :** فيرد كناية تارة عن النصارى من بني إسرائيل، وتارة عن جماعة أُخرى من أهل الإنجيل كوفد نجران إلى النبي العربي، وتارة عن أهل الإنجيل على الإطلاق في موضع الاختصاص. وكلها شبهات تحرّف معنى القرآن المقصود.

مع أن القرآن نفسه صريح في **صفة « النصارى » على التخصيص :** « فآمنت طائفة من بني إسرائيل، وكفرت طائفة » بالمسيح، في دعوة الرسل الحواريين (الصف 14). فالقرآن يقصر ويحصر اسم « نصارى » بطائفة من بني إسرائيل آمنت بالمسيح؛ فلا يقصد القرآن باسم « نصارى » على التخصيص المسيحيين من غير بني إسرائيل. وقد عرفهم علم الكلام والسيرة باسم « الفرقة الإسرائيلية » تجاه الفرق المسيحية التي وجدها الإسلام عند الفتوحات : الملكانية واليعقوبية والنسطورية.

وهذه الطائفة النصرانية الإسرائيلية يسميها القرآن، أيضاً « أمة من قوم موسى » : « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الأعراف 158) : فالهدى في أمة من قوم موسى، لا في أمة موسى كلها، ولا في أمة من غير قوم موسى. وهذا برهان قرآني على اعتقاد القرآن بهداية هذه « الأمة من قوم موسى » ، وعلى اعتماده لدعوتها، من دون سواها من الفرق المسيحية. وفي

الواقع نرى أن **موقف القرآن من المسيحية** على اختلاف فرقها هو موقف هذه الأمة من قوم موسى، أو هذه الطائفة من بني إسرائيل : فعقيدته في المسيح (النساء 170) عقيدتها؛ وإسلامه على دين موسى وعيسى ديناً واحداً (الشورى 13) إسلامها (الحج 78)؛ ودعوته لإقامة التوراة والإنجيل معاً (المائدة 71) دعوتها؛ فهو مثلها « أمة وسط » بين اليهودية والمسيحية (البقرة 143).

*

المبدأ الثالث : الإسلام قائم قبل القرآن، وقد أُمر محمد بالانضمام إلى أهله والدعوة له معهم

إن تعبير « الإسلام » متشابه أيضاً في القرآن: فهو يعني تارة التوحيد المطلق « أفغير دين الله يبتغون وله أسلم مَن في السماوات والأرض طوعاً وكرْهاً، وإليه يُرجعون » (آل عمران 83)؛ وتارة التوحيد المنزل الكتابي : « لا نفرق بين أحد من رسله، ونحن له مسلمون » (آل عمران 84)؛ وتارة إسلام النصارى من بني إسرائيل، أولي العلم المقسطين، الذين يشهدون مع الله وملائكته : « أن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران 18) في توحيد الله، وتوحيد كتابه، وتوحيد رسله، وتوحيد دينه.

وهذا الإسلام « النصراني » هو الإسلام القرآني، بنص القرآن القاطع في (آل عمران 18). وهو قائم قبل القرآن في مكة والحجاز : « هو سمّاكم المسلمين من قبلُ وفي هذا » القرآن (الحج 78). وقد أُمر محمد في رؤيا حراء أن ينضم إلى أهله ويكون من المسلمين : « وقد أمرتُ أن أكون من المسلمين، وأن أتلو القرآن » (النمل 90 ـ91) : فالمسلمون قائمون بمكة قبله وهو ينضم إليهم؛ ونعرف من (آل عمران 18) أنهم النصارى من بني إسرائيل، ومن « تنصّر » معهم من العرب بزعامة القس ورقة بن نوفل.

وإسلام النصارى من بني إسرائيل، أهل الكتاب المقسطين أو المحسنين، هو

الإسلام الذي يدعو إليه القرآن، فيمنع الجدال فيه مع أهله إلا بالحسنى، من دون أهل الكتاب الظالمين أي اليهود الذين يصح جدالهم بالسيف لظلمهم وكفرهم بالمسيح ثم بمحمد : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ـ إلا الذين ظلموا منهم ـ وقولوا آمنا بالذي أُنزل إلينا، وأنزل إليكم؛ وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون » (العنكبوت 46). فالجدال بالحسنى مع أهل الكتاب هو الأمر بالشهادة : إن الإله واحد، والتنزيل واحد، والإسلام واحد بين القرآن والنصارى، من دون اليهود.

فإسلام القرآن هو الإسلام « النصراني » على التخصيص. وأحكامه في العقيدة والشريعة والصوفية تصدر على هذا الأساس.

*

المبدأ الرابع : أهل التوحيد المنزل « أمة واحدة » ، خيرها « الأمة الوسط »

إن القرآن « أمة واحدة » في التوحيد المنزل مع أهل الكتاب؛ فهو يعدد أنبياء الكتاب من إبراهيم إلى موسى إلى عيسى، ويختم بقوله : « والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين : إن هذه أمتكم **أمة واحدة**, وأنا ربكم فاعبدونِ » (الأنبياء 91 -92).

لكن أهل الكتاب قطعوا أمرهم بينهم زبراً وأحزاباً : « ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون. وجعلنا ابن مريم وأمة آية، وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ... وأن أمتكم هذه **أمة واحدة**، وأنا ربكم فاتقونِ. فقطعوا أمرهم بينهم زبراً، كل حزب بما لديهم فرحون : **فذرهم في غمرتهم إلى حين** » (المؤمنون 50 -51). فأمة التوحيد الكتابي « أمة واحدة » بموسى وعيسى معاً، لكن اليهود والمسيحيين افترقوا زبراً وأحزاباً، كل حزب بما لديهم فرحون، فاستحقوا التهديد والإمهال « في غمرتهم إلى حين » . فإن الله قد هدى « من قوم موسى أمة » هي « طائفة من بني إسرائيل » آمنت بالمسيح وأمه آية للعالمين،

تؤمن بموسى وعيسى معاً ديناً واحداً، وتقيم أحكام التوراة والإنجيل معاً، هم النصارى من بني إسرائيل ومن « تنصّر » معهم من العرب قبل القرآن، فكانت أمة وسطاً بين اليهودية والمسيحية.

وجاء القرآن فبنى أمته على هذه الأمة الوسط في عقيدته وشريعته وصوفيته : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول شهيداً عليكم » (البقرة 143)، فكانت أمة محمد على مثال « النصارى » أمة وسطاً بين اليهودية والمسيحية. لذلك شرع لها : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ـ إلا الذين ظلموا منهم ـ وقولوا : آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون » (العنكبوت 46). فمع الذين ظلموا من أهل الكتاب لعدم إيمانهم بالمسيح ثم بمحمد يصح الجدال بغير الحسنى أي بالسيف؛ أمَّا مع أهل الكتاب المحسنين المقسطين، فلا يجوز جدال إلا بالحسنى، وهذه الحسنى هي الشهادة معهم بأن الإله واحد، والتنزيل واحد، والإسلام واحد. وهذه هي أمة القرآن وأمة « النصارى » . هذا هو القول الفصل، في فصل الخطاب، على وحدة الدعوة القرآنية والدعوة النصرانية، في « أمة واحدة » هي « الأمة الوسط » بين اليهودية والمسيحية، فكانت « خير أمة أخرجت للناس » .

*

المبدأ الخامس : عداوة اليهود والمشركين، ومودة « النصارى » للمسلمين

يصنّف القرآن موقف العرب والمستعربين من الدعوة القرآنية هكذا : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا: اليهود والذين أشركوا. ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى؛ ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً، وأنهم لا يستكبرون ... وذلك جزاء المحسنين » (المائدة 85 ـ 88).

ويصف القرآن موقفه من اليهود والنصارى بقوله : « يا أيها الذين آمنوا، لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء : بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين » (المائدة 54).

فالموقف بين إعلان مودة النصارى، وتحريم موالاة النصارى، متعارض متناقض، بحسب ظاهره، إذا أخذنا حرف « النصارى » بمعنى واحد في الآيتين (المائدة 54 و85). ولا يصح ذلك في محكم التنزيل : فإما أن تكون كلمة « النصارى » مبدلة من كلمة « المشركين » فتنسجم الآيتان لفظاً ومعنى وهذا هو الأظهر؛ وإما أن معنى النصارى في (الآية 54) غير معناها في (الآية 85) : ففي (الآية 85) النصارى هم النصارى من بني إسرائيل « المسلمين » الذين انضم إليهم بأمر الرؤيا؛ وفي (الآية 54) يقصد المسيحيين، لأنها من ظروف جدال القرآن مع وفد نجران المسيحي. لكن، لا أهل نجران، ولا المسيحيون في الحجاز والجزيرة والوا المشركين على الإسلام؛ وفي سورة المائدة لم نبلغ بعد إلى ملابسات سورة (التوبة) في غزوة تبوك إلى مشارف الشام حيث المسيحيون العرب.

هذا شاهد على المتشابه في تعبير القرآن. وإذا رددناه إلى محكم القرآن، فهو يقصد بالنصارى أهل المودة الذين يعلنون إسلامهم (المائدة 85 - 88) كما يظهر أيضاً من صفتهم « المحسنين » (88) أي النصارى من بني إسرائيل ومن « تنصّر » معهم من العرب. أما النصارى الذين يمنع موالاتهم فهم المسيحيون. وهكذا نخرج من مشكل المتشابه المتواتر بمدح النصارى حيناً، وذمهم حيناً، إلى التمييز بين النصارى من بني إسرائيل أهل المودة والأمة الوسط، وبين النصارى المسيحيين الذين يذرهم « في غفلتهم إلى حين » مثل اليهود (المؤمنون 51).

وهكذا فالقرآن مع النصارى من بني إسرائيل ومن « تنصّر » معهم من العرب « أمة وسط » بين اليهودية والمسيحية، في مكة وفي المدينة : فهم « المسلمون » (القلم 35) الذين أُمر أن يكون منهم (النمل 90) منذ رؤيا غار حراء.

*

المبدأ السادس : الدعوة القرآنية انتصار وتأييد للدعوة «النصرانية»

1) سر القرآن نراه، بمناسبة «الفتح القريب» في صلح الحديبية مع أهل مكة المشركين : «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق : لتدخلنّ المسجد الحرام ... فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً. هو الذي أرسل رسوله **بالهدى ودين الحق** ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً» (الفتح 27 - 28) ونعرف أن «الهدى» كناية عن التوراة، و «دين الحق» كناية عن دين الإنجيل؛ والجمع بينهما ديناً واحداً هو «النصرانية» وهو الدعوة القرآنية، كما ينص بتشريع دين موسى وعيسى ديناً واحداً للعرب (الشورى 13). فالله هو الذي أرسل رسوله بالإسلام «النصراني» القرآني ليظهره على الدين كله؛ وكفى بالله شهيداً في صلح الحديبية، «الفتح القريب» (18 و27) : فقد «وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجّل لكم هذه، وكف أيدي الناس عنكم، ولتكون آية للمؤمنين» (الفتح 20). فالنصر في الغزو والفتح آية من الله للمسلمين، في تأييد الإسلام «النصراني» القرآني، ضدّ المشركين.

2) وسر القرآن نجده في سورة (الصف)، وهي نشيد الحمد على فتح شمال الحجاز، في خيبر ووادي القرى وتيماء، حيث تمت تصفية اليهود من الحجاز، وهم كانوا **العدو الأول للمسلمين** يستغفلون المشركين للقضاء على الإسلام الطالع، أولاً بتأليب أحزاب مكة الذين فشلوا في غزوة الخندق، ثم في تأليب أعراب غطفان حول خيبر، الذين جمدهم زحف المسلمين على الشمال اليهودي، حيث بعض المسيحيين من عرب مثل قضاعة وسليح ومستعربين في وادي القرى.

وفي نشيد الحمد، يعلن انتصار الإسلام بقوله : «إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص» (4). ويبرّر ذلك بانحراف اليهود عن حقيقة الموسوية (5) وانحراف المسيحيين عن حقيقة الإنجيل (6) وكلا الفريقين «يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متمٌّ نوره ولو كره الكافرون. هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون»

(8 و9). فانتصار الإسلام القرآني على اليهودية المتآمرة في شمال الحجاز هو انتصار للإسلام « النصراني » نفسه. وهذا النصر من الله بشرى بفتح قريب لمكة (13).

ثم يكشف القرآن **عن سر دعوته** : « يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين : من أنصاري إلى الله؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله! فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة؛ **فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين** » (الصف 14). فأنصار الله من جماعة محمد مثل أنصار الله من الحواريين « النصارى » ـ نلاحظ ترجمة نصارى بأنصار ـ والنصارى الذين يؤيدهم القرآن هم من بني إسرائيل. فكانت الدعوة القرآنية **نصرة وانتصاراً لطائفة بني إسرائيل التي آمنت بالمسيح**، على « عدوها » من اليهودية في الجزيرة العربية. وعلى ضوء هذا التصريح يجب فهم القرآن كله : إن الدعوة القرآنية « تأييد » للدعوة « النصرانية » ؛ فالقرآن دعوة « نصرانية » .

3) وسر القرآن نجده أخيراً في نشيد النصر الذي يردد **للمرة الثالثة** بعد غزوة تبوك إلى مشارف الشام لتأديب المسيحيين العرب. فهو يدعو إلى قتال اليهود والمسيحيين « حتى يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (براءة 30) لأن اليهود يقولون: « عزيز ابن الله » ؛ والمسيحيون : « المسيح ابن الله » (31) وقد « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، والمسيح ابن مريم » (32). ويكرر ما قاله في سورة الصف : « يريدون أن يطفئوا[1] نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون : هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون » (التوبة 33 ـ 34). وهذا التكرار ثلاث مرات لشعار النصر على المشركين، ثم على اليهود، ثم على المسيحيين، في جزيرة العرب، **البرهان القاطع في سر الدعوة القرآنية وغايتها.**

---

(1) لاحظ اللمسة الخفية في تنقيح القرآن : في الصف : « ليطفئوا » ، وفي التوبة : « أن يطفئوا » ؛ كذلك في الصف : « متم نوره » ، وفي التوبة « أن يتم نوره » .

ففي العهد المدني الأول عمل على كسر شوكة المشركين العرب في فشل غزوة الخندق، وفي الفتح القريب بصلح الحديبية. وتفرغ في العهد المدني الثاني لتصفية اليهودية، ثم المسيحية، من الحجاز والجزيرة. وذلك ليظهر الإسلام ونبيه على الدين كله (الفتح 28؛ الصف 9؛ التوبة 34)، في تأييد « النصرانية » على « عدوهم » اليهودية (الصف 14) فالمسيحية (التوبة 34).

فالدعوة القرآنية انتصار وتأييد للدعوة « النصرانية » : فالقرآن دعوة « نصرانية » .

*

المبدأ السابع : ما بين التعميم والتخصيص في التعبير عن أهل الكتاب، في مصطلح القرآن.

في بيان العرب، من فنون المجاز المرسل استخدام العام والخاص بعضهما عن بعض، واستخدام الكل عن الجزء، والجزء عن الكل. وهذا ما يوقع الاشتباه في التعبير القرآني عن المترادفات الثلاثة : أهل الكتاب وأهل الذكر وأولي العلم، وهي **اصطلاحات ثلاثة لاسم واحد** : « وهناك آيات كثيرة نزلت في صدد أهل الكتاب والاستشهاد بهم على اعتبار أنهم أهل العلم والذكر والكتاب؛ وفي صدد موقفهم من الدعوة الإسلامية، ومجادلتهم ومناقشة عقائدهم وخلافاتهم[1] » . لذلك فمن يفسر تعبير « أولي العلم » أو « الراسخين في العلم » أو « العلم » على الإطلاق، لغةً لا بحسب اصطلاحه القرآني يضل ضلالاً بعيداً في تفسيره. وهذا **الاصطلاح الثلاثي** في القرآن يفهم من القرائن اللفظية والمعنوية المتواترة، الخاصة والعامة.

المثل الصارخ في الإعلان على « أن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران 18) : يشهد به، مع الله وملائكته، « أولو العلم قائماً بالقسط » ، « وما اختلف الذين

---

(1) محمد عزة دروزة : عصر النبي ص وبيئته قبل البعثة ص 97.

أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » (19). نعرف أن « أولي العلم » مرادف لأهل الكتاب، فهل هناك تناقض، أم أن الترادف غير قائم؟ لقد فسروا تعبير « أولي العلم » لغة، لرفع التعارض، وهذا لا يستقيم مع اصطلاح القرآن كله في الترادف المتواتر بين أهل الكتاب وأولي العلم. ونسوا القيد الموضوع لأولي العلم وهو « قائماً بالقسط » أي أولي العلم المقسطين، وهم النصارى من بني إسرائيل، من دون اليهود أولي العلم الظالمين (العنكبوت 46). لذلك « فالنصارى » هم الذين يشهدون مع الله وملائكته « إن الدين عند الله الإسلام » . أما « الذين أوتوا الكتاب » المخالفون فهم اليهود، لأنهم هم « الذين يقتلون النبيين بغير حق » ، وهم « يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس » أي يقتلون النصارى « أولي العلم قائماً بالقسط » لشهادتهم بالإسلام. فالقرائن تحدد معنى التعابير وتكشف عن المتشابه فيها. وعليه فالإسلام الذي يدعو إليه القرآن هو الإسلام « النصراني » الذي يذهب ضحيته بعض « النصارى » : فهو دعوة قائمة قبل القرآن، وما ظهرت الدعوة القرآنية إلا لتأييده « على عدوهم » من اليهود (الصف 14).

وآية (الصف 14) مع آية (آل عمران 18) تفسر معنى آيتين مكّيتين ضلّ المفسرون في فهمهما، فحرّفوا صورة القرآن المكي. الأولى : « أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل » (الشعراء 197)؛ فهي لا « تحتوي استشهاداً بعلماء بني إسرائيل »[1] على الإطلاق، بل بعلماء بني إسرائيل النصارى لأنهم وحدهم يشهدون للإسلام حتى الاستشهاد من دون اليهود (آل عمران 18 -19). والثانية : « شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » (الأحقاف 10)؛ فهي أيضاً لا « تحتوي صراحة شهادة واقعية من أحد بني إسرائيل على صحة الوحي القرآني ومطابقته لما بين أيديهم، وخبر إيمانه به » ، إنما هذا الشاهد من بني إسرائيل كان « نصرانياً » لأن النصارى من بني إسرائيل وحدهم يشهدون للإسلام القرآني

(1) قابل عزة دروزة : عصر النبي ص وبيئته قبل البعثة ص 103.

من دون اليهود الذين يكفرون بالمسيح الذي يشهد له القرآن؛ ويكفرون بالإسلام القرآني نفسه (آل عمران 19) لأنه إسلام النصارى من بني إسرائيل. وهكذا ليس في القرآن المكي من شهادة على إسلام بعض اليهود، ولا من استشهاد بهم، وهم منذ مطلع الدعوة القرآنية إلى آخرها « أول كافر به » .

وهذه القرائن تفسر لنا المعنى الخاص المقصود بالتعبير العام في قوله : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (الزمر 9) أي أهل الكتاب والمشركون (قابل البقرة 113 و119؛ يونس 89؛ الجاثية 17) : فاستخدام الآية (الزمر 9) لغة تحريف لمعنى القرآن. كذلك قوله : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » (فاطر 28) « فالعلماء » فيه تعبير اصطلاحي خاص، لا لغوي مطلق، يقصد أهل الكتاب بنوع عام (الزمر 9) والنصارى من أهل الكتاب بنوع خاص، لأنهم هم « عباد الرحمان ... الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً » (الفرقان 63 ـ 64)، « خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً » (آل عمران 199). كذلك أيضاً « الراسخون في العلم » الذين يؤمنون بالمحكم والمتشابه في القرآن على السواء (آل عمران 7) ليس تعبيراً لغوياً، إنما هو اصطلاح عام يُقصد به الخاص، وهو مرادف لأولي العلم المقسطين (آل عمران 17) أي النصارى من بني إسرائيل. إن مصطلح القرآن مفتاح لتفسيره السوي.

فعلى ضوء تلك المبادئ السبعة في فهم القرآن **نتدبّر الوثائق القرآنية** التي تشهد « بنصرانية » محمد والدعوة القرآنية، وإسلام النصارى من بني إسرائيل و « المتنصرين » معهم من العرب، في العهد المكي، فالعهد المدني.

* * *

بحث أول

الوثائق المكية لانضمام محمد إلى « النصارى »

هذه الوثائق القرآنية وما يليها تدل جملةً وتفصيلاً على « تنصّر » محمد، وعلى « نصرانية » الدعوة القرآنية. **والبرهان الاستقرائي** لا يتم إلا باستقراء التفاصيل كلها. لذلك لا يصح الحكم على صحة الاستدلالات والدلائل إلاّ من شهادتها الشاملة الكاملة؛ حينئذ نراها جامعة مانعة، بأسلوب تفسير القرآن بالقرآن.

ونعرف جيداً التحذير الواجب في هذا الموضوع من **شبهتين** : الأولى، ليس ما سبقه فقد سبّبه[1] ؛ الثانية، ليست وحدة في العقيدة أو الشريعة أو الطريقة نسبة سببية. لكن في الواقع القرآني تقوم التبعية والوحدة على **الانتساب المعلن الصريح** بين الدعوة القرآنية و« النصرانية ».

الوثيقة الأولى : من سورة القلم (68 / 2)[2]

في السورة الأولى، بحسب ترتيب النزول (العلق) جاء محمداً الأمر، في آيات خمس، بقراءة الكتاب المنزل من قبله (قابل الشورى 52). وفي السورة الثانية (القلم)، بعد مطلعها الذي تلا مباشرة سورة (العلق) تأتي هذه الآيات ربما من زمن متأخر نسبيّاً :

« أفنجعل المسلمين كالمجرمين ؟ ما بالكم كيف تحكمون	35 - 36
أم لكم كتاب فيه تدرسون ؟ إنّ لكم فيه لما تخيّرون !...	37 - 38
أم عندهم الغيب فهم يكتبون ؟ »	42

(1) باللاتينية يقولون : Post hoc, propter hoc
(2) الرقم الأول يدل على رقم المصحف، والثاني على رقم الترتيب في تاريخ النزول. وتشير أننا بحثنا بعض هذه الوثائق في الفصل السابق، ونعيد النظر فيها هنا لإكمال اللوحة وتتميم الشهادة.

لم ينزل من القرآن العربي سوى آيات معدودات. وليس مع محمد من المؤمنين به من العرب سوى أهل بيته : فمن هم هؤلاء « **المسلمون** » الذين يستعلي بهم على المشركين؟ ليسوا جزماً جماعة محمد التي لم تتكون بعد؛ إنهم « المسلمون » الذين أمر بأن ينضم إليهم في رؤيا الغار : « وأمرتُ أن أكون من المسلمين » (النمل 90)؛ وسيتضح لنا أنهم النصارى من بني إسرائيل ومَن « تنصر » معهم من العرب قبل محمد.

ويستعلي أيضاً على أهل مكة « **بالكتاب** » الذي يدرس فيه مع هؤلاء « المسلمين » النصارى. وهذه شهادة قرآنية على أن محمداً « درس » الكتاب مع أهله (الأنعام 105). وفي قوله : « أم عندهم الغيب فهم يكتبون » شهادة ثانية على أنه يكتب « **الغيب** » من كتاب هؤلاء النصارى « المسلمين » ؛ قابل (العنكبوت 46 و49) حيث القرآن « هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » ؛ وقابل (الأنعام 20؛ البقرة 146) حيث « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه (محمد والقرآن) كما يعرفون أبناءهم » .

*

الوثيقة الثانية : من سورة المزمل (73 / 3)

بعد الآيات العشر من فاتحة (العلق) و (القلم)، يستفتح القرآن السورة الثالثة بقوله:

« يا أيها المزمّل قم الليل إلا قليلاً ، نصفه ، أو انقص منه قليلا 1 - 2
أو زد عليه ؛ ورتّل **القرآن** ترتيلا : إنّا سنلقي عليك قولاً ثقيلا » 4 - 5

لدينا هنا وصف لقيام الليل للصلاة وترتيل كتاب الله فيه؛ ولدينا اسم الكتاب الذي يدعى محمد إلى ترتيله في هذه الصلة الليلية الطويلة. وهما قرينتان لمعرفة هذا « القرآن » .

إن قيام الليل بطوله أو بقسم كبير منه ليست عادة عربية، ولا يهودية؛

إنها عادة نصرانية رهبانية. تلك هي حالة الحياة التي عاشها محمد مع أستاذه القس ورقة. وقد مارسها معه بعض الصحابة في أول عهدهم، حتى صارت « نافلة » للنبي وحده. إنها عادة نصرانية كما يؤيد القرآن المدني ذلك بالنص القاطع : « أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل، وهم يسجدون » (آل عمران 113).

ولم ينزل من القرآن العربي حتى الآن سوى آيات معدودات : عشر من قبل في فاتحة (العلق) و (القلم)، وهذه الخمس التي تذكر « القرآن » عَلماً مشهوراً معروفاً؛ فما هو؟ لا يصح على الإطلاق أن يكون القرآن العربي الذي بدأ محمد يتلوه على العرب سرّاً في دار الأرقم مدى ثلاث سنوات تقريباً، كما تذكر السيرة. فلا شك أَنه « القرآن » الذي يتلوه أهل الكتاب الذين يصلي معهم في قيام الليل؛ فقرآنه العربي من عشرين آية تقريباً حتى الآن لا يستغرق مع الصلاة التلاوة « الليل إلا قليلاً، نصفه، أو أنقص منه قليلاً » .

« فالقرآن » المعروف المشهور على العلمية هو **قرآن الكتاب،** كما أشرنا سابقاً إلى عادة المسيحيين في بدء تلاوة كتاب الله حتى اليوم بقولهم « قرآن[1] من الإنجيل بحسب فلان ». وهذا الإعلان في مطلع التلاوة حمل القرآن العربي على تسمية قرآن الكتاب : « القرآن » . ونرى أن القرآن العربي **خبر متواصل** عن هذا « القرآن » ، لا نص « القرآن » نفسه.

وهكذا لدينا منذ مطلع الدعوة القرآنية الدليل الساطع على أن « القرآن » المذكور فيها ليس قرآن محمد، إنما هو قرآن « النصارى » الذين يصلي معهم. فمتى ذُكر « الكتاب » معرفاً، و « القرآن » مطلقاً، فهو يقصد كتاب النصارى، وقرآن النصارى منه، لأن قرآن محمد لم ينزل بعد، وأَمامه ثلاث وعشرون سنة. وإذا جمعنا وصف صلاة الليل بطولها (المزمل 1 - 5) إلى اسم المصلين،

---

(1) يقولون : « فصل شريف » : أما التعبير اليوناني τὸ ἀνάγνοσμα فيعني قراءة ، قرآناً ؛ وبالسريانية « قريانا » التي دخلت العربية، فصارت : قرآناً، القرآن.

« المسلمين » (القلم 35)، عرفنا أن « المسلمين » في القرآن العربي، قبل تكوين جماعة محمد، هم هؤلاء النصارى، وأن « الكتاب » كتابهم، و « القرآن » قرآنهم.

هذا هو البرهان القرآني الملموس، بنص القرآن العربي القاطع على « تنصّر » محمد، و « نصرانية » الدعوة القرآنية.

*

الوثيقة الثالثة : من سورة المدثّر (74 / 4)

يستفتح السورة بدعوة محمد إلى مباشرة الدعوة القرآنية : « يا أيها المدثّر، قمْ فأنذر » (1 - 2). هذا هو القول « الثقيل » الذي كان ينتظره (المزمل 5)، متجلبباً بجلباب المنتظرين وحي السماء، كما كان يفعل الأنبياء والأولياء والكهان.

وبعد مدة، في خلاف على عدد ملائكة سقر، نزل : « وما جعلنا عدَّتهم إلا فتنة للذين كفروا، ليستيقن الذين أوتوا الكتاب، ويزداد الذين آمنوا إيماناً، ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون » (31).

في هذه الآية نرى ثلاث فئات : « الذين كفروا » أي المشركين، وربما اليهود معهم؛ و « الذين أوتوا الكتاب » ؛ و « الذين آمنوا » بمحمد من العرب. وفي قوله « ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون » ، يجعل صلة وحدة بين الفريقين : « مضمون الآية يُلهم تقرير وجود توافق بين ما جاء في القرآن، وما عند أهل الكتاب. وهذا من استهداف استيقانهم بصحة الرسالة النبوية والتنزيل القرآني، وتقرير عدم وجود محل لارتيابهم فيه[1] » . فالآية دليل على تضامن بعض أهل الكتاب مع محمد في دعوته، وعلى موالاة محمد لهم فيها؛ وهؤلاء هم « المسلمون » من أهل الكتاب الذين ذكرهم (القلم 35) أي النصارى من بني إسرائيل، ومَن « تنصّر » معهم من العرب. فلا يقوم محمد وحده بالدعوة القرآنية، بل يقومون هم بها معه.

*

(1) دروزة : سيرة الرسول 1 : 297.

الوثيقة الرابعة : من سورة الأعلى (87 / 8)

« سبّح اسم ربك الأعلى	الذي خلق فسوّى	1 - 2
والذي قدَّر فهدى ...	فذكّر إن نفعت الذكرى ...	3 و9
إن هذا لفي الصحف الأولى	صحف إبراهيم وموسى »	18 - 19

لدينا هنا وثيقة صريحة على مصادر القرآن العربي، وعلى معنى نبوءة محمد، وعلى موضوع دعوته الأولى. فهذه الوثيقة، « فيها بالتالي تقرير **لوحدة الهدف والدعوة** بين القرآن والكتب السماوية الأولى ... وفيها تقرير تصديق القرآن لما تقدمه من كتب سماوية، مما ظلّ القرآن يردّده في مختلف أدوار التنزيل[1] » .

التصريح الأول في موضوع الدعوة : أنها للرب الأعلى الخالق؛ فهي تقوم باسم « الله أكبر » . **التصريح الثاني** : « الذي قدّر فهدى ... فذكر إِن نفعت الذكرى » (3 و9)، يدل على أن بعثة محمد كانت هداية له أولاً قبل غيره للإيمان بالكتاب والدعوة له (الشورى 52) فهي ليست وحياً جديداً؛ بل تذكير بالوحي القديم المنزل في الكتاب. وهذا هو **التصريح الثالث** : « إِن هذا لفي الصحف الأولى » . فمصدر الدعوة القرآنية هو « الصحف الأولى » بنوع عام، و « صحف إبراهيم وموسى » بنوع خاص. وهذا التعميم لإيلاف أهل التوحيد جميعاً بمكة والحجاز، هو تعميم بارع يقصد به التخصيص « بالمسلمين » الذين ذكرهم (القلم 35) أي النصارى من بني إسرائيل.

*

الوثيقة الخامسة : من سورة النجم (53 / 23)

« والنجم إذا هوى	ما ضلّ صاحبكم وما غوى	1 - 2
وما ينطق عن الهوى	إنْ هو إلا وحيٌ يوحى ...	3 - 4

(1) دروزة : سيرة الرسول 1 : 298.

« أم لم يُنبّأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفّى ؟ .. 36 - 37
فبأي آلاء ربك تتمارى ؟ هذا نذير من النذر الأولى ! » 55 - 56

في هذه السورة الوصف الأول لرؤيا حراء. والشهادة فيه أن موضوع الرؤيا لم يكن كتاباً منزلاً، بل « إن هو إلا وحي يوحى » (4). ونعرف من سورة (الشورى 51 -53) أن هذا الوحي كان هداية إلى الإيمان بالكتاب، والدعوة له بين العرب.

ثم نرى ردَّ السورة على مقاوم للدعوة. والرد عليه بأن الدعوة القرآنية « **نبأ بما في صحف موسى وإبراهيم** » . فهو يصفها بأنها « **نبأ** » ، **لا نبوءة؛** وموضوع النبإِ تبليغ « ما في صحف موسى وإبراهيم » ، فليست دعوة جديدة.

هذه هي الوثيقة الثانية الصريحة في مصادر القرآن العربي : إنها « صحف إبراهيم وموسى » ؛ وهذه كناية بارعة عن الكتاب والتوراة، لأن ما يُعرف عن إبراهيم هو ما ورد في التوراة. وضم « إبراهيم وموسى » براعة أخرى لإيلاف العرب واليهود للدعوة القرآنية في مطلعها.

وصفة محمد أنه « **نذير** » ، فلا يأخذ حتى الآن صفة نبي أو رسول. وهو نذير « **من النذر الأولى** » وهذا تعبير مرادف « **للصحف الأولى** » . بهذين التصريحين يعلن عن مصدر القرآن العربي وعن دعوته : إنها دعوة كتابية قديمة، لا دعوة جديدة.

*

الوثيقة السادسة : من سورة الأعراف (7 / 39)

« الأعراف » سورة متبعّضة، تجمع آيات من أزمنة مختلفة. وحديث « **النبي الأمي** » نظنه مقحماً من المدينة على قصة موسى من مكة، لذكره الأنصار بقوله « نصروه » (156). وإقحامه في سورة مكية تبيان لهدف الدعوة القرآنية منذ مكة. يقول (157 - 158) :

« قلْ : يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ...
فآمنـوا بالله ورسولـه ، النبي الأمي
الذي يؤمن بالله « وكلمته » لعلكم تهتدون
ومن قـوم موسى أمـة يهدون بالحق ، وبـه يعدلون » .

فـي هـاتين الآيتـين، شـهادات ثـلاث علـى انضـمام محمـد إلـى « النصـارى » والـدعوة بدعوتهم.

إن « النبي الأمي » تعبير اصطلاحي، لا لغوي، وهو نسبة إلـى « الأميين » الـذين لـيس لهم كتاب منزل (الجمعة 2). وتفسير صفة « الأمي » بحسب اللغـة افتـراء علـى القرآن وعلـى نبيّه؛ وتحريف لمعاني القرآن. وهنا يصف محمداً بأنه نبي ورسول، لكن حديث النبي الأمي من المدينة.

وحديث « النبي الأمي » يـأتي ردّاً علـى **اليهود** الـذين يجعلـون الفضـل لهـم فـي الهدايـة، حتى جعلوها من اسمهم وفعلهم : « **هدْنا** إليك » (155)؛ ليست « الحسنة » في الهداية لهم، بل للمتقين من العرب (155)، ثم « للذين يتّبعون الرسول النبي الأمي الـذي يجدونـه مكتوبـاً عنـدهم في التـوراة والإنجيـل » (156). إن الجمـع بـين « التـوراة والإنجيـل » دليـل علـى هويـة التـابعين والمتبوع معاً : فليسوا اليهود الـذين ينكرون الإنجيل، وهـو هنـا يـردّ علـيهم؛ وليسـوا المسـيحيين الذين لا يقيمون إلا شريعة الإنجيل؛ إنـهم إذن النصـارى مـن بنـي إسـرائيل. والشـهادة مزدوجـة : فهو يصرّح بأن هؤلاء النصارى يتبعون محمداً؛ **وأن محمداً يقوم بـدعوة واحـدة معهـم** فـي أمـة واحدة، مع « الذين آمنوا بـه وعزّروه ونصروه » (156) من العرب في مكـة والمدينـة. فالحسـنة في الهدى للمتقين من العرب و « للنصـارى » .

الشــهادة الثانيـة فـي إعــلان إيمـان النبـي الأمـي « بـالله وكلمتـه » . للتعبيـر قراءتــان : « كلماته » ، وليس فيها نكتة؛ أو « كلمته » وهو الصحيحة لأنها تنسجم مع النص كله، وتفيد ميزة إيمان محمد الذي يعلنه للناس جميعاً (157) في سياق

ردّه على اليهود. فالقرآن إيمان بالله والمسيح، كلمة الله؛ فهو دعوة « نصرانية » .

يتضح ذلك من الشهادة الثالثة : « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (158). هنا يصرّح بهوية مَن هم أهل « التوراة والإنجيل » الذين يتبعهم ويتبعونه : « أمة من قوم موسى » . فهو يستثني هذه الأمة المهدية الهادية من اليهود، فليسوا على اليهودية؛ إنما هم « أمة من قوم موسى يهدون بالحق » لإيمانهم مثل محمد بالله وكلمته؛ « وبه يعدلون » لإيمانهم بموسى وعيسى معاً، وإقامتهم شرع التوراة والإنجيل معاً : إنهم النصارى من بني إسرائيل، ومن « تنصّر » معهم من « المتقين » العرب. فهم وحدهم، من دون اليهود ولا المسيحيين، « يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل » .

وهذه **شهادة ضخمة** على وجود النصارى من بني إسرائيل في مكة والمدينة، وعلى **قيامهم بالدعوة القرآنية مع محمد** : « يهدون بالحق وبه يعدلون » بين اليهودية والمسيحية. فمحمد وجماعته « أمة واحدة » معهم، و « أمة وسط » كذلك. والنتيجة الحاسمة لهذه الشهادة الكبرى أن الدعوة القرآنية دعوة « نصرانية » .

*

الوثيقة السابعة : من سورة فاطر (40 / 42)

« إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً
ـ وإنْ من أمة إلا خلا فيها نذير 24
وإنْ يكذبوك فقد كذّب الذين من قبلهم
جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير 25
... كذلك إنما يخشى اللـه من عباده
العلماء ! إن الله عزيز غفور 28
إن الذين يتلون كتاب الله ، وأقاموا الصلاة
وأنفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانية يرجون تجارة لن تبور 29

والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق
مصدقاً لما بين يديه : إن الله بعباده لخبير بصير 31
ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا :
فمنهم ظالم لنفسه ؛ ومنهم مقتصد ؛
ومنهم سابق بالخيرات ، بإذن الله ؛
ذلك هو الفضل الكبير » 32

لا يزال القرآن يصف محمداً بأنه « بشير ونذير » ، كما خلا في كل أمة نذير (24)؛ وهذا التعليل القرآني ذو مغزى بعيد.

ثم يصف المكذبين بالدعوة القرآنية : مشركي مكة، واليهود الذين كذّبوا « بالكتاب المنير » الذي يميزه عن « البينات والزبر » أي الإنجيل، وهم يكذّبون بالقرآن. ويستثني من أهل الكتاب المكذبين به، « **العلماء** » الذين يخشون الله. وكم يخطئ من يفسّر تعبير « العلماء » بحسب اللغة، وهو اصطلاح مرادف « لأولي العلم » أي لأهل الكتاب. وبما أنه يستثني هؤلاء « العلماء » من أهل الكتاب المكذبين، فهو كناية عن « العلماء » المقسطين أي النصارى من بني إسرائيل؛ وهو كقوله : « أوَلم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل » (الشعراء 197)، الذين يصفهم بقوله : « قل : آمنوا به، أو لا تؤمنوا به؛ إن الذين أُوتوا العلم من قبله، إذا يتلى عليهم، يخرون للأذقان سجداً ... يبكون ويزيدهم خشوعاً » (الإسراء 109 -110)؛ فليسوا اليهود، ولا المسيحيين، إنما هم أهل المودة « الذين قالوا : إنا نصارى ... وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول ترى عينهم تفيض من الدمع، مما عرفوا من الحق؛ يقولون : ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » (المائدة 85 -86). **إن « العلماء » في اصطلاح القرآن هم « النصارى »** ، « أولو العلم » الذين يشيد بهم على الدوام : « يرفع الذين آمنوا منكم، والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة 11).

وهؤلاء « العلماء » النصارى يقومون بالدعوة القرآنية مع محمد، « يتلون

كتاب الله، وأقاموا الصلاة **وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية**[1] » (29). فهم ينفقون في سبيل المحتاجين من المؤمنين، وينفقون في سبيل الدعوة القرآنية : فهم يقومون مع محمد بدعوة واحدة، ويتحملون أعباءها المالية، « يرجون تجارة لن تبور » . وهذا شاهد على إسلامهم مع محمد، وعلى « نصرانية » محمد والدعوة القرآنية معهم.

وكما ميّز « العلماء » النصارى من أهل الكتاب، بتلك الحفاوة البالغة، يعود فيميزهم بالسياق بالخيرات. فهو يقسم ورثة الكتاب ـ ولا يقصد بقوله : « أورثنا الكتاب » أي القرآن بالخيرات (الجلالان)، لأنه لا يصف فريقاً من أهل القرآن في صحبته بأنه « ظالم لنفسه » ، بل التعبير خاص باليهود في اصطلاحه ـ يقسمهم إلى « ظالم لنفسه » أي اليهود؛ « ومنهم مقتصد » في إيمانه بالدعوة القرآنية، وهم المسيحيون الذين يقبلون بعضاً، وينكرون بعضاً؛ « ومنهم سابق بالخيرات » وهم « النصارى » ، « يضمون إلى العلم التعليم والإرشاد إلى العمل » (الجلالان)، « **ذلك هو الفضل الكبير** » للنصارى على الدعوة القرآنية (32)؛ وجزاؤهم « جنات عدن يدخلونها، يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير » (33).

فإن « العلماء » النصارى يقومون بالدعوة القرآنية مع محمد وينفقون في سبيلها؛ فهي دعوة « نصرانية » ، تدل على « تنصر » محمد.

*

---

(1) السيوطي : « أسباب نزول الآية 29 : أخرج عبد الغني بن سعيد الثقفي في تفسيره عن ابن عباس أن حصين بن الحرث بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي نزلت فيه » . إن صح ذلك فالآية دليل على أنه كان في بيت محمد من أبناء عمومته بني عبد المطلب « نصارى » يوآزرون محمداً في الدعوة.

الوثيقة الثامنة : من سورة الفرقان (25 -43)

« وعباد الرحمان الذين يمشون على الأرض هونا
وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاماً 63
والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما 64

والذين إذا ذَكروا بآيات ربهم
لم يخرّوا عليها صمّاً وعميانا 73
والذين يقولون : ربنا هبْ لنا من أزواجنا وذرياتنا
قرة أعين ! واجعلنا للمتقين إِماما » 74

جهل المفسرين، أو تجاهلهم، لمصطلح القرآن يحرف معنى تعابيره ويقلب شهادته.

فمن هم « **عباد الرحمان** » ؟ ليس هذا تعبيراً لغوياً، إنما هو اصطلاح يظهر معناه من أوصافهم الثلاث عشرة التي تعرّف بهم : منها أنهم « يبيتون لربهم سجداً وقياماً » (64)؛ وهو كقوله : « ليسوا سواءً : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » (آل عمران 113)، حيث يميّز هذه الأمة عن المسلمين، وعن اليهود. وقيام الليل للصلاة وترتيل آيات الله عادة نصرانية، لا يهودية ولا عربية. فإذا جُمعت آيات (الفرقان 64، والإسراء 109 -110، وآل عمران 110 -115) تجمّعت لدينا صورة « عباد الرحمان » كاملة، فأيقنا أنهم « النصارى » الذين يقومون مع محمد بالدعوة القرآنية و « لم يخروا عليها صماً وعمياناً » مثل المشركين واليهود.

فهؤلاء « النصارى » ، « عباد الرحمان » ، يطلبون إلى الله : « أجعلنا للمتقين إماماً (74). وتعبير « المتقين » اصطلاح كتابي إنجيلي عبر مع « النصارى » إلى القرآن، وهو يعني المؤمنين من الأمميين العرب بالدعوة القرآنية. ومتى عرفنا وحدة النصارى، أُولي العلم، والذين آمنوا، حيث « يرفع الله الذين آمنوا منكم،

والذين أوتوا العلم، درجات ›› (المجادلة 11) **أيقنا بأن ‹‹ النصارى ›› إمام المتقين من العرب المسلمين :** فالقرآن دعوة ‹‹ نصرانية ›› بنص القرآن القاطع في هذه الشهادة الصريحة. وفهمنا معنى الأمر لمحمد في رؤيا حراء : وأمرت أن أكون من المسلمين ›› النصارى (النمل 90) بأن **محمد كان ‹‹ نصرانياً ››** في سيرته وفي دعوته.

والقرآن يدعو إلى **عبادة ‹‹ الرحمان ››** بدعوة هؤلاء ‹‹ النصارى ›› : ‹‹ وإذا قيل لهم : اسجدوا للرحمان! ـ قالوا : وما الرحمان ›› ؟ ـ الرحمان هو الله الذي يعبده ‹‹ عباد الرحمان ›› ، أكرم خلق الله عليه تعالى، كما يتضح من أوصافهم الثلاثة عشر التي يشيد بها، ويجعلهم بها ‹‹ للمتقين إماماً ›› . فالدعوة إلى التوحيد الكتابي الإنجيلي في القرآن، باسم ‹‹ الرحمان الرحيم ›› هي دعوة ‹‹ نصرانية ›› ـ بالرغم من جذورها التلمودية ـ يتعاون فيها جماعة محمد و ‹‹ النصارى ›› متكافلين متضامنين، لفرضها على مكة والحجاز.

*

الوثيقة التاسعة : من سورة مريم (19 / 44)

‹‹ أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيّين
ومن ذرية آدم ، وممّن حملنا مع نوح
ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا
إذا تتلى عليهم آيات الرحمان خرّوا سجّداً وبكيّاً 58
فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة
واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيّاً ! 59
إلا مَن تاب وآمن وعمل صالحاً
فأولئك يدخلون الجنة ، ولا يظلمون شيّا 60

جنات عدن التي وعد الرحمان بها
بالغيب ، إنه كان وعده مأتيّاً ... 61

تلك الجنة التي نورث من عبادنا ، مَن كان تقيّاً 63

سورة مريم دستور إيمان « المسلمين » من العرب الذين حملوها معهم في هجرتهم إلى الحبشة يستجيرون بها عند النجاشي المسيحي من أذى المشركين. فهي إعلان صريح بإيمان القرآن « النصراني » .

وهي تقدم ذكر أنبياء النصارى : يحيى (1 - 14) ومريم التي كان لها كرامة فائقة عند الحبشة حتى اليوم (15 –20)، وعيسى ابنها (30 –33)، وإبراهيم (41 –50) وموسى (51 –53)؛ على ذكر غيرهم : إسماعيل (54 –55) وإدريس (56 –57). فهي تجمع ذكر موسى وعيسى، مع الإشعار بتفضيل عيسى، « آية للناس، ورحمة منا » ، والسلام عليه « يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً » . وهي تجمع « من ذرية إبراهيم وإسرائيل، وممن هدينا واجتبينا (من العرب)، إذا تتلى عليهم آيات الرحمان خرّوا سجداً وبكيّاً » : وهذا إشارة إلى وحدة النصارى من بني إسرائيل والعرب المؤمنين بالدعوة القرآنية (58) مع التنديد باليهود والمشركين، « الخلف » لإسرائيل وإسماعيل الذين « أضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات، فسوف يلقون غياً » (59).

وهؤلاء المؤمنون من بني إسرائيل وبني إسماعيل إيماناً واحداً، ينادون بالدعوة « للرحمان » (58) على مثال « عباد الرحمان » (61). ودعوتهم من « الغيب » (61)، فهم « عندهم الغيب فهم يكتبون » منه (القلم 42) « آيات الرحمان » ليتلوها على العرب (58) ليؤمنوا، فينالوا « الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً » من العرب (63) : وحدة في الأمة، ووحدة في الدعوة، ووحدة في الكتاب، « الغيب » ، بين جماعة من بني إسرائيل وجماعة من بني

إسماعيل، أي النصارى من بني إسرائيل وجماعة محمد من بني إسماعيل. إنها الوحدة القائمة في الأمة والدعوة القرآنية « النصرانية » .

هذا دستور إيمانهم إلى الحبشة. وعند جمع القرآن، لئلا يعلق بالأذهان، أن الدعوة في سورة مريم إعلان إيمان بالمسيحية، أقحموا عليها من المدينة ـ كما يشهد تغيير الروي ـ أولاً الإعلان بأن المسيح ليس « ولد الله، بل عبداً لـه » (34 ـ40)؛ ثم الحملة على الذين « قالوا : اتخذ الرحمان ولداً » (75 - 99). وهذا تمييز صريح **بأن الدعوة القرآنية « نصرانية » ، لا مسيحية**، في تكفير المشركين واليهود.

فجماعة محمد من بني إسماعيل، وجماعة « النصارى » من بني إسرائيل **فريق واحد في الأمة والدعوة والكتاب**، خير من فريق المشركين واليهود : « وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خيرٌ مقاماً، وأحسن ندياً (نادياً)! وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورئيّاً » (43 - 74)، « أحسن متاعاً ومالاً، وأحسن منظراً » (الجلالان).

« فنصرانية » القرآن، و « نصرانية » محمد قائمة صريحة؛ يدل عليها أيضاً استجارة أهل القرآن بالنجاشي.

*

الوثيقة العاشرة : من سورة طه (20 / 45)

« وكذلك أنزلناه قرآناً عربيّاً وصرفنا فيه من الوعيد
لعلهم يتقون أو يُحدث لهم ذكراً ... 113

واصبرْ على ما يقولون، وسبح بحمد ربك
قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
ومن آناء الليل فسبّح وأطراف النهار لعلك ترضى ... 130

وقالوا : لولا يأتينا بآية من ربه ؟
ـ أوَلم تأتهم بيّنة ما الصحف الأولى ! ... 133

قـلْ : كل متربص ! فتربصوا ، فستعلمون
مَن أصحاب الصراط السوي، ومَن اهتدى » 135

في هذه السورة التصريح بأن القرآن العربي هو تعريب قرآن الكتاب. يقول : « أنزلنا قرآناً عربياً » (113)؛ ويفسرها بقوله : « أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى » (133) : **فالقرآن بيان عربي لما في الكتاب**؛ وهذا برهان على صحة دعوته، فصحة دعوته تقوم على مطابقتها للكتاب الإمام. فهناك وحدة في الكتاب، ووحدة في الدعوة. « وقد تضمنت الآية تقرير أن التساوق والتوافق بين القرآن والكتب السماوية الأولى حجة قائمة وكافية على صحة الرسالة المحمدية والتنزيل القرآني؛ إلى **تقرير الوحدة بين القرآن وهذه الكتب**، بأسلوب آخر. وفي الآية دلالة على أن **العرب كانوا ملمين بما تناولته واحتوته الكتب السماوية الأولى**، كما كانوا ينظرون إلى أهلها **نظر الاعتماد والثقة**[1] » . فنحن بعيدون عن صورة الوثنية والشرك التي يصوّرونها زوراً وبهتاناً لأهل مكة والحجاز، بالإضافة إلى يمن الجزيرة وشمالها.

وبما أن الوحدة المذكورة الكتابيين، القرآن الأصلي والقرآن المعرَّب (الأحقاف 10)، ليست مع اليهود، وسنعلم أنها ليست مع المسيحيين، فهي مع النصارى من بني إسرائيل. يؤيّد ذلك حياة محمد كحياة رهبان النصارى : فالتسبيح بحمد الرب قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وآناء الليل وأطراف النهار، هي صلاة النصارى ورهبانهم؛ فلم يكن العرب يعرفونها، بل « أضاعوا الصلاة » (مريم 59)، ولم يكن اليهود يمارسون الصلاة إلاّ « بكرة وعشياً » فقط، وزاد رهبانهم الأسينيون في قمران « الصلاة الوسطى » عند الظهر؛ وكان رهبان المسيحيين يقسمون الصلوات إلى سبع، سوى القيام في منتصف الليل. **فصلاة محمد هي صلاة « النصارى »** ، مثل قسّهم ورقة في مكة : أفلا يكون « نصرانياً » ؟ ألا تكون دعوته « نصرانية » ؟

---

(1) دروزة : سيرة الرسول 1 : 300 .

وتعطينا السورة أيضاً صورة للمواقف المتقابلة في مكة : « كل متربّص » ! فمن جهة المتربصون بالدعوة : المشركون واليهود ـ ولا نقول المسيحيين بمكة، كما يظهر من الهجرة إلى الحبشة ـ ومن جهة « أصحاب الصراط السوي، ومَن اهتدى » (135). ونلاحظ دقة التعبير بين « أصحاب الصراط السوي » وبين « من اهتدى » إليه من العرب : فإن « أصحاب الصراط السوي » ليسوا في الأصل جماعة محمد الذين ينضمون إليهم؛ بل « المسلمين » الذين أُمر محمد نفسه بأن ينضم إليهم (النمل 90) أي النصارى من بني إسرائيل ومن « تنصر » معهم من العرب، قبل محمد وجماعته. فمحمد وجماعته « ممّن اهتدى » إلى « النصرانية » وأخذ يدعو بدعوتها في الدعوة القرآنية.

*

الوثيقة الحادية عشرة : من سورة الشعراء (26 / 47)

« طسم. تلك آيات الكتاب المبين	....	1 - 2
وما يأتيهم ذكر من الرحمان	محدث، إلا كانوا عنه معرضين	5
إن في ذلك لآية، وما كان أكثرهم مؤمنين	وإن ربك لهو العزيز الرحيم ...	8 - 9
وإنه لتنزيل رب العالمين	نزل به الروح الأمين	192-193
على قلبك لتكون من المنذرين	بلسان عربي مبين	194-195
وانه لفي زبر الأولين :		
أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل		196-197

في هذا الفصل شهادة أولى على انتسب القرآن إلى الكتاب الإمام، وشهادة ثانية على انتساب محمد إلى النصارى من بني إسرائيل.

إن « علماء بني إسرائيل » الذين ينتسب محمد إليهم ليسوا يهوداً، لأنهم كانوا « أول كافر به » . يؤيد ذلك إطلاق التعبير فيه، فكل بني إسرائيل يعلمونه؛ وهذا لا ينطبق على اليهود. وإطلاق التعبير والقرائن القرآنية كلها تعني أنهم

« من قومن موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الأعراف 158)، أي الطائفة من بني إسرائيل التي آمنت بالمسيح، وجاء القرآن تأييداً لها على اليهود، الطائفة التي كفرت به (الصف 14). **فهم النصارى من بني إسرائيل.** هذه وحدة الأمة.

وعلم « النصارى » بالقرآن شهادة لهم وآية على « أنه تنزيل رب العالمين » لأنه « في زبر الأولين » : فشهادتهم تنصب على المطابقة بين القرآن العربي والكتاب؛ وعلى **مصدر القرآن العربي** بأنه في « زبر الأولين » أي « كتبهم كالتوراة والإنجيل » (الجلالان). وعلمهم به يقوم على مصدرية أبوية : « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » (الأعراف 62؛ البقرة 146 ، بل « هو آيات بينات في صدور الذين أتوا العلم » (العنكبوت 48)، فهي معرفة مطلقة، برهان المصدر. فليس في القرآن العربي من تنزيل جديد لأنه « في زبر الأولين » . وصفة التنزيل في القرآن العربي تأتيه من أصله، « زبر الأولين » لأنه هو تعريب لها، « بلسان عربي مبين » ، فقد « أنزلناه قرآناً عربيّاً » (طه 113)؛ فالقرآن العربي تعريب القرآن الأصيل، لذلك هو منزل مثله، وليس فيه من جديد سوى اللسان العربي، بحسب قوله أيضاً : « ومن قبله كتاب موسى إِماماً ورحمة، وهذا كتاب مصدّق لساناً عربيّاً » (الأحقاف 12). ولو لم يكن كذلك فأنى لعلماء بني إسرائيل النصارى أن يعلموه؟ هل في وسعهم أن يطلعوا على سر التنزيل وطريقته؟ !

وهذا التصريح : « وإنه لتنزيل رب العالمين ... وإنه لفي زبر الأولين » ، يكشف لنا معنى قوله : « وإِنه لقرآن كريم، في كتاب مكنون » (الواقعة 77 ـ 78)، وقوله، « بل هو قرآن مجيد، في لوح محفوظ » (البروج 21 -22) : فلا يشير إلى كتاب مكنون في السماء، ولا إلى لوح محفوظ في العلاء لدى الله، بل إلى اللوح المحفوظ، والكتاب المكنون الذي فيه « زبر الأولين » ؛ والآية أن علماء بني إسرائيل يعلمون ذلك. هذه وحدة الدعوة، المبنية على وحدة الكتاب. **قال الأستاذ دروزة[1] :** إن الآية (أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل)

---

(1) سيرة الرسول 1 : 300.

« هي بسبيل الاحتجاج باعتراف بني إسرائيل بالقرآن على صحة وحي الله به - (تفصيلاً وتصديقاً) - كما أنها بسبيل تقرير التطابق والتساوق بينه وبين ما يعرفه علماء بني إسرائيل أولاً؛ وتقرير الاعتماد عليهم، والثقة بشهادتهم شهادة إيجابية ثانية. وهي تُلهم أن العرب كانوا يعتمدون عليهم ويثقون بهم، إذ أُريد إقامة الحجة عليهم (على العرب) باعتراف علمائهم بصحة التنزيل » . وبما أنه يكتفي لتأييد دعوته، عن كل معجزة، بشهادة « من عنده علم الكتاب » (الرعد 45) **فهذا دليل على أن دعوته « نصرانية »** ، ولولا ذلك لما شهدوا له؛ ودليل أيضاً على أنه « **نذير** » كما أنه « ما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون » (208).

ويفتتح السورة بقوله : « طسم. تلك آيات الكتاب المبين » ؛ فيظهر أن محمداً يتلو « آيات الكتاب المبين » الذي عرّبه ورقة بن نوفل، وقد « شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » (الأحقاف 10)، كما توحي به الإشارة « تلك » التي تدل على ما سبق، لا على ما يلحق؛ **ثم يأتي التعليق على التلاوة** بما يلي في سورة (الشعراء). فالقرآن العربي يميز بينه وبين « القرآن » الأصيل المطلق الذي يعلن منذ مطلع الدعوة على تلاوته في قيام الليل وترتيل آيات الله فيه (المزمل 1 - 4). وهذه ظاهرة قائمة متواترة فيه، وقد سها الناس عنها فخلطوا بين « القرآن » الأصيل، والقرآن العربي الذي هو « تصديق الذي بين يديه، وتفصيل الكتاب » (يونس 36) . ولما قام الإسلام العربي أمةً وديناً ودولةً، تركوا **«القرآن » المفصَّل**، واكتفوا بالقرآن العربي المفصِّل له؛ وظنوه « القرآن » على الإطلاق. مع أنه « في ليلة مباركة » ، هي « ليلة القدر » من « شهر رمضان » لم يوح إلى محمد إلا « أمراً من عندنا : إنا كنا مرسلين » (الدخان 5)، « وأمرت أن أكون من المسلمين » (النمل 90)، وما « تنزيل رب العالمين » في القرآن العربي، إلا من « زبر الأولين » : « أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى » ؟ !

فالسورة وثيقة خطيرة على وحدة القرآن العربي و « القرآن » الأصيل (النمل

1؛ الأحقاف 10)؛ وعلى وحدة الدعوة القرآنية و « النصرانية « التي يشهد بها « علماء بني إسرائيل » النصارى، الذين انضم محمد إليهم (النمل 90).

*

الوثيقة الثانية عشرة : من سورة النمل (27 / 48)

« طس. تلك آيات الكتاب وقرآن مبين
هـدى وبشرى للمؤمنين 1 - 2
الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة
وهم بالآخـرة ، هم يوقنون ... 3
وإنك لتلقّى القرآن من لدن حكيم عليم ... 7
إن هذا القرآن يقصّ على بني إسرائيل
أكثر الـذي هم فيه يختلفون ... 56
إنما أمرتُ أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها ،
وله كل شيء ؛ وأمرتُ أن أكون من المسلمين 91
وأن أتلو القرآن : فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه،
ومَن ضلَّ ... فقل : إنما أنا من المنذرين » 92

تصاريح هذه السورة من **مفاتيح الدعوة القرآنية** في ألغازها وأبعادها.

التصريح الأول الذي يكشف دعوة القرآن كلها قوله : « وأمرت أن أكون من المسلمين، وأن أتلو القرآن » (91) : فالمسلمون موجودون قبل محمد، وقد أُمر برؤيا حراء أن ينضم إليهم ويكون منهم، ويتلو « القرآن » معهم. وهذا هو **التصريح النهائي الأكبر « لنصرانية » محمد وقرآنه.** فنعرف أن « المسلمين » المذكورين هم النصارى من بني إسرائيل، ومن تنصر » معهم من العرب ـ من دون سائر أهل الكتاب (آل عمران 18؛ الصف 14) ـ فهم وحدهم يعتبرون

القرآن العربي، **توراةً وإنجيلاً لهم**، « **هدى وبشرى** للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، وهم بالآخرة هم يوقنون » .

التصريح الثاني : أن محمداً بانضمامه إلى النصارى « المسلمين » قد أمر أيضاً « أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها، وله كل شيء » (91). في هذه الآية، « رب مكة » ليس هبلاً، الممثل بصنمهم الأكبر؛ إنما هو الله تعالى نفسه؛ فلا يعقل أن يكون غير ذلك في الدعوة القرآنية، القائمة على الدعوة « النصرانية » (91). وهذا شاهد قرآني قائم على **صحة التوحيد في مكة والكعبة نفسها**، قبل محمد والقرآن. **وبربطه بين الأمرين**، الأمر بعبادة رب هذه البلدة، والأمر بالانضمام إلى المسلمين من قبله، يدل على أن عبادة الله الظاهرة في مكة **هي التوحيد « النصراني »** ، قبل الدعوة القرآنية، وقد قامت لفرض سيطرته عليها وعلى الحجاز كله (الصف 14). فالذين يتوهمون ويوهمون الناس بسيطرة الشرك على أهل مكة والكعبة، إنما هم معرضون، عن شهادة القرآن، ومغرضون.

التصريح الثالث، في هدف الدعوة القرآنية : « إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (56). إن « هذا القرآن » يحصر هدفه بخطاب بني إسرائيل في ما هم في يختلفون للسيطرة الدينية على مكة والحجاز. فخطابه محصور قبل الجميع ببني إسرائيل وخلافهم. وهم إنما اختلفوا إلى يهود ونصارى من بني إسرائيل بسبب المسيح والإنجيل : فآمن « النصارى » وكفر اليهود (الصف 14). فجاء القرآن العربي يؤيد « النصرانية » على اليهودية ببيان واجب الاعتقاد بالمسيح والإنجيل، وفرض ذلك على مكة والحجاز: وهذا تصريح جامع مانع يشهد « **بنصرانية** » **محمد ودعوته.**

التصريح الرابع، هو التمييز الصريح بين « القرآن » الأصيل والقرآن العربي : « تلك آيات الكتاب، وقرآن مبين، هدى وبشرى للمؤمنين » (1 -2). محمد يتلو « آيات الكتاب » ، ثم يفصلها في « قرآن مبين » هو القرآن العربي. وهذا القرآن الأصيل هو الذي أمر بانضمامه إلى « المسلمين » من قبله أن يتلوه معهم،

كما يصرح في السورة ذاتها (91)، وكما يشير منذ البدء بالأمر بتلاوته وترتيله مع أهله في قيام الليل (المزمل 1 -5). لذلك فالقرآن العربي، « تفصيل الكتاب » (يونس 36)، هو « هدى وبشرى للمؤمنين » أي، بحسب اصطلاحه المتواتر، توراة وإنجيل للمؤمنين المسلمين من قبله (النحل 102)، وهذه ميزة النصارى على أهل الكتاب كلهم، المؤمنين بموسى وعيسى معاً، « لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (البقرة 136)؛ وهذا هو الإسلام « النصراني » القرآني الذي يشرعه للعرب (الشورى 13)، كما يشهد به مع الله وملائكته، « أولو العلم قائماً بالقسط » (آل عمران 18).

وهو يميّز أيضاً بين « القرآن » الأصيل والقرآن العربي بتسميته « هذا القرآن » (56)؛ ووصفه بأنه « قرآن مبين » للكتاب المُعلَم (1)؟ والتقرير بأنك « لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » (6)؛ أخيراً بالأمر بتلاوته مع المسلمين من قبله (92) : أربع دلائل لا تترك مجالاً لريب في التمييز بين « القرآن » الأصيل والقرآن العربي؛ والتقرير بأن « القرآن » الأصيل موجود عند أهله، « المسلمين » النصارى الذين أُمر محمد بالانضمام إليهم وتلاوته معهم (91 -92). لذلك عندما يقول : « **وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم** » (6)، فهو لا يعني ملاك الوحي الذي رآه في غار حراء، بل حكيماً عليماً من « المسلمين » الذين انضم إليهم ويتلوه معهم (91 -92)، كما « شهد شاهد من بني إسرائيل **على مثله** » (الأحقاف 10)، وكما يستعلي هو نفسه « بدرسه » على أهل مكة (القلم 37). والقرآن العربي يأخذ اسم « القرآن » الأصيل لأنه « تفصيل الكتاب » (يونس 36)؛ لذلك يرادف بين قوله : « تلك آيات القرآن وكتاب مبين » (النحل 1)، وقوله : « تلك آيات الكتاب وقرآن مبين » (النمل 1). والقرآن الأصيل الذي يتلقاه من لدن « حكيم عليم » (النحل 6) هو « كتاب أُحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » (هود 1) : ألا يشير بذلك إلى « المثْل » النصراني (الأحقاف 10) الذي شهد محمد ترجمته بواسطة أستاذه القس ورقة بن نوفل، وقد سببت وفاته لمحمد محنة فتور الوحي والعزم على

الانتحار؟ وما محمد إلا نذير من المنذرين، على هذا يقتصر دوره : « فقل : إنما أنا من المنذرين » (92).

فتلك الوثيقة من سورة (النمل) تشهد شهادة قاطعة « بنصرانية » محمد، و« نصرانية » الدعوة القرآنية. وكل تفسير للقرآن العربي لا يعتمد على هذا التصريح : « **وأمرت أن أكون من المسلمين، وأن أتلو القرآن** » (91 -92)، لا يصل إلى تلاوته حق تلاوته، وإلى فهمه حق فهمه. فالقرآن العربي يفسر بعضه بعضاً، ويشهد بأن محمداً كان « نصرانياً » ، ودعا بالدعوة القرآنية إلى « النصرانية » (النحل 91 -92؛ الصف 14).

*

الوثيقة الثالثة عشرة : من سورة يونس (10 / 51)

« آلر. تلك آيات الكتاب الحكيم ... 1
وما كان هذا القرآن أن يُفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه
وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين 37
وقال موسى : يا قوم، إن كنتم آمنتم بالله
فعليه توكلوا، إن كنتم مسلمين ... 84
... حتى إذا أدركه الغرق قال : لا إله
إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، وأنا من المسلمين 90
فإن كنت في شك ممّا أنزلنا إليك
فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك : 95
لقد جاءك الحق من ربك، فلا تكوننَّ من الممترين
ولا تكوننَّ من الذين كذّبوا بآيات الله، فتكون من الخاسرين 96
... ولكنْ أعبد الله الذي يتوفّاكم
وأُمرت أن أكون من المؤمنين 104
وأنْ أقمْ وجهك للدين حنيفاً
ولا تكوننَّ من المشركين » 105

هذه الوثيقة القرآنية شهادة صريحة على انضمام محمد إلى النصارى من بني إسرائيل، اسماً وعقيدةً ودعوةً.

مطلع السورة يشير إلى تلاوة محمد « لآيات الكتاب الحكيم » ، وإلى تعليقه عليها بهذه السورة (1). فالكتاب الذي ينتسب إليه هو الكتاب المقدس الذي مع « بني إسرائيل » ، والذي يدعو إلى الإله« الذي آمنت به بنو إسرائيل » (90).

« بنو إسرائيل » في لغة القرآن، هم يهود ونصارى. وبما أن اليهود كانوا « أول كافر به » ، فهو يعني على التخصيص : النصارى من بني إسرائيل. فهم على التخصيص أيضاً « المؤمنون » ، وهم « المسلمون » . وهم ورثة الإيمان الحق، والإسلام الحق من نوح، إلى إبراهيم، إلى موسى، إلى عيسى، إلى محمد. لذلك يصف موسى قومه « بالمسلمين » (84)، وفرعون، حين أدركه الفرق « قال : لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، وأنا من المسلمين » (90).

والظاهرة الكبرى الأولى في هذه السورة أن القرآن يرادف بين الإيمان (104) والإسلام (84 و90) والدين الحنيف (105). فتلك التعابير الثلاثة مترادفة في اصطلاحه اسماً وعقيدة ودعوة. وكلها كناية عن إيمان وإسلام وحنيفية النصارى من بني إسرائيل. لذلك **فالدعوة الحنيفية** قبل القرآن كانت صيغة أولى من دعوة « النصارى » ؛ **والدعوة الإسلامية** قبل القرآن (الحج 78) كانت صيغة ثانية من دعوة « النصارى » ؛ وتأتي **الدعوة القرآنية** صيغة ثالثة من دعوة أولئك « النصارى » .

والظاهرة الكبرى الثانية أن محمداً قد أُمر بأن ينضم إلى هؤلاء « النصارى » ويدعو بدعوتهم : « وأمرت أن أكون من المؤمنين » (104) على طريقتهم الحنيفية : « وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ـ ولا تكونن من المشركين » (105)؛ أي « وأمرت أن أكون من المسلمين » (النمل 91) : فهؤلاء المؤمنون الحنفاء المسلمون **جماعة قائمة في مكة** قبل محمد والقرآن العربي، وهو يؤمر بالانضمام إليهم،

والدعوة بدعوتهم. فليس أصرح ولا أوضح من هذه الشهادة على انضمام محمد إلى الإسلام « النصراني » القائم بمكة قبله.

والبرهان الأول على انضمام محمد إلى النصارى من بني إسرائيل هو صلة القرآن العربي بالكتاب المقدس أمامه في الهدى والبيان : « وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله، ولكن تصديق الذي بين يديه، وتفصيل الكتاب » (37). فالقرآن العربي يصدّق ويفصل « **الذي بين يديه** » أي الكتاب المنزل قبله، لا كتاباً في السماء. فهو « تفصيل الكتاب » أي **قراءة عربية له**، يشرف عليها « **الذين يقرؤون الكتاب من قبلك** » (95)؛ لذلك فالقرآن العربي منزل، لأنه « تعريب » التنزيل أي « تفصيل الكتاب » (37).

والبرهان الثاني على انضمام محمد إلى الإسلام « النصراني » والدعوة له، اسماً وعقيدةً، هو في **تطمين النبي، عند شكه** من دينه وإيمانه وإسلامه في « تفصيل الكتاب » المسلَّم له، بواسطة « الذين يقرؤون الكتاب من قبلك : لقد جاءك الحق من ربك، فلا تكوننّ من الممترين، ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله، فتكون من الخاسرين » (95 ـ96). فما على محمد أن يشك في « تفصيل الكتاب » بالقرآن العربي، فقد أُمر برؤيا غار حراء أن يكون من « المسلمين » وأن يتلو قرآن الكتاب معهم (النحل 91 ـ92)، **فهم أساتذته من قبل الله**، الذين يقرؤون الكتاب من قبلك » (94)؛ فقد « **جعلنا منهم** (بني إسرائيل) أئمة يهدون بأمرنا » ، « فلا تكن في مرية من لقائه » (السجدة 23 ـ24). فهو يتلو « آيات الكتاب الحكيم » ثم يعلّق عليها تعليقاً صحيحاً وتفصيلاً صحيحاً، بشهادة هؤلاء الأئمة الذين يهدون بأمر الله إلى القراءة العربية لكتاب الله، القرآن الأصيل.

وقد أجمل دروزة[1] الموقف بقوله : « وقد تضمنت الآية (94) استشهادا أهل

---

(1) سيرة الرسول 1 : 301.

الكتاب به - (وبالحري إحالته على أهل الكتاب للاستشهاد بهم) - والمتبادر أنه ينطوي في هذا تقرير استعداد أهل الكتاب للشهادة بصحة التنزيل القرآني؛ كما ينطوي فيه **تقرير طبيعية الوحدة والتساوق** بين القرآن والكتب السماوية أولاً، **والاعتماد على أهل الكتاب بالشهادة الإيجابية** ثانياً » . لكن يجب التخصيص في مظهر التعميم، لأن الإله الذي يدعو إليه هو « الذي آمنت به بنو إسرائيل » (90)، لا اليهود « أول كافر به » ، بل النصارى من بني إسرائيل. وهذه الإحالة القرآنية على النصارى من بني إسرائيل، « الذين يقرؤون الكتاب من قبلك » (95) إعلان واضح **بانضمام محمد إلى هؤلاء النصارى** (104)، والدعوة معهم إلى الإسلام « النصراني » ، الذي يسميه بتعبيرين آخرين، الإسلام حصراً، أو الدين الحنيف (105). لذلك جاء القرآن العربي قراءة عربية للكتاب، على طريقة النصارى من بني إسرائيل، « تصديق الذي بين يديه، وتفصيل الكتاب » (37). والسورة شهادة صريحة على انضمام محمد إلى أولئك النصارى : « وأُمرت أن أكون من المؤمنين » (104)، أي « وأُمرت أن أكون من المسلمين » (النمل 91)، وهما في لغته اصطلاح متواتر، كناية عن النصارى من بني إسرائيل.

*

الوثيقة الرابعة عشرة : من سورة هود (11 / 42)

1 « آلر. كتاب أحكمت آياته ثم فصّلت من لدن **حكيم خبير** ...
فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ،
14 وأن لا إله إلا هو ، فهل أنتم مسلمون ؟
أفمن كان على بيّنة من ربه - ويتلوه
شاهد منه، ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة -
أولئك يؤمنون به ؛
ومَن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده

فلا تك في مرية منه : إنه الحق من
ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ... 18
فلا تك في مرية ممَّا يعبد هؤلاء
ما يعبد هؤلاء إلاّ كما يعبد آباؤهم من قبل 110
فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ›› 112

في سورة (هود) جواب على الشك الذي ساور محمداً في صحة التنزيل القرآني العربي، في السورة السابقة (يونس 95) : إن القرآن العربي ‹‹ تفصيل الكتاب ›› (يونس 38)؛ فكتاب الله ‹‹ كتاب أُحكمت آياته، ثم فصلت (إلى العربية) من لدن حكيم خبير ›› (1).

والسوآل الأكبر هو : من يفصّل كتاب الله لمحمد؟

يصفه أنه ‹‹ حكيم خبير ›› (1)؛ ثم ‹‹ شاهد منه ›› تعالى (18). ويصرّح بأنه ‹‹ **أُنزل بعلم الله** ›› (14)، فيظل السر محفوظاً في ضمير محمد. لكن الإشارات تدل على أنه ‹‹ يتلوه شاهد منه ›› تعالى، ‹‹ ممن كان على بيّنة من ربه ›› (18)؛ الذين ‹‹ يؤمنون به ›› من قبله (18)؛ وهو كقوله : ‹‹ **وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله** ›› (الأحقاف 10) ـ ونعرف أن بني إسرائيل الذين يشهدون للدعوة القرآنية هم ‹‹ النصارى ›› ، لا اليهود، ‹‹ أول كافر به ›› ـ فالشاهد ‹‹ النصراني ›› هو الذي عنده ‹‹ مثل ›› القرآن العربي؛ وهو الذي يفصله بالعربية إلى محمد : فهو ‹‹ الحكيم الخبير ›› . يؤيد ذلك إحالة محمد على ‹‹ الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ›› (يونس 95)؛ فهم ‹‹ من كان على بيّنة من ربه ... أولئك يؤمنون به ›› (هود 18)؛ وإيمانهم بالقرآن هو إيمان من يعرفه معرفة مصدرية، كمعرفة الأب لابنه : ‹‹ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ›› (الأنعام 20؛ الفقرة 146)؛ فهم يهدون محمداً بأمر الله إلى الكتاب الإمام، بواسطة ‹‹ المثْل ›› الذي يفصله ‹‹ حكيم خبير ›› منهم لمحمد : ‹‹ ولقد آتينا موسى

الكتاب، فلا تكن في مرية من لقائه، وجعلناه هدى لبني إسرائيل، **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا** » (السجدة 23) : فما على محمد أن يكون في مرية من لقاء الكتاب الإمام في تفصيله العربي بواسطة « حكيم خبير » منهم، هو « شاهد منه » تعالى، فقد « جعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا » - فهذه القرائن كلها مجتمعة دلائل جامعة مانعة على أن « الحكيم الخبير » الذي يفصّل كتاب الله إلى القرآن العربي هو « شاهد من بني إسرائيل » النصارى (الأحقاف 10). ولا يرد عليه بالآية : « لسان الذي يلحدون إليه أعجمي، وهذا لسان عربي مبين » (النحل 103)، فهو غير هذا الأعجمي الذي يظنونه؛ إنه « شاهد من بني إسرائيل » النصارى (الأحقاف 10؛ هود 18) يعرف اللغتين معرفة كاملة، كما يعرفها قس مكة، ورقة بن نوفل، أستاذ محمد، الذي كان محمد بصحبته وهو ينقل الإنجيل « النصراني » بحرفه العبراني إلى العربية.

يؤيد ذلك أيضاً **شك محمد** في صحة التنزيل القرآني (يونس 95). **فلو كان من جبريل مباشرة، لما صح هذا الشك**؛ فدور جبريل (البقرة 97)، روح القدس (النحل 102) قد اقتصر على رؤيا غار حراء (الشورى 52) في ليلة مباركة (الدخان 3) هي ليلة القدر (القدر 1) من شهر رمضان (البقرة 185)، حيث « أمرت أن أكون من المؤمنين » (يونس 104)، أي « أمرت أن أكون من المسلمين » (النمل 91). فالتوكيد مرتين متفاوتتين : « فلا تك في مرية منه » (هود 18)، فلا تكن في مرية من لقائه » (السجدة 23) برهان على قيام الشك في نفس محمد من صحة التنزيل في القرآن العربي؛ لذلك كانت تنهال عليه الأوامر بعدم الشك في ذلك، لأن « تفصيل الكتاب » هو تنزيل؛ والأوامر بالاكتفاء بشهادة النصارى من بني إسرائيل على صحة دعوته (الرعد 45) لأن عندهم « مثل » القرآن؛ والأوامر بالرجوع دائماً إلى « الذين يقرؤن الكتاب من قبلك » (يونس 95)؛ فالقرآن العربي نفسه « هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » أي النصارى (العنكبوت 49)، وهم « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » (الأنعام 20؛ البقرة 146).

والسورة تعطينا تحديداً دقيقاً لحقيقة القرآن العربي : « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » (هود 1)؛ أي أنه « **تفصيل الكتاب** » (يونس 37)، لا كتاب جديد. وتفصيل التنزيل تنزيل، في عرفه، وفي عرفهم: فالقرآن العربي هو « تنزيل رب العالمين » لأنه « في زبر الأولين : أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل » من النصارى (الشعراء 193 -197). و « تفصيل الكتاب » لا يكون تنزيلاً مفترى، لذلك يتحداهم « بعشر سور مثله مفتريات » (هود 13).

وهذا التنزيل القرآني في « تفصيل الكتاب » يصفه بهذا التعبير الغامض : « أُنزل بعلم الله » (هود 14)؛ وهو تعبير ينطوي على سر يحتفظ به، لأنه يصرّح « ولا أعلم الغيب » (هود 31). لكن القرائن المتواترة المتوافرة تدل عليه : إنه ترجمة « المثل » الذي يشهد به الشاهد النصراني من بني إسرائيل (الأحقاف 10؛ هود 18). وصحة « المثل » النصراني تقوم على أنها قرآن الكتاب الإمام بلغة أخرى : ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة، وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً » (الأحقاف 12؛ هود 17).

فالسورة شهادة قائمة على انضمام محمد إلى النصارى من بني إسرائيل، والدعوة بدعوتهم، كما يأتيه الأمر مجدداً : « **فاستقم كما أمرت، ومن تاب معك** » (112) : فبعثته ودعوته هما « توبة » إلى « النصرانية » ! وهو يسمي « من تاب معك » ، بحسب اصطلاح أهل الكتاب في هداية الأميين : « المتقين » كما يسمي جماعته بتواتر؛ وعباد الرحمان، النصارى من بني إسرائيل، كانوا « للمتقين إماماً » (الفرقان 74).

والسورة تمثل لنا أهل الدعوة القرآنية، النصارى من بني إسرائيل « ومن تاب معك » من العرب المتنصرين مثل محمد؛ وخصومها « الأحزاب » أي المشركين العرب واليهود من وراء ستار؛ ولا يدخل المسيحيون في هذه الأحزاب، لأن

جماعة محمد كانوا حينئذٍ بالحبشة في حماية النجاشي المسيحي، وفي آخر العهد بمكة يستبشرون بنصر الله للروم على الفرس.

*

الوثيقة الخامسة عشرة : من سورة يوسف (12 / 15)

« آلر . تلك آيات الكتاب المبين :
إنا أنزلناه قرآنـاً عربيّاً لعلكم تعقلون ... 1 - 2

قلْ : هذه سبيلي، أدعو إلى الله على بصيرة، وأنا ومَن اتبعني
وسبحان الله ، وما أنـا من المشركين 108

ما كان حديثاً يُفترى، ولكن تصديق الذي بين يديه
وتفصيل كل شيء، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون **111**

في تصريح أول : « تلك آيات الكتاب المبين : إنا أنزلناه قرآناً عربياً » يكرر ما قاله في (هود 1) بصيغة أخرى : « كتاب أحكمت آياته، ثم فصلت من لدن حكيم خبير » ؛ إن « تفصيل الكتاب » يصفه بتعبير آخر : « إنا أنزلناه قرآناً عربياً » ، **فالتنزيل والتفصيل هما في اصطلاحه شيء واحد.** أن محمداً يتلو « آيات الكتاب المبين » كما يشير في مطلع التعليق عليها بالقرآن العربي بقوله : « تلك » وتلي السورة تعليقاً عليها. ففي (هود 1، يوسف 1 – 2) الإعلان النهائي بأن القرآن العربي هو تعريب الكتاب الإمام، بواسطة « المثل » الذي عند الشاهد من بني إسرائيل (الأحقاف 10)، « من عنده علم الكتاب » (الرعد 45). إن آيات الكتاب المبين صارت قرآناً عربيّاً، بواسطة « حكيم خبير » .

وفي تصريح ثانٍ يسمي **تنزيل** القرآن العربي أي « **تفصيل** الكتاب » « **حديثاً** » ؛ فهي ثلاثة تعابير مترادفة. ويقول ردّاً عليهم : « ما كان حديثاً يُفترى، ولكن تصديق الذي بين يديه (قبله) **وتفصيل كل شيء** » (111)، وهو مثل قوله في السورة السابقة : « تصديق الذي بين يديه، **وتفصيل الكتاب** »

(يونس 37)، مع تعريف أشمل، إذ القرآن العربي « بينات من الهدى والفرقان » الذي يفصّل قرآن الكتاب (البقرة 185).

وفي تصريح ثالث : « قلْ هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة » (108) يعلن أنه يدعو إلى الله بالقرآن العربي الذي هو « حديث » عن كتاب الله. ولا يقوم بالدعوة وحده، بل « أَنا ومَن اتبعني » .

وهذه كلها قرائن دلائل على أن محمداً انضم إلى النصارى من بني إسرائيل والمتنصرين معهم من العرب، ودعا بدعوتهم، وبحسب طريقتهم، على مثال أستاذه ورقة بن نوفل، قس مكة « النصراني » .

*

الوثيقة السادسة عشرة : من سورة الحجر (15 / 54)

« آلر . تلك آيات الكتاب **وقرآن** مبين ...	**1**
ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ...	**87**
كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا **القرآن** عضين ...	90 - 91
فاصدعْ بما تؤمر واعرض عن المشركين. إنا كفيناك المستهزئين ...	95 - 96
فسبح بحمد ربك، وكنْ من الساجدين »	98

هذه الوثيقة تشهد أن « الكتاب وقرآن مبين » هما اثنان، حيث القرآن العربي « يبين »، أو كما قال سابقاً « يفصّل » الكتاب الإمام.

ونلاحظ هنا أنه يسمّي الكتاب « **القرآن** » على التعريف المطلق، بخلاف القرآن العربي، « **قرآن** مبين » وذلك في قوله : « كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين » (90 -91). لقد اختلفوا في تفسير « المقتسمين » ، مع أن في الآية قرينة تدل عليهم : « كما أنزلنا » ، فالتنزيل قبل محمد كان على أهل الكتاب؛ فأهل الكتاب هم « المقتسمون » الذين « جعلوا القرآن ـ الكتاب ـ عضين » أي أجزاءً. قال الجلالان : « جعلوا كتبهم المنزلة عليهم أجزاءً، حيث

آمنوا ببعض وكفروا ببعض » . فهو يقصد اليهود « المقتسمين » المنشقين عن النصارى الذين « يتلون الكتاب حقَّ تلاوته » مع محمد (البقرة 121) هكذا يتضح لنا هنا أن **« القرآن » على الإطلاق هو الكتاب المقدس؛** وقد سُمّي القرآن العربي قرآناً على التبعية، لأنه « تفصيل الكتاب » .

لذلك يسمّي « القرآن » على الإطلاق والعلمية « القرآن العظيم » : « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني، والقرآن العظيم » (87). ففي القرآن العربي أُوتي « القرآن العظيم » مع « سبع من المثاني » . وقد اختلفوا في تفسير « سبع من المثاني » ، فقال بعضهم : إنها سورة الفاتحة بآياتها السبع. وفاتهم أن الفاتحة هي من القرآن العربي، نزل قسم منها في مكة، وقسم في المدينة؛ فلا تتميز عنه. ونحن نرى أن القرآن العربي تفصيل « القرآن العظيم » مع سبع قصص فيه من « المثاني » أي « المشنة » في التلمود. وآية (الحجر 87) هي مثل قوله : « بينات من الهدى والفرقان » (البقرة 185) أي فرقان الكتاب الذي يفصله القصص التلمودي - ولا ننس أن النصارى من بني إسرائيل كانوا يقيمون التوراة والإنجيل.

ويأتيه الأمر : « فاصدعْ بما تؤمر، واعرضْ عن المشركين؛ إنّا كفيناك المستهزئين » (95 ـ96)، حيث يميز بين المشركين والمستهزئين؛ فهؤلاء هم « المقتسمون » أي اليهود المخالفون الذين ذكرهم في الآية السابقة (90). فاليهود والمشركون هم « الأحزاب » الذين ذكرهم في السورة السابقة (هود 18). فهؤلاء جميعاً لست منهم في شيء، « فسبّح بحمد ربك وكن من الساجدين » (98) الذين « يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » أي « النصارى » . فالشهادة صريحة بانضمام محمد إلى « النصارى » والدعوة بدعوتهم. وقد حان الوقت للجهر بهذه الدعوة : « فاصدع بما تؤمر » .

*

الوثيقة السابعة عشرة : من سورة الأنعام (6 / 55)

« قلْ : إِني أمرتُ أن أكون **أول من أسلم** ... 14
الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم. 20
أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحُكم والنبوة؛
- فإن يكفر بها هؤلاء، فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين - 89
أولئك الذين هدى الله، فبهداهم اقتدهْ ... 90
وهذا كتاب أنزلناه، مبارك، مصدّق الذي بين يديه
ولتنذر أمّ القرى ومَن حولها 92
وكذلك نصرّف الآيات! - وليقولوا : درست!
- ولنبيّنه لقوم يعلمون ... 105
والذين آتيناهم الكتاب يعلمون
أنه منزل من ربك بالحق، فلا تكوننَّ من الممترين 114
وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً
لا مبدّل لكلماته، وهو السميع العليم ... 115
... أن تقولوا : إنما أنزل الكتاب على طائفتين
من قبلنا، وإن كنّا عن دراستهم لغافلين 156
قلْ : إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين 163
بذلك أمرتُ، **وأنا أوّل المسلمين** 164

في هذه السورة **إعلان جديد** : « قلْ : إنـي أُمرت أن أكـون **أول** مَن أسلم » (14). فقد جاءه الأمر الأول « وأمرت أن أكون من المسلمين » (النمل 91) الموجودين قبله؛ والآن يُؤمر بأن يكون « أول من أسلم » : فهذه الأولية ليست زمانية ومكانية؛ إنما هي **أولية شرفية رئاسية**؛ لقد أصبح **محمد رئيس**

النصارى بمكة، خليفة لنسيبه وأستاذه ورقة بن نوفل، قس مكة، وربما للإمام الأكبر بحيرى في بصرى. لقد توفّيا، فاستلم محمد رئاسة « النصارى » وأعلن : « بذلك أمرتُ، وأنا أول المسلمين » . وهذا حدث عظيم في سيرة محمد. ولا يتسلّم السلطة « النصرانية » العليا أحد، إلا بعد إعلان إيمانه، وهذا ما يفعله النبي العربي هنا : « قلْ : إن صلاتي ونسكي، ومحياي ومماتي، لله رب العالمين » (163)؛ إنه الإعلان القانوني للإخلاص في الإيمان عند استلام السلطة، كما هي العادة إلى اليوم في رسامة القسوس والأساقفة.

ومن مظاهر رئاسة محمد « للنصرانية » بمكة :

أولاً الأمر بالإقتداء بهداهم : « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ... أولئك الذي هدى الله فبهداهم اقتدهْ » (89 –90). أخذ لفظ « الحكم » بحرفه العبري الآرامي، أي الحكمة. والحكمة، في اصطلاحه الخاص، كناية عن الإنجيل (الزخرف 63). فكما علّم الله المسيح « الكتاب والحكمة، والتوراة والإنجيل » (آل عمران 48؛ المائدة 113)، على محمد أن يقتدي بهداهما، لكي يعلّم العرب « الكتاب والحكمة » (2 : 129؛ و151؛ 3 : 164؛ 62: 2)، على مثال أهلها : « ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم، واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم » (الأنعام 88).

ثانياً درس كتابهم لتدريسه للعرب : « وكذلك نصرّف الآيات » . فيرد عليه « الأحزاب » و « المقتسمون » : لقد « درست » ! فلا يرد الاتهام، بل يؤيده ببيان الغاية من درس الكتاب : « ولنبيّنه لقوم يعلمون » (105)؛ وهم « أولو العلم » على التخصيص أي « النصارى » . فمحمد يدرس كتابهم ليبيّنه لهم قبل غيرهم. ومحمد يدرسه أيضاً ليبيّنه للعرب الذين غفلوا عن دراسته، « أن تقولوا : إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا، وإن كنَّا عن دراستهم لغافلين » (156). يقول « دراستهم » حيث عدل عن ضمير الكتاب، إلى ضمير أهله، ليظهر جهل العرب بالكتاب وأهله من اليهود والنصارى. فقام محمد

مقامهم بدرس الكتاب وأهله من الطائفتين، وانضم إلى النصارى « المسلمين » من قبله، وهو يقدّم للعرب دراسته في القرآن العربي : « وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعه لعلكم تُرحمون » (155). وقد كان يستعلي عليهم بهذه الدراسة طوال العهد بمكة : « أم لكم كتاب فيه تدرسون » (القلم 37)، « وما آتيناهم من كتب يدرسونها » (سبأ 44).

ينتج من ذلك، **أولاً :** وصف التنزيل القرآني **بالدرس** (105) **وتصريف** الآيات (105)، **والتبيين** لها (105) **بالتصديق والتفصيل** (92). فلا ريب أنه « تنزيل رب العالمين » ، لكنه « في زبر الأولين » كما يشهد بذلك « علماء بني إسرائيل » النصارى (الشعراء 193 ـ 197). وهكذا تظهر حقيقة القرآن العربي : إنه، بعد الدرس، « تفصيل الكتاب » بالتصريف والتبيين. ولكن هذا « التفصيل » أي التعريب لا تبديل فيه : « لا مبدّل لكلماته » ، فقد « تمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً » (115). لذلك كان القرآن العربي « الكتاب مفصلاً » (114) صدقاً وعدلاً؛ ولذلك فهو **منزل، لأنه تعريب التنزيل.**

وينتج من ذلك **ثانياً** صلة القرآن ومحمد نفسه بالنصارى المسلمين : « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » (20) معرفة الوالد لولده، معرفة مصدرية. فبعد أن كان محمد ابن « النصرانية » ، أصبح في هذه السورة **رئيسها في مكة والجزيرة :** « بذلك أمرتُ وأنا أول المسلمين » (164). لقد خلف محمد القس ورقة بن نوفل على رئاسة « النصارى » بمكة والجزيرة. وخلف بحيرى فصار أول المسلمين » .

*

الوثيقة الثامنة عشرة : من سورة الزمر (39 / 59)

« تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم		1
إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق	فاعبد الله مخلصاً له الدين ...	2
أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً	يحذر الآخرة، ويرجو رحمة ربه؛	
قلْ : هل يستوي الذين يعلمون ،	والذين لا يعلمون؟ ! ...	9

قلْ : إِني أمرتُ أن أعبد الله مخلصاً له الدين
وأمرتُ أن أكون أول المسلمين ... 11 - 12
أمّن شرح الله صدره للإسلام فهو على هدى من ربه » 22

في هذه الوثيقة تصريح صريح لاعتناق محمد للإسلام « النصراني » والدعوة إليه باسم « الدين الخالص » ؛ ثم لرئاسة محمد لهذا الإسلام « النصراني » في مكة والجزيرة: « قلْ : إني أمرتُ أن أعبد الله مخلصاً له الدين؛ وأُمرت أن أكون **أول المسلمين** » (11 -12).

يُؤمر محمد بإخلاص الدين لله بحسب الكتاب الذي « درسه » وأنزل إليه (2). والإخلاص في الدين هو « الإسلام » الذي شرح الله صدر محمد له، فهو على نور من ربه (22). لقد انتهت محنة الشك عند محمد.

وهذا « الإسلام » ، في إخلاص الدين لله، هو عند « الذين يعلمون » : « قل : هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (9). فما استخف الذين يفهمون هذه الآية بحسب اللغة، وهي اصطلاح قرآني متواتر، فإن « أولي العلم » أو « أهل الذكر » هم في اصطلاحه أهل الكتاب ـ ثلاثة تعابير مترادفة. فلا مجال للمقابلة بين المشركين وبين أهل الكتاب « الذين يعلمون » بالوحي من علم الله.

و « الذين يعلمون » طائفتان من بني إسرائيل : اليهود والنصارى (الأنعام 156). فكان اليهود « أول كافر به » . لذلك فالتعبير العام « الذين يعلمون » يراد به التخصيص بالنصارى، الذين أخذ الإخلاص عنهم في الدين للإسلام، لصفتهم المتواترة في السورة والقرآن كله : « أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً » كمثل غيره من أهل الكتاب والمشركين؟ كلا، « ليسوا سواء : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » (آل عمران 113). وقيام الليل للصلاة وتلاوة آيات الله هو ميزة على العالمين. لذلك « شرح الله صدره للإسلام، فهو على بيّنة من ربه » (22).

فالسورة شهادة قيّمة على انضمام محمد « للنصارى » ؛ وعلى رئاسة محمد لهؤلاء « النصارى » (12). في هذه الفترة تتواتر الإشارات إلى خلافة محمد لقس مكة، ورقة بن نوفل، على رئاسة محمد للنصارى بمكة والجزيرة.

*

الوثيقة التاسعة عشرة : من سورة الشورى (42 / 62)

« شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً
... وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى :
أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه 13
كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ....
فلذلك فادع ۚ واستقم ، كما أمرت، ولا تتّبع أهواءهم
وقلْ : آمنت بما أنزل الله من كتاب، وأمرت لأعدل بينكم
الله ربنا وربكم ! لنا أعمالنا ولكم أعمالكم !
لا حجة بيننا وبينكم ! الله يجمع بيننا وإليه المصير 15
ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً، أو من وراء حجاب
أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء ، إنه عليٌّ حكيم 51
وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الإيمان ولا الكتاب
ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتُهدى إلى صراط مستقيم »
52

في هذه الوثيقة القرآنية **التصريح القاطع** بماهية الدعوة القرآنية : إن الدين الذي شرعه الله للعرب هو دين إبراهيم وموسى وعيسى ديناً واحداً، بلا تفريق ولا تفرقة (13)؛ وهذا الدين هو دين الكتاب المنزل من قبل والذي آمن به محمد : « وقل : آمنت بما أنزل الله من كتاب » (15). فهذا الدين الذي يجمع

بين موسى وعيسى ديناً واحداً، يقوم على إقامة التوراة والإنجيل كتاباً واحداً (المائدة 71)، ليس هو اليهودية، ولا المسيحية، **إنما هو « النصرانية »** التي تجمع في ولاء واحد موسى وعيسى، والتوراة والإنجيل. فالدعوة القرآنية هي الدعوة « النصرانية » عينها التي أخذها محمد عن أستاذه ورقة بن نوفل، قس مكة. هذا التصريح القاطع يدفع كل شبهة أو إشكال أو ريب في أقوال أخرى قرآنية ليست في صراحته، **فهو ميزان « نصرانية » محمد والقرآن.**

قال الأستاذ دروزة[1] : « وفيها **تقرير حاسم** لوحدة الأسس فيما أوحى الله إلى أنبيائه، وخاصة نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى، وما أوحى إلى النبي محمد ص، وبالتالي تقرير **لوحدة الأسس** بين القرآن والكتب السماوية؛ وبين المسلمين وأهل هذه الكتب؛ وللتطابق والتساوق بين الفريقين » . تحليل قاصر عن حرف الآية التي تشرع للعرب دين موسى وعيسى، أي دين « النصرانية » .

وعلى دين « النصرانية » يجب أن يستقيم النبي العربي؛ وإليه يجب أن يدعو بالقرآن العربي، دون انحراف إلى أهواء اليهودية وأهواء المسيحية. هذا هو الأمر الأول. والثاني : « **أمرت لأعدل بينكم** » . والعدل بين اليهودية والمسيحية هو في هذه « النصرانية » التي تجمع بين موسى وعيسى، وبين التوراة والإنجيل ديناً واحداً وكتاباً واحداً لذلك سيسميها « الأمة الوسط » . وهو، إذ يصرّح بوحدة الإله الذي يعبده أهل الكتاب جميعاً، مع اختلاف أعمال العبادة له، يقول : « لا حجة بيننا وبينكم » (15) أي لا « خصومة » (الجلالان). ففي مكة، مع مؤامرات اليهود البعيدة التي نشعر بها، ليس من خصومة بين « نصرانية » محمد والقرآن من جهة، وبين اليهودية والمسيحية من جهة أخرى، بل يأمل أن « الله يجمع بيننا وإليه المصير » (15) هذا في مكة.

والتصريح القاطع الثاني هو في ماهية النبوة المحمدية. طرق الوحي الثلاث :

---

(1) سيرة الرسول 1 : 303.

الوحي المباشر، أو من وراء حجاب، أو بواسطة ملاك رسول؛ وهذه الطريقة الثالثة هي أدنى طرق الوحي؛ وهي الطريقة التي اعتمدها الله في دعوة محمد، من دون الوحي المباشر بلا حجاب لعيسى، والوحي المباشر من وراء حجاب لموسى. فهو لم يكن يدري ما الإيمان ولا الكتاب، لكن الله أرسل إليه في غار حراء « روحاً من أمره » أي روحاً مخلوقاً، من عالم الأمر، هداه إلى الإيمان بالكتاب والدعوة له (52) كما يصرح : « وقل : آمنت بما أنزل الله من كتاب، وأمرت لأعدل بينكم » (15) : فنبوّة محمد ودعوته هي **هداية** » إلى الإيمان بالكتاب والدعوة له : « وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » (52) - وقراءة « لتُهدى » أصح من قراءة « لتَـهدي » ، كما يقتضي قوله : « ما كنت تدري ما الإيمان ولا الكتاب، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا » ـ ففي غار حراء، في ليلة مباركة (الدخان)، ليلة القدر (القدر) من شهر رمضان (البقرة) هداه ملاك الله إلى الدعوة للإيمان بالكتاب. هذا هو كل القرآن الذي نزل عليه في رؤيا حراء؛ وهو غير القرآن الذي أخذ يفصله مدة عشرين سنة ونيّف، والذي هو « تفصيل الكتاب » (يونس 37) على مثال « المثل » الذي مع بني إسرائيل النصارى (الأحقاف 10). ففي هداية محمد إلى الإيمان بالكتاب والدعوة له، ليس من تنزيل جديد؛ وليس من كتاب جديد، وليس من نبوة جديدة؛ إنما اقتصار وحي الملاك إليه في رؤيا حراء **على الهداية إلى الإيمان بالكتاب (52) والأمر بالدعوة له**، على عدل (15) بين اليهودية والمسيحية، يقوم على « النصرانية » ، الدين الوحيد الذي يشرعه الله للعرب في الدعوة القرآنية (13). هذا هو كل الوحي الذي جاءه، هذا كل القرآن الذي نزل عليه، في رؤيا حراء.

*

الوثيقة العشرون : من سورة الجاثية (45 / 65)

« ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة

ورزقناهم من الطيّبات وفضلناهم على العالمين 15

وآتيناهم بيّنات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم
بغياً بينهم ؛ إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة، فيما كانوا فيه يختلفون **16**
ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتّبعها، ولا تتّبع أهواء الذين لا يعلمون
إنهم لن يُغنوا عنك من شيء! وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض! والله وليّ المتّقين! »
17

في هذه الوثيقة تاريخ موجز لليهودية والنصرانية، وموقف محمد منهما. فهو يحصر « الكتاب والحكم والنبوة » في بني إسرائيل (15) ـ فلا ينظر إلى غيرهم من أهل الكتاب : فالمسيحيون بمكة بعيدون عن الصراع القائم في الدعوة القرآنية. و « الكتاب والحكم » أي الحكمة، كناية عن التوراة والإنجيل.

فالله قد آتى النصارى من بني إسرائيل « الكتاب والحكم والنبوة » ؛ وبسبب ذلك « رزقناهم من الطيبات، وفضلناهم على العالمين » (15). وقد شعر محمد بذلك في كنف خديجة، ثرية مكة، وفي جوار ورقة بن نوفل، قس مكة.

ثم إن الله آتاهم بعيسى « بينات من الأمر » ، أمر الدين؛ فاختلف بنو إسرائيل إلى يهود ونصارى « **من بعد ما جاءهم العلم** » بواسطة حكمة الإنجيل : « فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة » (الصف 14) بهذا « العلم » الإنجيلي. وما كفر اليهود به إلا « بغياً بينهم » فكانوا « ظالمين » مثل المشركين.

فهدى الله محمداً إلى هذا « العلم » الذي جاء به عيسى : « آتيناهم من الأمر » ، « ثم جعلناك على شريعة من الأمر » (16). والطريقة من أمر الدين التي أمر الله بها محمداً هي طريقة أهل « الكتاب والحكمة » أي التوراة والإنجيل؛ طريقة الذين يقيمونهما معاً، طريقة « النصارى » ، من دون اليهود، ولا

المسيحيين. فعلى محمد أن يتبع طريقة « النصرانية » ، بعيداً عن المشركين، « الذين لا يعلمون » ، وبعيداً عن اليهود « الظالمين » ، وأن « بعضهم أولياء بعض » (17). ففي هذا القول إشارة إلى تحالف « الأحزاب » (هود 18) من المشركين واليهود على الدعوة القرآنية. وما على محمد أن يخاف على « المتقين » من العرب، « من تاب معك » ، فإن « الله ولي المتقين » .

فنلاحظ أن تلك الأوصاف : « الذين لا يعلمون » للمشركين؛ « أولي العلم » على التخصيص للنصارى؛ « الظالمين » لليهود؛ « المتقين » لجماعة محمد من العرب؛ كلها متواترة في اصطلاح القرآن لأصحابها.

ونلاحظ أن « العلم » الذي افترق عليه بنو إسرائيل إلى يهود ظالمين ونصارى مقسطين محسنين؛ « العلم » الذي يدعو إليه القرآن؛ هو اصطلاح، كناية عن حكمة الإنجيل، بحسب « العلم » النصراني.

فإلى هذا « العلم » النصراني « اهتدى » محمد (الشورى 52)، إذ « جعلناك على شريعة من الأمر » (17)؛ وما عليه إلا أن « يتبع » (17) هذه الطريقة في دعوته.

*

الوثيقة الحادية والعشرون : من سور النحل (16 / 70)

« وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم
فاسألوا أهل الذكر، إن كنتم لا تعلمون 43
بالبيّنات والزُبر ؛ وأنزلنا إليك الذكر
لتبيّن للناس ما نُزّل إليهم، ولعلهم يتفكرون ... 44
وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبيّن لهم
الذي اختلفوا فيه ؛ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون 64

ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم
من أنفسهم ، وجئنا بك شهيداً على هؤلاء
ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء
وهدى ورحمة و بشرى للمسلمين 69
قلْ : نزَّله روح القدس من ربك بالحق
ليثبت الذين آمنوا، وهدى وبشرى للمسلمين 102

هذا فصل في أهداف الرسول والرسالة : لدى العرب المشركين، ولدى أهل الكتاب، ولدى « الذين آمنوا » من العرب، ولدى « المسلمين » من قبله.

فالهدف الأول لدى العرب المشركين، الذين يكني عنهم « بالناس » (44). ورسالة محمد لديهم أن « يبيّن للناس ما نزّل إليهم » (44) أي الدين يشرعه الله للعرب، دين موسى وعيسى (الشورى 13). **فالقرآن العربي هو بيان التنزيل الكتابي للعرب.** فليس من تنزيل جديد، إنما هو « لتبين للناس ما نزّل إليهم ولعلهم يتفكرون » . وإن شك العرب في ذلك، فما عليهم لا أن يسألوا أهل الذكر، أي أهل الكتاب؛ إن « الذكر الحكيم » هو عندهم، وهم أهله من دون العالمين. وما محمد سوى « شهيد عليهم من أنفسهم » ، كما يبعث في كل أمة شهيداً (69).

والهدف الثاني لدى أهل الكتاب، « لتبين لهم الذي اختلفوا فيه » ؛ وفي هذا البيان « هدى ورحمة لقوم يؤمنون » منهم (64). وما اختلف أهل الكتاب، بنو إسرائيل (الجاثية 15) إلا في المسيح والإنجيل : « فآمنت طائفة من بني إسرائيل، وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14). فالقرآن تأييد للنصرانية على اليهودية، هكذا يبيّن لهم الذي اختلفوا فيه، بضرورة الإيمان بعيسى والإنجيل، مع الإيمان بموسى والتوراة. فالقرآن دعوة « نصرانية » لدى اليهود أيضاً.

والهدف الثالث، « ليثبت الذين آمنوا » من العرب (102).

والهدف الرابع أن يكون « هدى وبشرى للمسلمين » (102). وبما أن الآية (102) تميّز بين « الذين آمنوا » وبين « المسلمين » ، **فالمسلمون** في اصطلاحه هم غير جماعة محمد من العرب؛ إنهم النصارى من بني إسرائيل الذين يصفهم « **بقوم يؤمنون** » من بني إسرائيل (64). وهكذا فإن تعابير « المؤمنين » و « المسلمين » في اصطلاح القرآن يخصها أولاً « بالنصارى » ثم على التبعية بجماعة محمد « الذين آمنوا » من العرب. والقرآن هو « هدى وبشرى للمسلمين » أي **توراة وإنجيل** معاً ـ بحسب الاصطلاح والحرف عنده ـ لهؤلاء النصارى الذين أصبح محمد رئيساً عليهم بوفاة ورقة بن نوفل، قس مكة، أي « أول المسلمين » .

هكذا « نزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » (69) : بياناً « للناس » المشركين؛ وبياناً لما اختلف فيه أهل الكتاب من نصارى ويهود؛ وتثبيتاً « للذين آمنوا » مع محمد من العرب؛ « وهدى وبشرى للمسلمين » ، النصارى من بني إسرائيل، ومن تنصّر معهم من العرب قبل محمد. فالقرآن دعوة « نصرانية » لهم جميعاً؛ وهذا ما يجزم « بنصرانية » محمد نفسه والقرآن.

*

الوثيقة الثانية والعشرون : من سورة الأنبياء (21 / 73)

« أم اتّخذوا من دونه آلهة ! ـ قلْ : هاتوا برهانكم !
هذا ذكر مَن معي وذكر من قبلي !
بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون 24
وقالوا : اتخذ الرحمان ولداً ! سبحانه ! بل عباد مكرمون 26
لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون 27
... والتي أحصنت فرجها، فنفخنا فيها،
من روحنا وجعلناها، وابنها، آية للعالمين 91

إنْ هذه أمتكم ، **أمة واحدة** ، و أنا ربكم فاعبدونِ 92

ولقد كتبنا في الزبور، بعد الذكر، إن الأرض يرثها عبادي الصالحون!
إن في هذا **لبلاغاً** لقوم عابدين ! وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
105 - 106 - 107

قلْ : إنما يُوحى إليَّ أنما إلهكم إلـه واحد : فهل أنتم مسلمون ؟ 108
فإن تولّوا، فقلْ : آذنتكم على سواء !
وإِنْ أدري أقريب ، أم بعيد ، ما توعدون » 109

في هذه الوثيقة، الإعلان لأول مرة عن « الأمة الواحدة » التي تقوم بالدعوة القرآنية للإسلام « النصراني » الذي يؤمن بمريم وابنها آية للعالمين (91 - 92).

التصريح الأول في ماهية الشرك العربي، على عهد القرآن. يتهمهم بأنهم « اتخذوا من دونه آلهة » (24). فأجابوا « وقالوا : اتخذ الرحمان ولداً » ! فيجيب : « سبحانه، بل عباد مكرمون » (26). فلا يقوم الشرك العربي على تعدد الآلهة كما في الوثنية؛ فالعرب المشركون كانوا على زمن محمد موحّدين؛ إنما كانوا يقولون بترتيب الملائكة واعتبارهم أولاد الله على الاتخاذ. وهذه العقيدة العربية هي العقيدة اليهودية التي حرمتها المسيحية قبل الإسلام، في مجمع اللاذقية. وتربيب الملائكة، **على سبيل الاتخاذ**، لا ينقض التوحيد، إنما هو شبهة عليه. والقرآن يرد ذلك بالعقل : « قل : هاتوا برهانكم » ؛ وبالنقل : « هذا ذكر من معي وذكر من قبلي » (24)؛ وبالواقع الملائكي : « بل عباد مكرمون » (6) ويفصّل عبوديتهم لله ، وشفاعتهم لديه بإِذنه.

التصريح الثاني هو الإعلان عن « **الأمة الواحدة** » (92)، التي يجمعها ذكر واحد : « هذا ذكر من معي وذكر من قبلي » (24) وإيمان واحد « بالتي أحصنت

فرجها، فنفخنا فيها، وجعلناها وابنها آية للعالمين » (91). وأَهل هذا الإيمان ليسوا اليهود الذين يكفرون بعيسى وأمه؛ وليسوا المسيحيين الذين لا يجمعون في ذكر واحد التوراة والإنجيل والقرآن؛ إنما هم النصارى من بني إسرائيل، ومن تنصّر معهم من العرب قبل القرآن، ثم « الذين آمنوا » مع محمد بالدعوة القرآنية. فالأمة الواحدة التي يعلن عنها هي جماعة محمد و « النصارى » ، الذين تسميهم السورة السابقة « المسلمين » (النحل 102). هذه الأمة الواحدة هي التي تقوم بالدعوة القرآنية، برئاسة محمد : **فالقرآن العربي دعوة « نصرانية »** ، **والنبي العربي داعية « نصراني »** ؛ فالقرآن يشرع للعرب دين موسى وعيسى معاً ديناً واحداً (الشورى 13)؛ وأهل هذه « الأمة الواحدة » يؤمنون « بما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم : لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (البقرة 136؛ آل عمران 85). هذا هو الإسلام « النصراني » بعينه : « فهل أنتم مسلمون » ؟ (108).

التصريح الثالث هو البلاغ الذي تطلقه السورة إلى « الأحزاب » من المشركين واليهود : **إن أرض العرب هي لهذه الأمة الواحدة**، لا لغيرها، بناء على حكم التوراة (الذكر) وحكم الزبور « بأن الأرض يرثها عبادي الصالحون : إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين » (105 - 106) ـ هذا الاستشهاد يدل على أن محمداً « درس » تفاصيل ودقائق التوراة والمزامير، الذكر والزبور ـ وهذا البلاغ، الذي يعلن بأن أرض العرب هي لأهل الإسلام « النصراني » القرآني، يطلق أيضاً **الإنذار الصريح** لأحزاب المشركين واليهود الذين يتولون عن الدعوة القرآنية للإسلام « النصراني » : « فإن تولوا، فقل : **آذنتكم على سواء** » ! (109). لكنه لا يدري الآن « أقريب أم بعيد ما توعدون » (109). لقد سلّط الوعيد عليهم، مع مجال لقبول الدعوة لأنه « ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (107) أي الأحزاب المعارضة من المشركين واليهود.

*

الوثيقة الثالثة والعشرون : من سورة « المؤمنون » (23 / 23)

« ولقد آتينا موسى الكتاب ، لعلّهم يهتدون 50
وجعلنا ابن مريم وأمّه آية وآويناهما إلى ربوة، ذات قرار ومعين 51
يا أيها الرسل كلوا من الطيّبات واعملوا صالحاً، إني بما تعملون عليم 52
وإن هذه أمتكم ، أمة واحدة وأنا ربكم ، فاتقونِ 53
فقطّعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون 54
فذرهم في غمرتهم حتى حين! 55
أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات؟ بل لا يشعرون 56-57
إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون 58-59
والذين هم بربهم لا يشركون 60
والذين يُؤتون ما أتوا ، وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون 61
أولئك يُسارعون في الخيرات وهم لها سابقون » 62

هذا الفصل توكيد **لإعلان الأمة الواحدة** في الدعوة القرآنية، مع تحذير مكرّر لليهود « حتى حين » ، وتقرير لحال « النصارى » وإنفاقهم في سبيل الدعوة.

في تصريح أول يؤكد إعلان الأمة الواحدة : إن الدين واحد، والكتاب واحد من موسى إلى ابن مريم؛ والأمة التي تؤمن بهما ديناً واحداً وكتاباً واحداً هي « الأمة الواحدة » ، وهذه هي « النصرانية » التي ينادي بها القرآن، من دون اليهودية والمسيحية (50 -53).

وفي تصريح ثان يشهد بأن اليهود « قطّعوا أمرهم بينهم زبراً » (54)، يؤمنون ببعض (التوراة) ويكفرون ببعض (الإنجيل) » ؛ « كل حزب - من

أهل الكتاب ـ بما لديهم فرحون » (54). ويأتي الوعيد والتهديد : « **فذرهم في غمرتهم حتى حين** » (55)؛ ثم يأتي التقرير : « أيحسبون إنما نمدّهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات » ؟ مع التدبير : « بل لا يشعرون » (56 -57). وفي هذا استدراك لما أعلنه في السورة السابقة : « ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين » (الأنبياء 15).

وفي تصريح ثالث يظهر فضل « النصارى » ، في الأمة الواحدة، على الدعوة القرآنية : إن أهل « الأمة الواحدة » هم الذين من خشية ربهم مشفقون، والذين هم بآيات ربهم يؤمنون، والذين هم بربهم لا يشركون » (58 -60). إنهم الذين يقول فيهم : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » أي « الذين يعلمون » ، أي النصارى من بني إسرائيل. وفضلهم في إنفاقهم بسبيل الدعوة القرآنية : « يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون » (61).

فتلك « الأمة الواحدة » التي يكرّر إعلانها هي جماعة محمد مع النصارى من بني إسرائيل، ومن تنصّر معهم من العرب، تميزهم عن أهل الكتاب من يهود ومسيحيين عقيدتهم أن « ابن مريم وأمه آية » ، وإيمانهم بالدعوة القرآنية مع الإنفاق في سبيلها. وبهذه الأمة الواحدة يتوعد « الأحزاب » من يهود ومشركين.

*

الوثيقة الرابعة والعشرون : من سورة العنكبوت (29 / 29)

« ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب
وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين 27

ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ـ إلا الذين ظلموا منهم ـ
وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون 46

وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ؛ ومن هؤلاء مَن يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون 47

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطّه بيمينك، إذا لارتاب المبطلون!
بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم! وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون 48 - 49

في هذه السورة ـ وهي قد تكون آخر ما نزل بمكة قبل الهجرة (26) ـ فصل الخطاب في « نصرانية » محمد، و « نصرانية » القرآن.

في **تصريح أول** يعلن أن « النبوة والكتاب » هما في ذرية إبراهيم، من إسحاق ويعقوب (27)، أي عند بني إسرائيل؛ لا في ولد إسماعيل من العرب المستعربة. ومحمد ينتمي إلى « النبوة والكتاب » عند بني إسرائيل المقسطين المحسنين أي النصارى، لا الظالمين أي اليهود.

وفي تصريح ثان، يكشف الأول، يعلن أن الجدال مع أهل الكتاب على نوعين : بالحسنى مع المحسنين؛ وبالسيف مع الظالمين. فإن صح جدال اليهود الظالمين بالقوة؛ فلا يصح جدال النصارى من بني إسرائيل « إلا بالتي هي أحسن » ؛ **وهذه الحسنى هي الأمر بالقول معهم** إن الإله واحد، والتنزيل واحد، والإسلام واحد (46). ولا ننس أنه يقصد بأهل الكتاب في مكة بني إسرائيل من يهود ونصارى : « إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل 76)، وهذا « الأكثر هو المسيح والإنجيل. فبإيمانه بالمسيح والإنجيل واعتناقه العقيدة « النصرانية » بوحدة الإله، ووحدة التنزيل، ووحدة الإسلام « النصراني » القرآني، **فصل الخطاب** في « نصرانية » محمد، وفي « نصرانية » القرآن.

وفي تصريح ثالث، يظهر أيضاً « **نصرانية** » **القرآن نفسه**، بحرفه، بعد عقيدته. فهو يميز، في جماعته، بين « المتقين » من العرب، وبين « الذين أوتوا العلم » من النصارى. وقوله : « **فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به** » (47) مطلق لا يصح في أهل الكتاب كلهم، إنما المقصود به التخصيص بالنصارى من بني إسرائيل، لا باليهود « أول كافر به » . وقوله : ومن هؤلاء من يؤمن به » (47) أي بعض العرب المشركين الذين بإيمانهم صاروا « متقين » . وهذا شاهد آخر على تلك « الأمة الواحدة » التي قامت من جماعة محمد والنصارى والمتنصرين، كما أعلنت عنها سورتا (الأنبياء والمؤمنون). هذا برهان « نصرانية » أمّته.

وبرهان « نصرانية » القرآن قوله : « **بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم** » (49)؛ وهو أصر من قوله : « أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل » (الشعراء 197)؛ وهو مثل قوله : « **يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** » (الأنعام 20؛ البقرة 146). فهذا التأكيد المتواتر على صلة القرآن العربي « بالذين أوتوا العلم » ، النصارى من بني إسرائيل، الذين « جعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا » ، « وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » - هو تصريح عن صلة القرآن العربي المصدرية بهم : « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » معرفة الوالد لوالده؛ « بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » ، فكيف تكون آياته بينات في صدورهم، لولا معرفتهم المصدرية له، بحسب قوله : « وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » (الأحقاف 10). فالقرآن العربي « تفصيل الكتاب » أي تعريب هذا « المثْل » الإسرائيلي « النصراني » .

أجل « ما كنت تتلو **من قبله** من كتاب، ولا تخطه بيمينك » (49) قبل هدايته إلى الإيمان بالكتاب (الشورى 52). لكن بعد هدايته « درس » الكتاب (الأنعام 105)، وكان يستعلي على العرب المشركين بدارسته (68 : 37؛ 34 : 44) لأنه ناب عنهم بدرسه لهم (6 : 156)، وجاء « يعلمهم الكتاب والحكمة » بالقرآن العربي. والدرس والتعليم لا يقتضيان التلاوة والكتابة في

جاهلية العرب؛ لكنهما في جوار ورقة بن نوفل، قس مكة؛ وفي كنف خديجة تاجرة مكة, يفترضانها. فبعد أمر الرؤيا بغار حراء صار يخط الكتاب ويتلوه عليهم. وهذا التعاون بين محمد و « النصارى » في الدعوة القرآنية، « أمةً واحدة » دليل « نصرانية » القرآن، وبرهان « نصرانية » محمد.

* * *

خاتمة البحث : « الوحدة التامة » بين « النصرانية » والدعوة القرآنية

1- ما بين محمد وأهل الكتاب، وما بين القرآن والكتاب، على العموم انتساب ونسب صريحان، يصفهما الأستاذ دروزة[1] بقوله :

« ويضاف إلى ما أوردناه **من مفردات** في كل منها صورة غير الأخرى، ما في توالي وروده في القرآن المكي من **قصص أنبياء** أهل الكتاب، وأحوالهم الخاصة، وسيرة أقوالهم معهم، في سور (الفجر والقمر وق وص والأعراف ويس ومريم وطه والشعراء والنحل والقصص ويونس وهود ويوسف والحجر والأنعام والصافات وسبأ وغافر والزخرف والدخان والذاريات ونوح وإبراهيم والأنبياء والمؤمنون) مما يتطابق قليلاً أو كثيراً مع ما ورد في كتب أهل الكتاب، وما فيها من ثناء على هؤلاء الأنبياء، ودعوة للتأسي بهم واحترامهم، مما يتضمّن معنى **التساوق والاتحاد والتطابق** بين القرآن والكتب السماوية، وبالتالي بين الإسلام وأهل الكتاب.

« وهكذا فإن القرآن، منذ الوقت المبكر من العهد المكي، أكّد وظل يؤكد طيلة العهد، وفي مختلف أدوار التنزيل : **وحدة المصدر** الذي صدر عنه القرآن والكتب السماوية؛ **ووحدة الأهداف والمبادئ** التي تضمنها القرآن وتلك الكتب؛ **وتأييد القرآن والنبي** ص للأنبياء السابقين والكتب السابقة، والتنويه

---

(1) سيرة الرسول 1 : 304 - 305.

بهم. وأنه **استشهد**، وظل يستشهد على صحة الرسالة النبوية والتنزيل القرآني، بأسلوب يلهم استعدادهم للشهادة الإيجابية والثقة بهم والاعتماد عليهم كما يلهم طبيعة وتوقع استجابتهم للدعوة المحمدية القرآنية، **واندماجهم فيها ونصرها وتأييدها ...**

« ونعتقد أن النبي ص قد أُلهم هذا الموقف **قبل نبوته أيضاً**، إذ كان بينه وبين بعض الكتابيين في مكة ـ على ما استلهمناه في فصل (شخصية النبي ص) ـ صلة ودّ ومبادلة عطف وتصديق. وإن هذا من أسباب هذا الموقف الودي المتبادل. هذا إلى ما احتواه القرآن من تصديق وتأييد وتنويه بكتبهم، واستشهاد بهم، واعتماد عليهم، **وتلقين بالوحدة التامة بينهم** » ـ وهذه « الوحدة التامة بينهم » تقضي على **خرافة التحريف** في التوراة والإنجيل.

لكن هذه « الوحدة التامة بينهم » لم تكن مع جميع أهل الكتاب، وليس مع اليهود، « أول كافر به » بنوع خاص. وبما « أن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل 76)؛ فإن « **الوحدة التامة** » **كانت بين محمد والنصارى من بني إسرائيل**. وهذه « الوحدة التامة بينهم » هي البرهان على « تنصر » محمد، وعلى « تنصر » الدعوة القرآنية. وما يقوله الأستاذ دروزة هو تفصيل لهذا البرهان.

2ـ وتلك « الوحدة التامة بينهم » لم تقتصر على ما يقوله الأستاذ دروزة إنما كانت وحدة في العقيدة، عقيدة التوحيد، وعقيدة المسيح؛ ووحدة في الدعوة لله وللمسيح؛ ووحدة في « الأمة الواحدة » ، ووحدة في القرآن نفسه.

الوحدة في العقيدة تظهر من الأمر : « وقولوا : آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون » (العنكبوت 46) : وحدة الإله ووحدة التنزيل ووحدة الإسلام.

الوحدة في الدعوة تتجلى من استشهاد النبي بهم، ومن شهادتهم له؛ فهكذا ختم الدعوة بمكة : « قل : كفى بالله شهيداً ... ومن عنده علم الكتاب » (الرعد

45). وتظهر من ثناء القرآن عليهم لإنفاقهم في سبيل الدعوة، ويكفي إنفاق السيدة خديجة، ثرية مكة، وابنة عم ورقة بن نوفل، قس مكة.

وتلكما الوحدتين في العقيدة وفي الدعوة تقومان بنوع خاص على **الوحدة في « الأمة الواحدة »** كما يعلن ذلك في (الأنبياء 91 والمؤمنون 52). ووحدة الأمة بين محمد والنصارى من بني إسرائيل والمتنصرين معهم من العرب من قبله لا تقوم إلا في وحدة العقيدة ووحدة الدعوة.

وتلك الوحدات الثلاث القائمة بين محمد و « النصارى » لا تقوم **إلا بوحدة الكتاب المنزل**. وأي خلاف في وحدة الكتاب، يجر إلى خلاف في وحدة الأمة والعقيدة والدعوة. وبما أن هذه الوحدات قائمة بينهم، فوحدة الكتاب أيضاً قائمة. هذا ما يعلنه في مطلع بعض السور : « تلك آيات الكتاب وقرآن مبين » (النمل، والحجر)؛ « تلك آيات الكتاب المبين : إنا أنزلناه قرآناً عربياً » (يوسف)؛ والكتاب المبين، إنا جعلناه قرآناً عربياً » (الزخرف). قد يقال: هذا يدل على وحدة الموضوع! لكن في **وحدة الحرف** يقول : « تنزيل من الرحمان الرحيم : كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً » (فصلت)؛ أي « كتاب أُحكمت آياته، ثم فصلت من لدن حكيم خبير » ؛ أي أن القرآن العربي هو « تفصيل الكتاب » (يونس 37). وقد يقال إن الواقع المشاهد بين التوراة والإنجيل والقرآن لا يشهد بوحدة من هذا كله. فالجواب في قوله : **وقد شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله** » (الأحقاف 10) : فإن « مثل » القرآن العربي كان عند النصارى من بني إسرائيل، وقام « حكيم خبير » بتفصيله إلى العربية. وهذه هي الشهادة على وحدة الكتاب بالموضوع والحرف.

وهذه الوحدة الرباعية في الكتاب والأمة والدعوة والعقيدة، برهان قاطع على « **نصرانية » محمد، وعلى « نصرانية » القرآن.**

تلك هي بعض الوثائق القرآنية في انضمام محمد إلى « النصارى » والدعوة بدعوتهم، بالقرآن العربي.

* * *

بحث ثان

الوثائق المكية لقيام « النصارى » مع محمد بالدعوة القرآنية

توطئة : « النصارى » هم « إمام المتقين » في الدعوة القرآنية

إِن وحدة « النصرانية » والدعوة القرآنية في الكتاب والعقيدة والأمة والدعوة ـ بمكة ـ ليست فقط دليلاً على « نصرانية » محمد، وعلى « نصرانية » القرآن؛ إنما هي أيضاً برهان قاطع على **إسلام النصارى** من بني إسرائيل ومن تنصر معهم من العرب كورقة بن نوفل، قس مكة، والسيدة خديجة زوج محمد وثرية مكة الأولى، وعلى **قيامهم بالدعوة القرآنية مع محمد.** هذا ما يظهر من إعلان « الأمة الواحدة » (الأنبياء 91، المؤمنون 52) حيث « النصارى » يطلبون إلى الله : « واجعلنا للمتقين إماماً » (الفرقان 74). فإِمامة « النصارى » ، عباد الرحمان، في لغة القرآن، للمتقين من العرب لا تقوم إِلا بالوحدة الرباعية في الكتاب والعقيدة والأمة والدعوة.

فإِسلام « النصارى » أو « تنصّر » محمد والقرآن يعنيان **تعريب « النصرانية » بالدعوة القرآنية.** وهو يقوم على الدعوة الواحدة للإيمان بالتوراة والإنجيل معاً، والإيمان بموسى وعيسى معاً، ديناً واحداً يشرعه الله للعرب (الشورى 13).

فقد تبنّى « النصارى » بمكة الدعوة القرآنية التي ترأسها محمد بعد وفاة قس مكة، ورقة. وإذا ظلّ ذلك مستوراً في مكة، ولم يتّضح إلا في المدينة بإعلان الحرب على اليهود وتصفيتهم من الحجاز، فإنما كان ذلك دبلوماسية بارعة اقتضتها ظروف أمّ القرى : « وقالوا : إن نتّبع الهدى معك نتخطّف من أرضنا » (القصص 57). فإِن تنصر العرب كان دليلاً على ولائهم للروم، كما كان اليهود عملاء الفرس بين العرب والروم. ولكن لما تمّ فتح مكة، وانتهى جلاء اليهود

عن الحجاز، برح الخفاء وأعلن القرآن ظهور « النصرانية » على اليهودية والشرك العربي الذي يدعمها في « الأحزاب » المعارضة (الصف 14)؛ وأعلن وحدة الإسلام القرآني و« النصرانية » : « هو سماكم المسلمين من قبلُ وفي هذا » القرآن (الحج 78).

ندرس الآن الوثائق القرآنية المكية على تبنّي « النصارى » للدعوة القرآنية : فنرى فيها انضمامهم إلى الدعوة وتبنّيها وإسلامهم.

*

الوثيقة الأولى : من سورة الأعراف (7 / 39)

واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة ، وفي الآخرة : أنّا هدْنا إليك !
قال : عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء !
فسأكتبها للذين يتقون، ويؤتون الزكاة، والذين هم بآياتنا يؤمنون! 155
الذين يتّبعون الرسول، النبي الأمي
الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل
يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحرّم عليهم الخبائث،
ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم
فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه
واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون 156
قل : يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً،
الذي له ملكوت السماوات والأرض، لا إله إلا هو، يحيي ويميت
فآمنوا بالله ورسوله، النبي الأمي،
الذي يؤمن بالله وكلمته، واتبعوه لعلّكم تفلحون 157
ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق، وبه يعدلون » 158

هذا الفصل، الذي يقطع قصة موسى مع ربه وقومه (154 و159)، ولا

يمت لها بصلة، فهو مقحم عليها من زمن آخر، ربما من المدينة، هو في ترتيب النزول الحالي الوثيقة الأولى الصريحة على نصرة النصارى، الأمة الهادية من قوم موسى (158) التي آمنت « بالله وكلمته » ، للنبي الأمي والدعوة القرآنية.

فلا تظهر هوية « الذين يتبعون الرسول، النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل » ، « الذين آمنوا به وعزروه ونصروه » ، الذين آمنوا بدعوته « لله وكلمته » ، إلا في آخر الفصل : « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (158). فهذه الأمة من قوم موسى هي الطائفة من بني إسرائيل التي آمنت بالمسيح بدعوة رسله الحواريين (الصف 14)، أي « النصارى » الذين كانوا أنصار عيسى، وهم اليوم بمكة أنصار محمد. وتظهر هويتهم من قوميتهم، فهم « من قوم موسى أمة » ؛ ومن عقيدتهم وإيمانهم بالتوراة والإنجيل معاً، وإيمانهم مع محمد « بالله وكلمته » أي المسيح.

وفي التلاوة شبهة : فالنص يرادف بين « الذين يتقون » (155) ـ وهو كناية متواترة عن « الذين آمنوا » من العرب ـ وبين « الذين يتبعون الرسول، النبي الأمي، الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل (156)، وهم فريق آخر؛ لأن جماعة محمد من « الذين يتقون » ليس « عندهم التوراة والإنجيل » . فالحرف يدل على فريق واحد، والمعنى على فريقين. لذلك يجب إضافة حرف العطف على « الذين يتبعون الرسول » فنقرأ : « والذين » ؛ فتظهر الأمة الواحدة من الفريقين.

لقد صرّح: « إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل 76). وهنا يظهر هذا « الأكثر الذي هم فيه يختلفون » : إنه الإيمان « بالله وكلمته » ، واتّباع « النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل » أي الإيمان بالمسيح وبمحمد. وبهذا الإيمان الثنائي يفترق النصارى من بني إسرائيل، الأمة من قوم موسى، عن اليهود ـ وعن المسيحيين. فالقرآن يعلن موقفه من الخلاف بين اليهود والنصارى من بني إسرائيل.

كان اليهود يحصرون الهدى فيهم، حتى اشتقوا الهدى من اسمهم، واشتقوا اسمهم منه: « هدْنا إليك » . ويطلبون بكبرياء إلى الله أن يكتب لهم ذلك حسنة عنده في الدنيا والآخرة. فيردّ القرآن عليهم بأن الحسنة في الإيمان والهدى ليست لليهود، بل للذين يتقون » و « للذين يتبعون الرسول، النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل » (156). وهذا القيد « مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل » يحصر الهدى في « النصرانية » ، عند النصارى من بني إسرائيل الذين يؤمنون بالتوراة والإنجيل معاً؛ لذلك فهم « من قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (158).

فالنصارى من بني إسرائيل هم « الذين آمنوا به وعزّروه ونصروه » (156)؛ **فهم أنصار الدعوة القرآنية منذ مبعثها.** وفعل « **نصروه** » مشتق من اسم « نصارى » الآرامي، و « أنصار » العربي، مثل « هدنا » من اسم « يهود » أو « هود » . هذا ما يشهد به قوله : « يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى، ابن مريم : من أنصاري إلى الله؟ قال الحواريون: نحن أنصار الله ». فالحواريون ومن تابعهم هم « أنصار الله »، أي « النصارى ». وهذا كان فعلهم مع محمد، فهم « الذين آمنوا به ونصروه » .

لذلك فكل انتساب وكل استشهاد، في القرآن، بأهل الكتاب، مطلقاً، هو استشهاد وانتساب إلى « النصارى » على التخصيص؛ وكل تأييد من أهل الكتاب للدعوة القرآنية، مطلقاً، هو نصرة من « النصارى » لمحمد والدعوة القرآنية على التخصيص.

وهذا الفصل من السورة يورد ثلاثة دلائل على أن الأمة التي تناصر محمداً في الدعوة القرآنية هي « النصرانية » .

الدليل الأول إيمانهم بأن « النبي مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل » ؛ وهذا برهان على إيمان « النصارى » بمحمد.

الدليل الثاني إيمانهم بأنه « يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم » في التوراة. وهذا ما جاء على لسان زعيم الرسل الحواريين، بطرس، في مجمع أورشليم: « فالآن لماذا تحرّبون الرب، بوضعكم على رقاب التلاميذ إِصراً لم يستطع آباؤنا، ولا نحن، أن نحمله » (سفر الأعمال 15 : 10).

والدليل الثالث هو نداء النبي الأمي في الناس جميعاً بإيمانه « بالله وكلمته » السيد المسيح. وقراءة « كلمته » أصح من « كلماته » التي لا تميز إيمان محمد « بالله وكلماته » عن أحدٍ من أهل الكتاب. أما إيمانه « بالله وكلمته » فهو يميزه عن اليهود، وهو موضوع موقفه منهم في الحسنة التي يكتبها الله لأهل الإيمان. وهو إعلان بوحدة الأمة والعقيدة بين محمد و « النصارى » الذين يؤمنون جميعاً « بالله وكلمته » ، السيد المسيح.

ويأتي القول الفصل في ختام هذا الفصل، بقوله : « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (158) : فهم « الذين يتبعون الرسول، النبي الأمي، الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل » (156). إنهم « النصارى » أي « طائفة من بني إسرائيل » آمنت بالمسيح (الصف 14).

فهؤلاء « النصارى » هم أنصار محمد بمكة في الدعوة القرآنية : « آمنوا به وعزّروه ونصروه » . فالدعوة دعوتهم، وإسلام القرآن إسلامهم، ومحمد نبيهم وزعيمهم في دعوة الناس جميعاً إلى الإيمان « بالله وكلمته » .

*

الوثيقة الثانية : من سورة الفرقان (25 / 43)

وعباد الرحمان الذين	يمشون على الأرض هونا	
وإذا خاطبهم الجاهلون	قالوا : سلاما	63
والذين يبيتون لربهم	سُجّداً وقياما ...	64
والذين لا يشهدون الزور	وإذا مرّوا باللغو مروا كراما	72

والذين إذا ذكَّروا بآيات ربهم لم يخرّوا عليها صمّاً وعميانا 73
والذين يقولون : ربنا هبْ لنا من أزواجنا
وذرياتنا قرة أعين، واجعلنا للمتقين إماما » 74

لقد سبق لنا تعليق على هذا الفصل. نزيد هنا أن فصل « عباد الرحمان » يجعلهم **إمام المتقين** من العرب (74)؛ وقد جعلهم فصل (الأعراف) الأنصار في مكة للدعوة القرآنية.

لا شك أن صفة « عباد الرحمان » كناية عن « النصارى » . أولاً من اسمهم : فالدعوة لله باسم « الرحمان » دعوة كتابية، إنجيلية، لاجتماع اسم الرحمان والمسيح في النقوش الجاهلية؛ وصفة « العباد » كانت تطلق في الحيرة على جماعة من النصارى، مثل عدي. ثانياً في صفتهم بالاختصاص في قيام الليل للصلاة وتلاوة آيات الله، من دون اليهود والعرب وجماعة محمد، فإن قيام الليل كان « نافلة » له وحده من دون جماعته؛ وقوله: « والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً (64) هو مثل قوله : « ليسوا سواءً : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » (آل عمران 113). فاسمهم وصفتهم يدلان عليهم.

قد يقول معترض : بل هم المسلمون ، الذين لا يدعون مع الله إلهاً آخرا » (68) كما « قالت النصارى : المسيح ابن الله » (التوبة 33). وفاتهم أن « النصارى » في آية (التوبة 33) هم المسيحيون في مشارف الشام في فرقهم الثلاث، وسُنّة المسيحيين من الأمميين هم غير شيعة النصارى من بني إسرائيل قومياً وعقيدة : فالمسيحيون يؤمنون أن « المسيح ابن الله » ؛ لكن النصارى من بني إسرائيل كان اللقب عندهم مجازاً، وهذا هو الفارق الكبير في العقيدة بين شيعتهم وأهل السُنّة المسيحيين. وفاتهم أيضاً بأن جعْل عباد الرحمان جماعة محمد يخلق تعارضاً بين اسمهم وصفتهم « واجعلنا للمتقين إماماً » فيكون المتقون إمام المتقين!

إن عباد الرحمان هم « النصارى » ، وهم يشهدون على أنفسهم بدعائهم : « واجعلنا للمتقين إماماً » (74). **فالنصارى هم إِمام المتقين من العرب مع محمد**؛ وهذا برهان وتحديد « للأمة الواحدة » ؛ وهو برهان على **إِمامة النصارى للدعوة القرآنية :** فهم قادتها بزعامة محمد. وهذه شهادة من مكة. **فهم على أساس الدعوة القرآنية.** لذلك يأتي محمداً الأمر بأن يقتدي بهداهم (الأنعام 90)؛ وأن يطمئن عند الشك من نفسه ومن أمره لديهم (يونس 94)؛ وأن لا يكون في مرية من اتصاله بالكتاب بواسطتهم لأن الله « **جعلهم أئمة يهدون بأمرنا** » (السجدة 23). ولذلك أيضاً فهم « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » (الأنعام 20)؛ بل القرآن نفسه « هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم » (العنكبوت 49) أي « النصارى » على التخصيص.

« فالنصارى » هم **إِمام** الدعوة القرآنية لدى « المتقين » من العرب (الفرقان 74)، كما هم **أنصارها** منذ البدء (الأعراف 156).

*

الوثيقة الثالثة : من سورة النمل (27 / 47)

« إِن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ... 76

إِنما أُمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها،
وله كل شيء؛ وأُمرت أن أكون من المسلمين 91

وأن أتلو القرآن : فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه؛
ومَن ضلّ، فقلْ : إنما أنا من المنذرين » 92

للدعوة القرآنية **غايتان :** الأولى هي شرع دين موسى وعيسى ديناً واحداً بلا تفريق للعرب (الشورى 13)؛ وهذه هي « النصرانية » عينها التي تقوم على إقامة التوراة والإنجيل معاً كتاباً واحداً (المائدة 71)؛ والثانية نراها في

هذه السورة : « إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (76)، فهو حوار مع بني إسرائيل من يهود ونصارى في خلافهم الأكبر، الإيمان بالمسيح والإنجيل. من هذا الهدف الثاني المحصور بأهل الكتاب نرى أنه لا يقصد المسيحيين من الأمميين، بل يقتصر على النصارى من بني إسرائيل؛ فهو يدخل لصالحهم (الصف 14) في خلافهم مع اليهود.

لذلك عندما يقول : « **وأمرت أن أكون من المسلمين** » (91) فهو يقصد بهم النصارى من بني إسرائيل - لا اليهود، ولا المسيحيين. وهذا إعلان صريح بانضمام محمد إلى « النصارى » والمتنصرين معهم من العرب كأستاذه ورقة بن نوفل قس مكة. فالإسلام والمسلمون موجودون قبل محمد والقرآن (الحج 78) : فلم يأت محمد والقرآن بجديد، إنما تبنى محمد والقرآن الدعوة « النصرانية » لكي يشرعها للعرب (الشورى 13).

وبانضمام محمد إلى « النصارى » المسلمين، أخذ يتلو معهم « القرآن »: « وأمرت... **وأن أتلو القرآن** » (92). هذا « القرآن » هو القرآن الكتابي، قبل أن يكون القرآن العربي، بدليل قوله في مطلع السورة : « تلك آيات القرآن، وكتاب مبين » (1 -2). فالقرآن العربي، بنصه القاطع، هو « كتاب مبين » للقرآن العظيم الموجود قبله، كما « شهد شاهد من بني إسرائيل (النصارى) على مثله» (الأحقاف 10).

فتلاوة « القرآن » النصراني على العرب بالدعوة القرآنية يقوم بها محمد بناءً على أمر واحد بالانضمام إلى « المسلمين » النصارى وتلاوة « القرآن » معهم على العرب. وهذه هي الشهادة بأن الدعوة القرآنية هي « النصرانية » ، **وأن « النصارى » يقومون بها مع محمد.**

فما الدعوة القرآنية سوى تعريب الدعوة « النصرانية » ، كما يظهر من قوله : « إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة ... وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن » (91 ـ 92). فرب مكة لم يكن قبل النصارى المسلمين إِله

التوحيد، ولكن بدعوتهم قبل محمد صار إله الكعبة، رب هذه البلدة، إله التوحيد، الذي أُمر محمد أن يعبده بتنصّره مع المسلمين النصارى. فإسلام القرآن العربي هو تعريب الإسلام « النصراني » الذي أُمر محمد أن يتلوه على العرب.

هذا التصريح (النمل 91 -92) **هو القاعدة الأساسية لفهم القرآن كله**

*

الوثيقة الرابعة : من سور القصص (28 / 49)

« الذين آتيناهم الكتاب من قبله ، هم به يؤمنون
وإذا يتلى عليكم قالوا: آمنا به، إنه الحق من ربنا: إنّا كنّا من قبله مسلمين 53
أولئك يؤتون أجرهم مرتين ، بما صبروا ،
ويدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون 54
وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا :
لنا أعمالنا، ولكم أعمالكم سلام عليكم، لا نبتغي الجاهلين » 55

هذه الوثيقة القرآنية شهادة قاطعة على أن النصارى من بني إسرائيل مع المتنصرين من العرب قبل محمد والقرآن كانوا المسلمين الذين أُمر محمد بأن ينضم إليهم ويدعوهم بدعوتهم (النمل 91 -92). يأتي التعبير « الذين آتيناهم الكتاب » بصيغة المطلق، وهو يقصد التخصيص، لأن جميع أهل الكتاب، وعلى رأسهم اليهود لم يكونوا « به يؤمنون » . فالذين يعلنون : « **إِنا كنا** من قبله مسلمين » (53) هم وحدهم « النصارى » .

وصفتهم في (القصص 53 -55) مثل صفتهم في (الفرقان 63 -74) : وهذه شهادة على أن « عباد الرحمان » ، وأن « المسلمين من قبله » هم « النصارى » : فهم إمام المتقين في الدعوة القرآنية، لأنهم مسلمون بإسلام القرآن، من قبل محمد والقرآن. بذلك يستعلون على أهل القرآن الجدد بقولهم : إنا كنا من.

والقرآن العربي يشهد لهم بهذا الاستعلاء الحق، بقوله: « أولئك يؤتون أجرهم مرتين » (54)؛ مرة أولى بإسلامهم مع المسيح والإنجيل؛ ومرة ثانية بإسلامهم الواحد مع محمد والقرآن. وهذا برهان آخر على وحدة الدعوة القرآنية و « النصرانية » .

والشهادة تظهر دورهم في الدعوة القرآنية : إعلان إيمانهم بالقرآن العربي (53)؛ وصبرهم على أذى المشركين في الشهادة للدعوة (54)؛ والإنفاق في سبيلها (54) ـ يكفي إنفاق خديجة عن الجميع! ـ وهذه الشهادة برهان قاطع على أن « النصارى » يقومون بالدعوة القرآنية بزعامة محمد.

قال دروزة في (سيرة الرسول 1 : 305) : « قد تضمنت خبر إيمان الكتابيين بالقرآن، وحكاية أقوالهم عن إيمانهم به، وتصديقهم بأنه الحق من ربهم كما تضمنت خبر تعرّضهم للوم المشركين، وبالأحرى لزعمائهم ... الذين لا بدّ من أنهم قدّروا **خطورة تصديق أهل الكتاب** بالرسالة المحمدية والتنزيل القرآني ـ ولهم ما لهم من أثر في أذهان العرب، واعتماد عليهم وثقة بهم ... **والآيات تحكي أمراً واقعاً قبل نزولها**؛ ومعنى هذا أن الكتابيّين قد أخذوا يستجيبون للدعوة النبوية وينضمون إليها، ويجهرون بتصديق النبوة والتنزيل القرآني منذ عهد مبكر » . بل الواقع : « وأمرت أن أكون من المسلمين » أي من النصارى.

وقد رأينا أن التعميم يراد به التخصيص. والشهادة لا تقول فقط بتصديق النصارى المسلمين للدعوة، بل تنص على قيامهم بها بالشهادة لها والإنفاق في سبيلها واحتمال الأذى لأجلها. **فهم أهل الدعوة القرآنية**، بقيادة النبي العربي، بعد وفاة أستاذه، ورقة بن نوفل، قس مكة.

*

الوثيقة الخامسة : من سورة الإسراء (17 / 50)

« قلْ : آمنوا به، أو لا تؤمنوا
إن الذين أُوتوا العلم من قبله، إذا يُتلى عليهم

يخرّون للأذقان سجّداً، ويقولون : سبحان ربنا، إنْ كان وعد ربنا لمفعولا 107
ويخرّون للأذقان يبكون، ويزيدهم خشوعاً » 108

قال أيضاً دروزة في (سيرة الرسول 1 : 306) : « في هذه الآيات وصف آخر لموقف الكتابيين من القرآن، في خشوعهم، وبكائهم من الخشية، وسجودهم حينما كان يتلى عليهم، إيماناً به ، وتصديقاً لما جاء فيه. ولقد جاءت الآيات مقام التحدي للكفار، والتقريع لهم، معلنة أن جحودهم ومواقفهم لا قيمة لها ولا اعتبار، ما دام الذين أوتوا العلم يقفون هذا **الموقف التشجيعي الخاشع، ولموقفهم الاعتبار الأكبر والقيمة العظيمة.** وهذا يلهم أن هذه المواقف كانت مما يقع على مرأى أو علم من الكفار، من جهة؛ وأنها كانت من **عوامل طمأنينة المسلمين** ووثوقهم، **وقوة صمود الدعوة** واستعلائها، من جهة أخرى. وسورة (الإسراء) هي أيضاً من السور التي نزلت مبكرة نوعاً ما، والآيات تحكي مشهداً واقعاً قبل نزولها : وفي هذا توكيد لما قلناه، من استجابة الكتابيين للدعوة منذ العهد المبكر » .

ـ لقد وهم الأستاذ « باستجابة الكتابيين » على الإطلاق للدعوة القرآنية. فالتعبير تعميم يراد به التخصيص : « إن الذين أوتوا العلم من قبله » يقصد به الذين قال فيهم : « إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النحل 59). وبنو إسرائيل يهود ونصارى، واليهود كانوا « أول كافر به » : **فالمقصودون هم النصارى من بني إسرائيل،** فهم « أولو العلم قائماً بالقسط » (آل عمران 18) من دون اليهود الظالمين (العنكبوت 46). إنهم « الذين أوتوا العلم » على التخصيص، وهذه صفتهم المتواترة التي تميزهم عن اليهود وعن جماعة محمد « الذين آمنوا » من العرب، بحسب قوله : « يرفع الذين آمنوا منكم، والذين أوتوا العلم، درجات » (المجادلة 11) : وتميزهم عن اليهود الظالمين، وعن العرب المنافقين في قلوبهم مرض، وعن المشركين القاسية قلوبهم، « وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فتخبت له قلوبهم، وإن الله لهاد الذين

آمنوا إلى صراط مستقيم » (الحج 53 ـ54). « فالنصارى » هم المسلمون من قبله، لذلك « يخرون للأذقان سجداً ... ويزيدهم خشوعاً » : **فهم أهل الإسلام وأهل الدعوة القرآنية للإسلام** من قبل محمد والقرآن.

فشهادتهم لمحمد والقرآن العربي تأخذ هنا موقف **المظاهرة الخاشعة.** وبسبب منزلتهم العظيمة لدى العرب، « كانت من عوامل طمأنينة المسلمين ووثوقهم، وقوة صمود الدعوة واستعلائها » . فهذه **وثيقة خطيرة** تشهد بقيام « النصارى » بالدعوة مع محمد، وكان لدورهم فيها النصيب الوافر بنجاحها.

*

الوثيقة السادسة : من سورة يونس (10 / 51)

« وما كان هذا القرآن أن يُفترى من دون الله!
ولكن تصديق الذي بين يديه
وتفصيل الكتاب، لا ريب فيه، من رب العالمين ... 37
وجاوزنا ببني إسرائيل البحرَ؛ فاتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا
حتى إذا أدركه الغرق قال : آمنت أن لا إِله
إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، وأنا من المسلمين ... 90
فإِن كنت في شك مما أنزلنا إليك
فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك :
لقد جاءك الحق من ربك، فلا تكوننَّ من الممترين ... 94
قلْ : يا أيها الناس إن كنتم في شك في ديني
فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله !
ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم! وأمرتُ أن أكون من المؤمنين » 104

في تصريح أول يعلن بأن القرآن العربي « **تفصيل الكتاب** » (37)، الكتاب « الذي بين يديه » أي قبله : فهو دعوة كتابية، لا دعوة جديدة.

يؤيد ذلك **تصريح ثان :** « وأُمرت أن أكون من المؤمنين » (104)، وهي مثل قوله : « وأمرت أن أكون من المسلمين » (النمل 90) أي من أهل الكتاب المسلمين من قبله (القصص 53)، وهم « النصارى » . **فالدعوة القرآنية كتابية « نصرانية »** ، وبصفة أخرى « حنيفية » (106). وكان « النصارى » يرادفون قبل القرآن بين الحنيفية والإسلام حتى الدعوة القرآنية، على ثلاثة مراحل من دعوتهم في مكة.

وهذا الإسلام الكتابي، « النصراني » ، الحنيف هو الإيمان بأنه « لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل » (90) كما يصرح به فرعون قبل غرقه. وهذا التوحيد الإسرائيلي الخالص هو الذي يدعو إليه النصارى من بني إسرائيل، الذين آمنوا بعيسى والإنجيل، وبمحمد والقرآن؛ لذلك كانت الدعوة القرآنية « تأييداً » للنصرانية على اليهودية حتى الظهور المبين (الصف 14).

فالإيمان الحق هو إيمان « النصارى » ؛ والإسلام الحق هو إسلام « النصارى » ؛ والإله الحق هو « الذي آمنت به بنو إسرائيل » من النصارى : فالدعوة القرآنية « نصرانية ».

وفي تصريح ثالث يحيله إلى الذين يقرؤن الكتاب من قبلك » حين الشك « مما أنزلنا إليك » (94). **فالقرآن العربي هو قراءة عربية للكتاب** على مثال « الذين يقرؤن الكتاب من قبلك » . فما على محمد أن يشك في ذلك، لأن أساتذته يشهدون به. وهذه شهادة أخرى قاطعة على أن الدعوة القرآنية كتابية، « نصرانية » ، لأنه لا يحيله إلى اليهود، « أول كافر به » . وهذا دليل على أن هؤلاء النصارى يقومون بالدعوة القرآنية ليس فقط لدى العرب، بل لدى محمد نفسه، « فلا تكونن من الممترين » (94).

*

الوثيقة السابعة : من سورة هود (11 / 52)

« أفمن كان على بينة من ربه ـ ويتلوه
شاهد منه، ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة ـ
أولئك يؤمنون به، ومَن يكفر به
من الأحزاب ، فالنار موعده
فلا تك في مرية منه، إنه الحق من
ربك، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون 17
فاستقم كما أمرت ومن تاب معك
ولا تطغوا، إنه بما تعملون بصير 113
ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار
وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تُنصرون 114
فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية
ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا
ممن أنجينا منهم، واتّبع الذين ظلموا
ما أُترفوا فيه، وكانوا مجرمين » 117

في **تصريح أول** يقول : إن « من كان على بينة من ربه ... أولئك يؤمنون به » (17). فسره البيضاوي : « أولئك يؤمنون به، إشارة إلى من كان على بينة، فهم يؤمنون بالقرآن ... قيل : هم مؤمنو أهل الكتاب » أي الذين منهم يؤمنون بالقرآن، فهم وحدهم النصارى، من دون اليهود لأنه من « أحزاب » مكة الذين يكفرون به؛ « والأحزاب أهل مكة ومن تحزّب معهم » (البيضاوي). وهذه شهادة متواترة على إيمان « النصارى » بالدعوة القرآنية.

وهم يؤمنون بها لأنها دعوتهم : « ويتلوه شاهد منه » ، وهو مثل قوله : « وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » (الأحقاف 10) : فالشاهد الإسرائيلي،

« النصراني » ، هو الذي يتلوه على محمد، لأن « مثله » عندهم. **فهم أهل الدعوة القرآنية لدى محمد « ومن تاب معك »** . فالنبوة المحمدية تظهر هنا « توبة » ، كما هي « هداية » إلى الإيمان بالكتاب (الشورى 52)، على طريقة المسلمين النصارى (القصص 53). فما على محمد أن يكون « في مرية » من ذلك.

والتصريح الثاني : « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك » (113). فعليه أن يستقيم على ما أمره الملاك في رؤيا حراء، مع جماعته، المتقين من العرب؛ « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا » أي الأحزاب (17 و114)، « أهل مكة ومن تحزب معهم » . ومن تحزب معهم هم « الذين ظلموا » من القرون من قبلكم أي اليهود ـ تلك صفتهم المتواترة.

والتصريح الثالث يقسم أهل « القرون من قبلكم » إلى « قليل ممن أنجبنا منهم » ، وإلى « الذين ظلموا ... وكانوا مجرمين » . وبما « أن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل 76)، فاليهود هم الظالمون المجرمون، والنصارى منهم هم « القليل ممن أنجينا منهم » . وهم « من كان على بينة من ربه ... أولئك يؤمنون به » (17). فالتصريح تحذير من مؤامرات اليهود مع أهل مكة على الدعوة القرآنية؛ **وشهادة على قيام « النصرانية » بالدعوة القرآنية،** « ينهون عن الفساد في الأرض » (117)، بالاستشهاد بهم (17) وشهادتهم للدعوة، وتطمين محمد « ومن تاب معك » على صحة الدعوة، وعلى الاستقامة عليها. فهم أهل الدعوة القرآنية أكثر من محمد وجماعته الذين يحتاجون إلى التحريض على الاستقامة عليها.

*

الوثيقة الثامنة : من سورة الأنعام (6 / 55)

« قلْ : إني أمرتُ أن أكون أول من أسلم ولا تكوننَّ من المشركين! 14
قلْ : إني أخاف، إنْ عصيت ربي، عذاب يوم عظيم ... 15

الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
أنفسهم، الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ! 20
ومَن أظلم ممّن افترى على الله كذباً،
أو كذّب بآياته : إنه لا يُفلح الظالمون ! 21
أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة
ـ فإن يكفر بها هؤلاء، **فقد وكلنا بها قوما** ليسوا بها بكافرين ـ 89
أولئك الذين هدى الله، فبهداهم اقتدهْ!
قلْ : لا أسألكم عليه أجراً، إن هو إلا ذكرى للعالمين 90
وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدّق
الذي بين يديه، ولتنذر أم القرى ومَن حولها
والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون
به، وهم على صلاتهم يحافظون 92
قد جاءكم بصائر من ربكم، فمن أبصر فلنفسه
ومَن عمي فعليها، وما أنا عليكم بحفيظ ! 104
وكذلك نصرّف الآيات! ـ وليقولوا :
درست! ـ ولنبيّنه لقوم يعلمون 105
أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصّلاً
والذين آتيناهم الكتاب يعلمون
إنه منزَّل ربك بالحق، فلا تكوننَّ من الممترين 114
قلْ: إن صلاتي ونسكي، ومحياي ومماتي، لله، رب العالمين
لا شريك له ! بذلك أمرتُ وأنا أول المسلمين! » 163

لقد سبق لنا تعليق أول على هذه السورة، لبيان انضمام محمد إلى

« النصرانية » والدعوة بدعوتهم. والآن ندرس النص نفسه لبيان دور « النصارى » في الدعوة القرآنية.

قلنا إن في هذه السورة إعلاناً جديداً : لقد أصبح محمد رئيس « النصارى » بمكة، « أول من أسلم » (14)، خليفة لنسيبه وأستاذه ورقة بن نوفل، قس مكة، وربما للإمام الأكبر بحيرى في بصرى. فقد توفيا، واستلم محمد قيادة الدعوة بالخلافة، معلناً « بذلك أمرت وأنا أول المسلمين » (163).

لذلك فهو متضامن متكافل معهم في وحدة الكتاب ووحدة الدعوة، بنتيجة درس الكتاب والدعوة كما يظهر من تصاريحه.

إن **وحدة الكتاب** الذي به يدعو محمد و « النصارى » معاً تقوم على أن « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه، كما يعرف أَبناءهم » (20) أي معرفة مصدرية، معرفة الأب لابنه. قال دروزة : « والآية تضمنت تقريراً قوياً واضحاً بمعرفة أهل الكتاب صحة التنزيل القرآني، معرفة لا يتطرق إليها أي شك، كما يعرف الأب ابنه. وطبيعي أن ينطوي في هذا **تقرير الوحدة** والتساوق، من جهة؛ **والثقة والاعتماد**، من جهة أخرى » . هذا ليس موقف أهل الكتاب كلهم، بل موقف « النصارى » : « الذين يؤمنون بالآخرة، يؤمنون به » (92)؛ وهم « الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة » (89)، والحكم تعبير عبري للحكمة أي الإنجيل. فالمعروفة الأبوية للقرآن دليل على وحدة الكتاب.

يؤيد ذلك، التصريح بدرس الكتاب (105)، فقد غفلوا هم عن دراسته، فدرسه هو لهم (156) لكي « يعلمهم الكتاب والحكمة » أي التوراة والإنجيل (2 : 129 و152؛ 3 : 164؛ 62 : 2). فالدعوة القرآنية نتيجة درس وتحصيل. لذلك فالقرآن العربي هو « الكتاب مفصّلاً » (114)، « مصدّق الذي بين يديه » (92) أي قبله : فهو نسخة عربية عن « المثل » الذي عند النصارى من بني إسرائيل (الأحقاف 10). ووحدة الكتاب دليل على وحدة الدعوة.

وإن **وحدة الدعوة** التي يقوم بها « النصارى » ومحمد كرئيس عليهم فيها تظهر من تصريحه : « فإن يكفر بها هؤلاء (أهل مكة)، **فقد وكلنا بها قوماً** ليسوا بها بكافرين » (89). إن « النصارى » موكلون من قِبَل الله بالدعوة القرآنية للكتاب والحكمة أي للتوراة والإنجيل.

يؤيّد ذلك تصريحه الآخر : « أولئك الذين هدى الله، **فبهداهم اقتده** » (90). إن محمداً، بالقرآن العربي، يقتدي بهدى « النصارى » ، ويدعو بدعوتهم : **فهم أهل الهدى والدعوة من قبله.** فعلى محمد أن يجعل دعوته على هدى دعوتهم. وهذا برهان انضمام محمد إليهم، وأخذ الهدى عنهم؛ وبرهان اشتراك « النصارى » بالدعوة القرآنية، لا اشتراك التابع للمتبوع، بل اشتراك الأب في عمل ابنه. فقد كان محمد ابن « النصرانية » ، وهو اليوم « رئيس النصارى » بمكة، على مثال أستاذه، ورقة بن نوفل، وزعيم « النصرانية » بالقرآن العربي : « بذلك أمرت، وأنا أول المسلمين » (163).

*

الوثيقة التاسعة : من سورة سبأ (34 / 58)

« والذين سعوا في آياتنا معاجزين
أولئك لهم عذاب من رجز أليم 1
ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك
هو الحق، ويهدي إلى صراط العزيز الحميد 6
وقال الذين كفروا : لن نؤمن بهذا القرآن
ولا بالذي بين يديه ـ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون 31
وما آتيناهم من كتب يدرسونها
وما أرسلنا إليهم من قبلك من نذير 44

لقد اجتمعت لمحمد في دعوته شهادة أَهل العلم، وشهادة كتبهم، وشهادة درس محمد لها مع أهلها، أولي العلم.

فهو يعتزّ على الدوام **بشهادة أولي العلم** لدعوته : ويرى الذين أوتوا العلم الذي أُنزل إليك من ربك هو الحق ›› (6). وأولو العلم مرادف لأهل الذكر، وأهل الكتاب. وبما أن اليهود كانوا ‹‹ أول كافر به ›› ، وأن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذين هم فيه يختلفون ›› ، فهو يقصد دائماً بأولي العلم الذي يستشهد بهم، ويشهدون له، النصارى من بني إسرائيل.

وكما يوحّد محمد بين القرآن، وبين ‹‹ الذي بين يديه ›› ، فالكافرون يوحدون أيضاً بينهما في كفرهم : ‹‹ وقال الذين كفروا : لن نؤمن بهذا القرآن، ولا بالذي بين يديه ›› (31). فوحدة الدعوة تقوم على وحدة الكتاب، سواء في الإيمان، أم في الكفر بها.

وهذه الوحدة في الكتاب والدعوة تقوم **بعد درس الكتاب** التي بين يدي القرآن؛ فهو يستعلي على بني قومه المشركين بدرسها : ‹‹ وما آتيناهم من كتب يدرسونها ›› (44)، كما أُوتي هو الكتب المقدسة التي يدرسها.

فالنصارى، أولو العلم المقسطون المحسنون، يشتركون مع محمد في درس الكتب المقدسة، وتدريسها للعرب بالدعوة القرآنية. فهم يشهدون للدعوة القرآنية لأنها دعوتهم، دعوة ‹‹ النصرانية ›› ، التي درّسوها لمحمد. ومحمد يستعلي على بني قومه بشهادة النصارى، ‹‹ الذين أوتوا العلم ›› ، وبدراسة كتبهم، والدعوة لها. فمحمد و ‹‹ النصارى ›› متكافلون متضامنون في الدرس والتدريس، في وحدة الكتاب، ووحدة الدعوة.

*

الوثيقة العاشرة : من سورة حم الأحقاف (46 / 66)

‹‹ قلْ : أرأيتم ، إن كان من عند الله، وكفرتم به
ـ وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله
1 فآمن واستكبرتم ـ إن الله لا يهدي القوم الظالمين

ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة   وهذا كتاب مصدّق لساناً عربياً
لينذر الذين ظلموا، وبشرى للمحسنين »   12

هذه الوثيقة شهادة ناطقة قاطعة على وجود « إمام » ، وعلى وجود « مثْل » للقرآن العربي عند بني إسرائيل.

أجل إن القرآن العربي « **من عند الله** » ؛ ولكن بما أنه صورة عربية طبق الأصل « للمثل » الذي عند بني إسرائيل، فإنه « تصديق الذي بين يديه، وتفصيل الكتاب » (يونس 37)؛ فهو « كتاب أُحكمت آياته، ثم فصلت من لدن حكيم خبير » (هود 1) : لقد أحكمت في كتاب موسى « الإمام » ، وفصلت في « المثل » ونقلت إلى العربية. هذا معنى قوله : « تنزيل من الرحمان الرحيم : كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً » (فصلت 1).

ففي هذه الآية « **شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله** » سرّ القرآن العربي: إنه نسخة عربية عن هذا « المثل » ، لا يختلف عنها إلا « لساناً عربياً » .

لكن ما هي هوية هذا الشاهد من بني إسرائيل؟

في أسباب النزول للسيوطي، كل الروايات تتفق على أنه يهودي، ابن سلام. وسار هذا التفسير إلى كل المفسرين.

قال دروزة في (سيرة الرسول 1 : 307) : « الآية (10) صريحة بأن بعض بني إسرائيل شهد بصدق التنزيل القرآني، ومماثلته لتنزيل ما بين يديه، وآمن به. وفيها شيء من المعنى الذي احتوته الآيات السابقة، من حيث الاعتداد بإيمان الكتاب الإسرائيلي **واعتباره حجة دامغة على المشركين** » .

ولكن فاتهم أولاً **إن بني إسرائيل يهود ونصارى،** بشهادته القاطعة : « فآمنت طائفة من بني إسرائيل (بالمسيح) وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14) : فالدعوة القرآنية تأييد « للنصرانية » على اليهودية حتى الظهور المبين. وفاتهم ثانياً : « إن هذا القرآن

يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل 76). فانتصر القرآن للنصارى على اليهود بدعوته للإيمان بالمسيح وأمه آية للعالمين (الأنبياء 91). وما كان ليهودي، مثل ابن سلام، أن يشهد مع القرآن للمسيح والإنجيل، بموجب « المثْل » الذي عندهم؛ ولا « مثْل » القرآن عندهم. إن هذا الشاهد الإسرائيلي **هو نصراني من بني إسرائيل.**

وهكذا، **فإن « مثْل » القرآن العربي عند النصارى من بني إسرائيل.** هذه الحقيقة الجوهرية هي أساس الوحدة بين « النصرانية » والدعوة القرآنية.

وبما « أن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل 76)، فهو يقسمهم إلى ظالمين لجحودهم بعيسى ثم بمحمد، وهم اليهود؛ وإلى محسنين أو مقسطين، لإيمانهم بعيسى ثم بمحمد، وهم النصارى من بني إسرائيل، كما في الآية (12).

فالقرآن، في تفصيل الخلاف بين بني إسرائيل اليهود والنصارى، جاء « لينذر الذين ظلموا، وبشرى للمحسنين » (12) : فهو إنذار لليهود الظالمين، وبشرى للنصارى المحسنين ـ وكلمة « بشرى » ترجمة حرفية « للإنجيل » بحسب أصل اللفظ اليوناني ـ فالقرآن، بنظره، إنجيل للنصارى المحسنين، المقسطين، المسلمين من قبله. وهذا هو الدليل على أن الدعوة القرآنية « نصرانية » يقوم بها محمد والنصارى لدى العرب ولدى أهل الكتاب. فالقرآن يشهد « للنصارى » ، و « النصارى » يشهدون للقرآن : وهذه الشهادة ثابتة قائمة على وحدة « المثْل » الذي في الأصل، كما في تفصيله « لساناً عربياً » .

*

الوثيقة الحادية عشرة : من سورة النحل (16 / 70)

« ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول : أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم ؟
قال الذين أوتوا العلم : إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين ...
27

وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم
فاسـألوا أَهل الذكـر إن كنتم لا تعلمون 43
بالبيّنات والزبر، وأنزلنا إليك الذكر
لتبيّن للناس مـا نزّل إليهم، ولعلهم يتفكرون 44
وإذا بدّلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزّل،
قالوا : إنما أنت مفتر! بل أكثرهم لا يعلمون 101
قلْ : نزَّله روح القدس من ربك بالحق
ليثبت الذين آمنوا، وهدى وبشرى للمسلمين » 102

في تعليق سابق رأينا أهداف القرآن العربي، كما توضحها هذه السورة : الأول « لتبيّن للناس (المشركين العرب) ما نُزّل إليهم » (44)؛ الثاني لأهل الكتاب « لتبيّن لهم الذي اختلفوا فيه » (64)؛ الثالث « ليثبت الذين آمنوا » أي جماعة محمد (102)؛ الرابع « هدى وبشرى للمسلمين » أي النصارى (102). هنا نبحث قيام محمد و « النصارى » بالدعوة القرآنية.

فمحمد يستشهد دائماً على صحة دعوته بأهل الكتاب، أهل الذكر، الذين أوتوا العلم، أي على التخصيص « النصارى » منهم. ففي كل مسألة يقول : « فاسألوا أهل الذكر، إن كنتم لا تعلمون بالبيّنات والزبر » (43 - 44). وهذا الاستشهاد المتواصل بهم يدل على استعدادهم الدائم للشهادة له. وهذان الاستشهاد والشهادة دليل على وحدة الكتاب والأمة والدعوة، يقوم بها محمد « والنصارى » جميعاً.

وشهادة أهل الذكر له تدوم إلى يوم القيامة، حيث « قال الذين أُوتوا العلم : إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين » (27). فهو يرادف بين أهل الذكر وبين الذين أُوتوا العلم. ونجزم بأنهما صفتان « للنصارى » على التخصيص، لأن اليهود كانوا « أول كافر به » .

وكما جاء القرآن « لينذر الذين ظلموا، وبشرى للمحسنين » (هود 12)، كان « ليثبت الذين آمنوا، وهدى وبشرى للمسلمين » (النحل 102). نلاحظ التمييز المتواصل بين « **الذين آمنوا** » أي جماعة محمد من العرب، وبين « **المسلمين** » : فالمسلمون الأوائل على التخصيص ليسوا جماعة محمد، بل « النصارى » المنادين : « إنا كنّا من قبله مسلمين » (القصص 53).

فالقرآن إنذار لليهود، « الذين ظلموا » .

والقرآن تثبيت للمتقين من العرب، « الذين آمنوا » .

والقرآن « هدى وبشرى للمسلمين » - والهدى كناية عن التوراة؛ والبشرى اسم الإنجيل - فالقرآن توراة وإنجيل معاً للنصارى المسلمين.

هذا ما يشهد به « النصارى » المسلمون : **فهم يقومون مع محمد بالدعوة القرآنية « النصرانية »** ؛ والقرآن يؤيد دعوتهم : « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14).

وهذان الاستشهاد والشهادة يقومان على وحدة الكتاب في « المثْل » الأصل، وفي القرآن العربي تفصيله والفصل. فقوله : « ولقد نعلم أنهم يقولون : إنما يعلمه بشر! ـ لسان الذين يلحدون إليه أعجمي، وهذا لسان عربي مبين » (103) يفسره قوله : « وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله (الأحقاف 10)، مهما كانت واسطة الترجمة والتفصيل؛ كما يوضحه قوله : « وما آتيناهم من كتب يدرسونها » (سبأ 44)، « أم لكم كتاب فيه تدرسون » (القلم 37)، كما عند محمد في « المثْل » وفي الكتاب « الإمام » .

فوحدة الكتاب في الأصل والفصل برهان على وحدة الدعوة والأمة.

*

الوثيقة الثانية عشرة : من سورة الأنبياء (21 / 73)

« وما أرسلناك قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم
فاسألوا أهل الذكر، وإن كنتم لا تعلمون 7

أم اتخذوا من دونه آلهة! ـ قلْ ۠ هاتوا برهانكم !
هذا ذكر من معي وذكر من قبلي! بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون!
24
والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا، وجعلناها وابنها آية للعالمين
إن هذه أمتكم، أمة واحدة وأنا ربكم، فاعبدونِ »
92 - 91

في تعليق سابق، استشهدنا بهذه الوثيقة على انضمام محمد إلى « النصارى » في « أمة واحدة » . ورأينا فيها **الإعلان الجديد** على قيام هذه « الأمة الواحدة » . وهنا نرى البرهان على « نصرانية » الدعوة القرآنية، وعلى « نصرانية » تلك الأمة الواحدة.

إن الدليل الأكبر على وحدة الدعوة القرآنية و « النصرانية » هو قيام هذه « الأمة الواحدة » في عقيدتها، وفي ذكرها، وفي شهادتها.

إنها واحدة في عقيدتها. فهو يختم ذكر أنبياء الكتاب بذكر « التي أحصنت فرجها، فنفخنا فيها من روحنا، وجعلناها وابنها آية للعالمين » (91). وهذا ليس إيمان اليهود، فهو إيمان محمد والنصارى من بني إسرائيل : فهم أمة واحدة.

إنها واحدة في ذكرها. يتّهم العرب المشركين باتخاذ آلهة من دون الله. ويستشهد على التوحيد « بذكر من معي وذكر من قبلي » (24). يقول في القرآن : « ولقد آتيناكم كتاباً فيه **ذكركم** » (10) : فيكون « ذكر من معي » ذكر النصارى؛ « وذكر مَن قبلي » ذكر اليهود. فالنصارى من بني إسرائيل هم أمة واحدة في وحدة الذكر، مع محمد.

إنها واحدة في شهادتها. في جداله مع المشركين، يستشهد بأهل الذكر على صحة النبوة والدعوة. فهذه الوحدة في الشهادة برهان الوحدة في العقيدة والدعوة.

فوحدة الأمة بين محمد و « النصارى » في الشهادة والذكر والعقيدة برهان على « نصرانية » الدعوة القرآنية، وعلى « نصرانية » الأمة الواحدة التي يعلن قيامها بهذه السورة.

*

الوثيقة الثالثة عشرة : من سورة « المؤمنون » (23 / 74)

« ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون 50
وجعلنا ابن مريم وأمة آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين 51
يا أيها الرسل كلوا من الطيّبات واعملوا صالحاً، إني بما تعملون عليم 52
وإن هذه أمتكم، أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون 53
فقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون 54
فذرهم في غمرتهم حتى حين 55
أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات؟ بل لا يشعرون 56 - 57
إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون 58 - 59
والذين هم بربهم لا يشركون 60
والذين يؤتون ما أتوا، وقلوبهم وجلة، أنهم إلى ربهم راجعون 61
أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون » 62

في هذا الفصل **تجديد الإعلان بقيام الأمة الواحدة**، على إيمان واحد بموسى وابن مريم (50 -53). وهذه العقيدة هي التي تميز هذه الأمة من سائر أهل الكتاب؛ فلا يقول بدين موسى وعيسى معاً ديناً واحداً إلا النصارى من بني إسرائيل (الشورى 13)؛ وهم وحدهم يقيمون التوراة والإنجيل شريعة واحدة (المائدة 71). وهذا هو الإيمان الذي يردّده القرآن بتواتر : « قل :

آمنا ... وما أُوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم، لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (البقرة 136؛ آل عمران 85). لذلك يقبل الجدال بالسيف مع اليهود، ولا يرضى إلا بالحسنى مع النصارى من أهل الكتاب؛ وهذه الحسنى هي الأمر بالقول : إن الإله واحد، والتنزيل واحد، والإسلام واحد (العنكبوت 46). وفي (المؤمنون) يميّز بين اليهود المشاقين « الذين قطعوا أمرهم بينهم زبراً » (54) ويتوعدهم : « فذرهم في غمرتهم حتى حين » (55)؛ وبين النصارى من بني إسرائيل، أهل الخشية والإيمان (58 -62).

فالأمة الواحدة المعلن عنها في (المؤمنون، والأنبياء) مؤلفة من النصارى من بني إسرائيل مع مَن تنصّر من العرب، ومن جماعة محمد. وهنا يبرز أيضاً دور « النصارى » في الدعوة : بالشهادة المتواصلة بإيمانهم بالدعوة القرآنية (59)، وبالإنفاق في سبيلها، فهم « يؤتون ما أتوا، وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون » (61) : إنهم ينفقون في سبيل الدعوة بتجرّد ولوجه الله. « فالنصارى » هم الذين يقومون بالدعوة القرآنية، بزعامة محمد، الذي صار « رئيس النصارى » بمكة. فوحدة الأمة والعقيدة والدعوة شهادات متواترة على « نصرانية » الدعوة القرآنية، يقوم بها « النصارى » مع محمد « أمة واحدة » .

*

الوثيقة الرابعة عشرة : من سورة العنكبوت (29 / 85)

« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ـ إلا الذين ظلموا منهم ـ
وقولوا : آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون 46
وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب
يؤمنون به ؛ ومن هؤلاء مَن يؤمن به ـ وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون » 47

في تعليق سابق رأينا أن هذا الفصل من آخر العهد بمكة قبل الهجرة (26) هو فصل الخطاب في « نصرانية » محمد، وفي « نصرانية » الدعوة القرآنية.

وهذه « النصرانية » في النبي والقرآن تظهر من **الوحدة القائمة الشاملة الكاملة** بين الدعوة القرآنية والدعوة « النصرانية » ، فإنه يأمر جماعته **بالشهادة :** « آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون » (46). فالإله واحد، والتنزيل واحد، والإسلام واحد. يقول : « فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به » (47) : هذا تعميم يُراد به التخصيص، فلا يشمل اليهود، « أول كافر به » ؛ ولا يشمل المسيحيين؛ إنما يقتصر على النصارى من بني إسرائيل، المسلمين من قبل محمد والقرآن (القصص 53)، وجاء القرآن تأييداً لهم على عدوهم، اليهودية، حتى النصر المبين (القصص 53)، وجاء القرآن تأييداً لهم على عدوهم، اليهودية، حتى النصر المبين (الصف 14). لذلك فهو يصف اليهود هنا بالصفة المتواترة، « الذين ظلموا » ، ويصح جدالهم بالسيف (46).

ونرى في هذا الفصل قيام **هؤلاء « النصارى » بالدعوة القرآنية مع محمد :** فإن جدالهم في سبيلها قد يصل إلى جماعة محمد أنفسهم، فيتدخل القرآن ليمنع جماعة محمد عن جدالهم، وليأمرهم بالتسليم معهم بوحدة الإله، ووحدة التنزيل ووحدة الإسلام (46).

ومظهر ثان من مظاهر نشاطهم، الشهادة للدعوة القرآنية بين العرب : « فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به » (47) : فاستشهاده بهم هو حجته الكبرى لدى بني قومه. ويرد على المشركين في افتراء القرآن من عنده، « بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم » (49)، وهو مثل قوله : « أَوَلم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل » (الشعراء 197). فالنصارى من بني إسرائيل « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » (الأنعام 20؛ البقرة 146) أي معرفة مصدرية، جعلته « آيات بيّنات في صدورهم » . فالدعوة القرآنية هي دعوة « النصارى » التي تبنَّاها محمد والقرآن، في وحدة تامة شاملة كاملة (46).

*

الوثيقة الخامسة عشرة : من سورة الرعد (13 / 90)

« والذين آتيناهم الكتاب يفرحون
بما أُنزل إليك؛ ومن الأحزاب من ينكر بعضه!
قل : إنما أمرتُ أن أعبد الله ولا أشرك به، إليه أدعو، وإليه مآبِ 38
وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتبعتَ أهواءهم
بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق 39
ويقول الذين كفروا : لست مرسلاً! ـ قلْ كفى بالله
شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب » 45

سورة (الرعد) مختلف فيها، والأصح أنها مكية، كما يظهر من أسلوبها، ومن موضوعها الذي هو جدال مع المشركين، ولا جهاد فيها، ولا تشريع، ولا من خصوصيات النبي.

نرى فيها الصراع الأهلي بين اليهود والنصارى من بني إسرائيل، في موقفهم من الدعوة القرآنية. فهو يكني دائماً عن « النصارى » باسم « أهل الكتاب » ، تعميم يقصد به تورية التخصيص. وفي قوله : « ومن الأحزاب من ينكر بعضه » (38) إشارة إلى اليهود المتحزبين مع أهل مكة المشركين ضدّ الدعوة القرآنية التي ينكرون منها الدعوة للمسيح والإنجيل. فيجيبهم بأنه ولو آمن بالمسيح، فهو لا يشرك بالله. ثم يحذره القرآن من إتباع أهواء اليهود « بعد ما جاءك من العلم » (39). وهكذا « فالنصارى » وحدهم « يفرحون بما أنزل إليك » (38)، لأن القرآن دعوة « نصرانية » في نظرهم.

يقول دروزة في (سيرة الرسول 1 : 107) : « وفيها (الآية 38) صراحة بما كان يستشعره الكتابيون ـ (أي النصارى) ـ من فرح واستبشار بالتنزيل القرآني، لما يرون فيه من **مطابقة للأهداف العليا** التي في كتبهم، ومن **وحدة**

مصدر. وطبيعي أن هذا لا بدّ أن يكون مفترياً **بتصديقه وتأييده**، ومستنداً إلى واقع مشاهد من جهة أخرى » .

ونرى فيها الصراع المتواصل مع المشركين الذين كفروا بالدعوة القرآنية، وتحزبوا عليها مع اليهود. فهم حتى نهاية العهد بمكة يقولون : « لست مرسلاً » ! ويأتي الردّ المتواتر طوال العهد بمكة : « كفى بالله شهيداً بيني وبينكم، ومَن عنده علم الكتاب » (45). شهادة الله تكون بالمعجزة، وموقف القرآن المكي من كل معجزة سلبي. تبقى شهادة « من عنده علم الكتاب » . وهم ليسوا اليهود « أول كافر به » ، بل « النصارى » . وشهادتهم تكفيه لأنهم عندهم « علم الكتاب » . فهو يدعو « بعلم الكتاب » كما يقول به النصارى، بحسب « المثْل » الذي معهم (الأحقاف 10). ويعتبر شهادتهم من شهادة الله وملائكته (آل عمران 18 ـ 19). وشهادتهم للقرآن تعني « **نصرانية** » **الدعوة :** فهم يفرحون بها ويؤيدونها لأنها دعوتهم : « وأُمرت أن أكون من المسلمين » .

* * *

خاتمة البحث : « النصارى » والدعوة القرآنية بمكة

للقرآن المكي غايتان. **الأولى** فرض دين موسى وعيسى معاً، ديناً واحداً على العرب : « شرع الله لكم من الدين ... ما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين، ولا تتفرّقوا فيه » (الشورى 63). ما وصى الله به إبراهيم لم يصلنا إلا بتوراة موسى. فالدين الذي يشرعه القرآن للعرب هو دين موسى وعيسى معاً، ديناً واحداً، بإقامة التوراة والإنجيل معاً، شرعاً واحداً. ولا يقول بذلك من أهل الكتاب إلا النصارى من بني إسرائيل وحدهم من دون اليهود، ولا المسيحيين.

والثانية فصل الخلاف بين اليهود والنصارى من بني إسرائيل : « إن هذا

القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون (النمل 76). وهذا الفصل يقوم بالانتصار للنصارى على اليهود حتى النصر المبين : « فآمنت طائفة من بني إسرائيل (بالمسيح) وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14). كان هذا الموقف مستوراً ببراعة في مكة، وأصبح مكشوفاً بصراحة في المدينة. لذلك جاءت التعابير عنه بمكة بأسلوب التعميم، وهو يقصد التخصيص، كما يتضح من القرائن القريبة والبعيدة.

ومن أسلوب التعميم في التعبير، كقوله : « والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك » (الرعد 38) نشأت **الشبهة** التي جعلت بعضهم يزعم بأن جميع الكتابيين من يهود ومسيحيين قد استجابوا للدعوة القرآنية بمكة وانضموا إليها يقول الأستاذ دروزة في (سيرة الرسول 1 : 310 و308) : « وقد جاءت هذه الآيات[1] في سياق إنذار المشركين والتنديد بهم والحجاج معهم؛ وبسبيل نفي الخلاف عن الأهداف والمبادئ السامية، ثم بسبيل دحض حجة المشركين العرب باختلاف الكتابيين، واتخاذهم ذلك وسيلة للتمسك بما عندهم والتبجح به ... والآيات، باستثناء آية (الأحقاف 10) لا تذكر **هوية الكتابيين**، حيث تذكرهم مطلقين. أما الآية المذكورة، فإنها تذكر صفة الشاهد صراحة، وهو إسرائيلي ... وهكذا يصح أن يقال، إن أهل الديانتين الكتابيتين، **اليهود والنصارى، قد قابلوا الدعوة النبوية في مكة مقابلة إيجابية،** فشهدوا بصدقها وصدق التنزيل القرآني، وآمنوا بهما. وننبّه إلى أن الصَيغ القرآنية تلهم أن الكتابيين في مكة، **إطلاقاً**، وقفوا هذا الموقف؛ كما أن تكرار تقرير القرآن ذلك يلهم أن هذا الموقف، وهذه المقابلة **كانت من كافتهم**. وروايات السيرة لم تذكر، فيما أطلعنا عليه، أنه ظلّ في مكة كتابيون متمسكون بأديانهم، ولم يندمجوا في الدعوة الإسلامية » .

(1) هود 110، فصلت 45، الشورى 13 - 14، الزخرف 63 - 65، الجاثية 16 - 17، السجدة 23 - 25، النمل 76 - 77.

لقد وهم الأستاذ دروزة، وفاته كما فات غيره، أن القرآن المكي يقصر خطابه مع أهل الكتاب بمكة على بني إسرائيل، من يهود ونصارى (النمل 76) ـ فلا يدخل في مجال دعوته المسيحيون. وفاته، كما فات غيره، الفرق بين النصارى من بني إسرائيل، والمسيحيين من الأمميين. فلا اليهود بمكة آمنوا بالدعوة القرآنية، والمسيحيون على الحياد. إنما الصراع كان مع أهل الكتاب من بني إسرائيل، اليهود والنصارى منهم، كما يشهد بذلك في مكة : « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الأعراف 158)، وهم النصارى من بني إسرائيل، كما يتضح من شهادته بالمدينة : « **فآمنت طائفة من بني إسرائيل** (بالمسيح) وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14). فالصراع في القرآن المكي يدور بين اليهود والنصارى من بني إسرائيل ـ ولا دخل للمسيحيين فيه على الإطلاق ـ وكانت **الدعوة القرآنية انتصاراً « للنصرانية » على اليهودية** منذ مبعثها. وهذا صريح في آخر العهد بمكة، حين يمنع الجدال مع أهل الكتاب إِلا بالحسنى ـ إِلا مع الذين ظلموا منهم أي اليهود الذين يصح جدالهم بالسيف؛ أما مع أهل الكتاب المحسنين، المقسطين، المسلمين، فيجب الإيمان معهم بأن الإله واحد، والتنزيل واحد، والإسلام واحد (العنكبوت 46). وهذا الإيمان لا ينطبق إِلا على النصارى من بني إسرائيل. لذلك فهو يتوعّد اليهود الظالمين : « فذرهم في غمرتهم حتى حين » (المؤمنون 55)؛ فقد جاء القرآن « لينذر الذين ظلموا، وبشرى للمحسنين » من بني إسرائيل (الأحقاف 12)؛ وهو يقتدي بهدى « الذين آتيناهم الكتاب والحكم (الحكمة) والنبوة » (الأنعام 90)، ليعلم العرب « الكتاب والحكمة » أي التوراة والإنجيل، ولا يقول بهدى التوراة والإنجيل، ويقيم شريعة التوراة والإنجيل إلا النصارى من بني إسرائيل.

وهذا هو معنى قوله : « أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل » (الشعراء 197) أي من النصارى؛ ومعنى قوله : « وشهد شاهد من بني إسرائيل

على مثله » (الأحقاف 10) أي من النصارى، كما تدل كل القرائن القرآنية. يكفي حديث « النبي الأمي » حيث الحسنة ليست للذين هادوا، بل للذين يؤمنون مع محمد « بالله وكلمته » ، وهم « من قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الأعراف 158). وهذا الحديث يقطع بجحود اليهود بمكة للدعوة القرآنية، وبتبني النصارى من بني إسرائيل لها ـ ويظل المسيحيون بعيدين عن الصراع بمكة (النمل 76).

وقد تنبّه الأستاذ دروزة إلى شيء من ذلك، فقال في (سيرة الرسول 1 : 308 و312) : « والمعروف بإلهام القرآن، على ما شرحناه في كتابنا (عصر النبي وبيئته قبل البعثة) أنه كان **عدد غير يسير من جوالي النصارى مستوطنين مكة.** ولقد ذكرت روايات السيرة، وكتب التراجم، أسماء كثيرين من الكتابيين الذين اندمجوا في الدعوة، في مكة، تحمل طابع الأسماء النصرانية؛ كما أن بعض الروايات[1] ذكرت قدوم وفد نصراني إلى مكة، بعد البعثة، مستطلعاً نبأ النبي العربي وأعلن إيمانه به » . وأضاف : « هذا، إلى ما كان من **مطابقة** بين التقريرات القرآنية، وما كان عليه **بعض الفرق النصرانية** من عقائد ومذاهب، أو من **مقاربة** : إذ من المحتمل أن تكون **الجاليات النصرانية في مكة من هذه الفرق.** فكان ذلك عاملاً في إقبال الذين أقبلوا منهم على الإسلام بيسر وارتياح وإخلاص » . وزاد في الحاشية : « في تاريخ (انتشار الإسلام) للمستشرق الإنكليزي، أرنولد، تقريرات مستندة إلى وثائق ودراسات تدل على أنه كان بين الفرق النصرانية من يتطابق مذهبه مع التقريرات القرآنية في شأن عيسى عليه السلام » .

---

(1) ليس من رواية صحيحة تروي قدوم وفد مسيحي على محمد في مكة، إنما جماعته تهاجر إلى الحبشة، وهو يهاجر إلى الطائف ثم إلى المدينة. وبعض الروايات المذكورة لا صحة لها، لأنها قامت لتفسّر شهادة بعض أهل الكتاب بالإسلام (القصص 52). وأسباب نزول الآية للسيوطي تذكر عشرة رجال منهم رفاعة القرظي وعبد الله بن سلام، وهما يهوديان من أهل الحجاز. وشهادة (القصص 52 ـ 55) هي شهادة النصارى من بني إسرائيل جميعهم بإسلامهم من قبل القرآن، ومع القرآن.

كلاّ لم يكن في زمن الدعوة القرآنية من فرقة مسيحية يتطابق مذهبها مع التقريرات القرآنية بشأن عيسى. فالمسيحيون أجمعون، بفرقهم الثلاث المعروفة في زمن البعثة المحمدية والفتح العربي، الملكانية واليعقوبية والنسطورية، كلهم يؤمنون بأن « المسيح ابن الله » (التوبة 31). ولكن فات المسلمين والمستشرقين الفرق بين « النصارى » من بني إسرائيل والمسيحيين من الأمميين. فالنصارى من بني إسرائيل هم الذين كانوا مستوطنين مكة، وهم الذين قاموا مع محمد بالدعوة القرآنية. ولم يتصل محمد بالمسيحيين على الإطلاق في مكة، سوى هجرة بعض جماعته إلى الحبشة؛ واتصل بالمدينة مع وفد نجران المسيحي من البدعة اليعقوبية الذي ملأت مباحثاته سورة القرآن المدني، كما سنرى.

فالنصارى من بني إسرائيل، ومن « تنصّر » معهم من العرب كورقة بن نوفل قس مكة، والسيدة خديجة، زوج محمد، وابنة عم القس ـ هم الذين قاموا بالدعوة القرآنية بزعامة محمد، بالشهادة لها، والإنفاق في سبيلها، واحتمال الأذى من أجلها. فهم الذين « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » (الأنعام 20)؛ والقرآن نفسه « هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم » (العنكبوت 46) لأن عندهم « مثْل » القرآن، كما « شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » (الأحقاف 10). فما بين الدعوة القرآنية و « النصرانية » : الكتاب واحد، والعقيدة واحدة، والأمة واحدة، والدعوة واحدة. وهذا شاهد قيّم على « تنصّر » محمد، وعلى « تنصّر » الدعوة القرآنية.

فالقرآن دعوة « نصرانية » .

* * *

بحث ثالث

الوثائق القرآنية المدنية « لتنصر » محمد ودعوته

تمهيد : مبادئ سبعة في فهم الوثائق المدنية

أولاً : المخاطبون في القرآن المدني

كانت المدينة ـ واسمها « يثرب » في الجاهلية ـ من قرى اليهود المحصنة في الحجاز. استعمرها بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، من اليهود. ونزل عليهم فيها الأوس والخزرج من اليمن. لذلك كان العرب فيها على الخلاف بين القحطانية والعدنانية؛ وبسبب جوارهم من اليهود كانوا أكثر انفتاحاً على التوحيد من غيرهم؛ لكنهم نافقوا كثيراً بين محمد واليهود. لذلك نرى القرآن المدني مشحوناً بحديث اليهود، وحديث المنافقين.

ونعرف من القرآن المدني (الحديد 27، الصف 14، المائدة 85 ـ 86، آل عمران 113) أن بعض النصارى من بني إسرائيل كانوا مقيمين فيها، والقرآن يشيد بهم وبإسلامهم. ونعرف من قصة أبي عامر الراهب، ومسجد الضرار الذي بناه جماعته، ضراراً بمسجد النبي ودعوتهن أنه كان أيضاً في المدينة بعض المسيحيين. **لكنهم لم يدخلوا في جدال مع محمد والقرآن**، فكانوا بالمدينة كما بمكة على الحياد. ولما شعر الراهب بالخطر ذهب يستنصر قيصر ولم يرجع.

إن الجدال بين القرآن والمسيحية جاءَ من وفد نجران. وعند جمع القرآن وزعوه على سور (آل عمران والنساء والمائدة). والحملة القرآنية على المسيحية العربية

كانت بمناسبة غزوتي مؤتة وتبوك إلى مشارف الشام؛ فهي كان عارضة؛ وأهلها على البدعة مثل نجران.

من هنا تأتي صراحة القرآن المدني بالنسبة للمكي. في مكة كان يذكر « أهل الكتاب » جملة، وهو يقصد التخصيص كما تدل القرائن. أما في القرآن المدني فهو يصرّح بخطاب اليهود، وخطاب المنافقين، وخطاب النصارى - مع اشتباه دائم هل يقصد النصارى أم المسيحيين؛ لكنه قبل تصفية اليهود، وإعلان نصر « النصرانية » عليهم (الصف 14)، لا جدال مع المسيحيين. من هنا نشأ مشكل ومعنى « النصارى » في السور المدنية الأولى.

ويشغل القرآن المدني حديث اليهود والمنافقين، وتشريع الجهاد ضدّ المشركين، وتنزيل التشريع للمسلمين. فيبقى **حديث النصارى والمسيحيين قليلاً** بالنسبة إليهم جميعاً. قال دروزة في (سيرة الرسول 2 : 146) : « وقلة الآيات المدنية التي تشير إلى إيمان النصارى بالنبي والقرآن يمكن أن تعلل بأن الذين لقوا النبي في المدينة كانوا قليلين - مئات قليلة (ص 144) - فلم تتكرر مشاهد إيمانهم بحيث تذكر في القرآن كثيراً. وإن ما جاء فيهم في القرآن المدني، وخاصة في آيات (المائدة 82 –85) و (الحديد 27) من **الثناء المحبّب**، قد جاء بأسلوب مطلق وتعميمي، **ويكاد يوحي بأنه يشملهم كافة**. وقد ينطوي هذا على الإشارة إلى أن أكثر الذين لقوا النبي ص في المدينة قد آمنوا به وصدّقوا التنزيل القرآني. كما يحمل على القول : إن الحملة عليهم التي وردت في آيات (التوبة 29 -33) قد عنت بعض الوفود التي ظلت على جحودها ومكابرتها؛ وعنت كذلك الذين وقفوا موقف البغي؛ وأمر النبي والمسلمون بقتالهم، من سكان مشارف الشام » . فنرى هنا أيضاً أن الأستاذ دروزة، مثل غيره، يخلط بين « النصارى » وبين المسيحيين : فالنصارى موالون، والمسيحيون على الحياد.

ثانياً : موقف القرآن المتعارض ظاهرياً من النصارى

موقف القرآن يتعارض بحق آل عيسى بين « **الثناء والمحبب** » وبين « **الحملة**

عليهم ». لكنه تعارض ظاهري. **والشبهة القرآنية** في إطلاق اسم نصارى على « النصارى » من بني إسرائيل ـ وكانوا أمة واحدة مع جماعة محمد ـ وعلى المسيحيين من سائر الأمم، كوفد نجران الذي يملأ خبره السور المدنية، وكأهل مشارف الشام الذين تحول الجهاد إليهم، بعد القضاء على اليهود في الحجاز. وهذه **الشبهة اللغوية** في القرآن قد وقع فيها الرأي العام منذ البدء إلى اليوم، وسرت على العلماء المسلمين والمستشرقين؛ وكانت سبب الاضطرابات المتواترة في العقيدة والتفسير والسياسة والتاريخ. إن « الثناء المحبب » المتواتر هو في « النصارى » ؛ أما الحملات القرآنية كما في جدال وفد نجران، وفي جهاد أهل مشارف الشام، فهو في أولئك المسيحيين. ولو أدرك القوم هذا التمييز، لما أظهروا القرآن بمظهر التعارض، وهو منه براء. فالدعوة القرآنية كانت في المدينة، كما في مكة، « نصرانية » : « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14)، بظهورهم « أمةً وسطاً » على اليهودية وعلى المسيحية.

ثالثاً : سبب التعارض الظاهر في القرآن، من اسم النصارى

كان القرآن مع النصارى من بني إسرائيل « أمة واحدة » . لذلك فهو يسمي أهل الإنجيل عموماً نصارى، من باب التغليب. **ولا يرد على الإطلاق فيه اسم « مسيحيين »** ، مع أنه هو وحده الشائع في ديار وأمصار المسيحية في العالم، قبل القرآن وبعده. ومن نكد الدنيا على المسيحيين أن أطلقوا عليهم منذ الفتح العربي اسم نصارى؛ ويجوز أنهم استساغوه عند الفتح العربي تقيّةً، لمعرفتهم بوحدة الأمة بين المسلمين و « النصارى » المعزولين في الحجاز، والذين ذابوا في الإسلام، فسرى على المسيحيين.

فالقرآن يسمي نصارى : 1) **النصارى من بني إسرائيل**، الهاربين من دين الدولة عند الروم، إلى مكة والحجاز، والذين كانوا على أساس النهضة الجاهلية في التجارة والأدب والدين، بإطلاق الحركة الحنيفية، ثم بإطلاق الدعوة الإسلامية قبل القرآن، ثم بقيامهم مع النبي العربي بالدعوة القرآنية؛ 2)

المسيحيين من غير بني إسرائيل، وهم المسيحيون في الدنيا كلها، حتى من العرب في أطراف الجزيرة، من اليمن ونجران، حتى البحرين والهفوف والحيرة، مع بصرى بني غسان، والأنباط. فهؤلاء العرب التابعين للمسيح كانوا **مسيحيين، لا نصارى.** والمسيحيون كلهم، في الفرق القائمة حين الدعوة القرآنية والفتح العربي، الملكانية واليعقوبية والنسطورية، كانوا في وضع السنّة، بالنسبة للنصارى من بني إسرائيل ومن تنصّر معهم من العرب الذين كانوا في وضع الشيعة. وأتباع المسيح اليوم في العالم كله مسيحيون، لا نصارى. والقول « بالمسيح ابن الله » (التوبة 31) هو عقيدة المسيحيين أجمعين، لا مقال « النصارى » .

فلغة النصارى في إطلاق اسم نصارى على « النصارى » وعلى المسيحيين، كانت **سبب الشبهة** التي ورّطت المفسرين والمستشرقين في فهم القرآن وموقفه من المسيح والإنجيل والكتاب كله.

رابعاً شبهة أخرى في استخدام تعابير « أهل الكتاب » و « بني إسرائيل » .

يطلق القرآن اسم « أهل الكتاب » على اليهود وعلى النصارى وعلى المسيحيين، بأسلوب التعميم، وهو يقصد التخصيص الذي تدل عليه القرائن القريبة والبعيدة. ولكن أسلوب التعميم يورط في الشبهات، فتظهر التصاريح كأنها متعارضة؛ وما هي بمتعارضة متى فطن القارئ للأسلوب والقرائن. من ذلك قوله : « قل : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم : ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله : فإن تولوا فقولوا : أشهدوا بأنا مسلمون » (آل عمران 64). أسلوبها يشير بأنها مطلقة عامة؛ والواقع يأبى ذلك؛ فليس اليهود بمشركين ولا النصارى من بني إسرائيل. وأسباب النزول تدل على أنه الآية ختام حوار النبي لوفد نجران المسيحي : فهي دعوة تندبهم إلى الكف عن تأليه المسيح وعبادته. ومثل آخر في الآية التي تليها : « يا أهل الكتاب لمَ تحاجون في إبراهيم، وما أُنزلت التوراة ـ والإنجيل ـ إلا

من بعده، أفلا تعقلون » (آل عمران 65). ظاهر الحرف يعني التعميم، وقرائن النص والسورة تقصد اليهود، فالسورة جدال متواصل مع اليهود، إلا الفصل المقحم عليها من جدال وفد نجران (33 - 64). وكذلك القول عن تعبير « بني إسرائيل » ، فهو يعني اليهود والنصارى من بني إسرائيل؛ والقرائن تدل على المقصود بالتعميم، فلا يصح اقتصار التعبير على اليهود؛ إنما يجب الانتباه إلى القرائن اللفظية والمعنوية التي تحدّد هل المقصود اليهود أم النصارى على بني إسرائيل.

مثل آخر من المتشابه في تعبير « **أهل الكتاب** » : « إن الدين عند الله الإسلام » يشهد بها مع الله وملائكته « أولو العلم قائماً بالقسط » ؛ « وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » (آل عمران 18 -19). نعرف أن أولي العلم مرادف لأهل الكتاب، في اصطلاح القرآن : فكيف يشهدون وكيف يكفرون في آن واحد؟ إنها شبهة يتيه فيها كثيرون. الصفة التي تحدد « أولي العلم » ، وهي « قائماً بالقسط » (18) توضح أنهم « النصارى » المقسطون، لا اليهود الظالمون. لذلك فخلاف « الذين أوتوا الكتاب » (19) يحصرهم باليهود، الذين استثنى منهم « أولي العلم قائماً بالقسط » . وقد وقع أكثر المفسرين في مثل هذه الشبهات، وسرت عليهم فساؤوا فهم القرآن، **ونسبوا إلى « النصارى » أو إلى المسيحيين** ما ينسبه القرآن لأهل الكتاب من اليهود.

خامساً : صراع القرآن في المدينة

على جبهتين : **على الجبهة الخارجية**، مع مشركي مكة، ومنافقي المدينة، المعارضين للدعوة علناً أو سراً؛ وعلى الجبهة **الداخلية** مع أهل الكتاب الذي ينتمي إليهم.

فأهل الكتاب في المدينة هم : اليهود، و « النصارى » ، والمسيحيون جماعة الراهب أبي عامر؛ كذلك وفد نجران. وفئة من الثلاث تقبل الدعوة

القرآنية وتقوم بها مع محمد : « الذين آتيناهم الكتاب، يتلونه حق تلاوته، هم يؤمنون به » (البقرة 121) : وهم « أولو العلم قائماً بالقسط » الذين يشهدون مع الله وملائكته « أن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران 18 - 19). هؤلاء هم النصارى من بني إسرائيل ومن تنصّر معهم من العرب؛ فهم يشكلون « الأمة الوسط » بين اليهود والمسيحيين الذين لا يرضون عن النبي ولا عن الدعوة القرآنية (البقرة 120). « فالأمة الواحدة » التي أعلن عنها بمكة تظهر في المدينة « الأمة الوسط » (البقرة 143)، المؤلفة من جماعة محمد ومن النصارى من بني إسرائيل ومتنصرة العرب. **والخلاف** بين هذه « الأمة الوسط » وسائر أهل الكتاب من يهود ومسيحيين يقوم على حقيقة الإيمان بالمسيح، وعلى « تلاوة الكتاب حق تلاوته » (البقرة 121)، وعلى الإيمان والعمل « بالكتاب كله » (آل عمران 119) أي التوراة والإنجيل معاً (المائدة 71). هذا الخلاف في المسيح والكتاب كله هو **الصراع الحقيقي الكبير** في القرآن المدني.

فقد « تنصّر » محمد والقرآن، على طريقة « المثْل » الذي مع النصارى من بني إسرائيل، وحاول أن يفرض هذه « النصرانية » الإسلامية بالجهاد على الجبهة الخارجية، وبالجدال ثم بالجهاد على الجبهة الداخلية، أي على اليهود أولاً، ثم على المسيحيين العرب.

وهكذا يظهر أن القرآن المدني ليس دعوة ضد الشرك العربي لدى العرب الموحّدين، أكثر منه **دعوة لفرض « النصرانية »** على العرب الموحّدين، وعلى أهل الكتاب من يهود ومسيحيين، المعارضين : « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14). فالقرآن هو بحق **دعوة « نصرانية »** ، **ومحور الصراع فيه هو المسيح**، أكثر من التوحيد. فالقرآن يدعو إلى الإيمان بالله والمسيح والكتاب كله، في « أمة وسط » بين اليهودية والمسيحية، هي « النصرانية » باسم الإسلام القرآني.

سادساً: تعبير القرآن المتشابه في « النصارى »

كان العهد الأول في المدينة جدالاً متواصلاً مع اليهود حتى تمت تصفيتهم من المدينة. يتخلّله ذكر عابر للنصارى، تارة بالذكر العنيف، وطوراً « بالثناء المحبب » (آل عمران 113). وفي العهد الثاني المدني، بعد فتح الحديبية، وفتح وادي القرى في شمال الحجاز، بدأ القرآن حملة تصاعدية على النصارى، تدعمها غزوة مؤتة ثم تبوك على مشارف الشام، وغالبية سكانها من النصارى العرب أو السوريين؛ يتخللها الإعلان الصريح بإسلام « الذين قالوا إنا نصارى » (المائدة 85 - 89).

فأي نصارى يذكر القرآن ما بين الذكر العنيف و « الثناء المحبب » ؟ يحار المفسرون في هذه الظاهرة؛ ويراها بعض أهل الكتاب السطحيين من التناقض. وليس من تناقض، ولا من حيرة.

إن القرآن « أمة واحدة » مع النصارى من بني إسرائيل، هي « الأمة الوسط » بين اليهودية والمسيحية. لكنه يطلق أيضاً اسم نصارى على المسيحيين، وهنا **مصدر الشبهة** التي تبعث على الحيرة وتهمة التعارض. لكن القرائن في النصوص كفيلة بكشف المعنى.

لقد تصدّى القرآن لبعض المسيحيين المقيمين في المدينة، جماعة الراهب أبي عامر، أصحاب « مسجد الضرار » ، تجاه مسجد النبي في قباء. ولما استفحل أمر النبي ذهب أبو عامر يستنصر قيصر على دولة محمد الناشئة. فهل كان هذا الراهب نصرانياً أم مسيحياً؟ لا شيء في القرآن يوضح لنا مذهبه. لكن انضمام « النصارى » جميعاً إلى الدعوة القرآنية، وفرار أبي عامر يستنصر قيصر على الدعوة القرآنية، قرائن تدل على أنه كان مسيحياً يتزعم جماعة من أهل المدينة. لذلك أمر محمد يهدم « مسجد الضرار » المسيحي، بعد غزوة تبوك.

وحملة مؤتة ثم حملة تبوك كانت ضد المسيحيين من عرب وسوريين. وهذا سبب الحملة القرآنية المتصاعدة على هؤلاء باسم « نصارى » .

وما بين الغزوتين كانت قصة وفد نجران قصة وفد نجران المسيحي إلى المدينة، في ظروف تنزيل سورة (المائدة). فوزّعوا فصولها على القرآن المدني كله.

وإطلاق اسم (نصارى) على النصارى من بني إسرائيل وعلى المسيحيين سواء، هو **الشبهة الضخمة** في موقف القرآن المتردّد بين الذكر العنيف والثناء المحبب. ونظن أيضاً أن الأمر نفسه اشتبه على جامعي القرآن، بعد الفتح الإسلامي الأول؛ فذكروا النصارى في موضع المسيحيين فاشتبه الأمر، كما في قوله : « وقالوا : كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا » (البقرة 135). إن النصارى من بني إسرائيل هم « أولو العلم قائماً بالقسط » الذين يشهدون مع الله وملائكته « أن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران 18 - 19)، فهم أهل الهدى، في نظره؛ أما النصارى الذين يقابلون اليهود، وهم مثلهم لا يرضون عن النبي حتى يتبع ملتهم (البقرة 120) فهم مسيحيون.

هنا يبرز التعبير المتشابه في لغة القرآن : **النصارى**. فقد يعني النصارى من بني إسرائيل. وقد يعني المسيحيين. هكذا في هاتين الآيتين المتعاقبتين : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ... الذين آتيناهم الكتاب، يتلونه حق تلاوته، أولئك يؤمنون به » (البقرة 120 و121). فكيف لا يرضى النصارى عن النبي العربي، وهم « الذين آتيناهم الكتاب، يتلونه حق تلاوته، يؤمنون به » ؟ قال الجلالان بعد غيرهما : « نزلت في جماعة قدموا من الحبشة وأسلموا » . ولكن صيغة التعبير المطلقة تتجاوز حادثاً محصوراً، إذا صح أنه حدث. إن « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته » هم النصارى من بني إسرائيل ومن تنصّر معهم من العرب، الذين جاء القرآن ينصرهم على اليهود (الصف 14). أما النصارى الذين لا يرضون عن النبي العربي حتى يتبع ملتهم، فهم مسيحيون في مقابلة اليهود. لذلك جعل جماعته مع النصارى من بني إسرائيل « **أمةً وسطا** ليكونوا شهداء على الناس » (البقرة 143). فالإسلام، تعريب « النصرانية » أمة وسطاً بين اليهودية والمسيحية التي عرفها.

سابعاً : الوثائق القرآنية في العهد المدني بحق النصارى، وترتيبها

إن الوفد المسيحي الوحيد إلى المدينة، الذي كان الواسطة الوحيدة في القرآن للحوار مع المسيحية، والذي ترك أكبر الأثر فيه وفي السيرة النبوية والحديث الشريف، هو **وفد نجران.** ونجران على الحدود بين اليمن والحجاز، وكان غالبية سكانها من اليعاقبة، على دين الحبشة والأقباط في مصر. لذلك كان صراع الأحباش وأهل اليمن المسيحيين من جهة، والفرس وأوليائهم اليهود من جهة أخرى، على نجران، عنيفاً مستميتاً. وكان كذلك في نجران قس « نصراني » ، ابن ساعدة الأيادي مع جماعة قليلة. ووفد نجران لجدال محمد ومباحثته في المسيح الذي يدعو إليه كان من المسيحيين اليعاقبة. لذلك لا يعرف القرآن كله من المسيحية المنتشرة في دولة الروم والعالم **إلا هذه المسيحية اليعقوبية،** التي بعد إجماع المجمع المسكوني الخلقيدوني على تحريم عقيدتها الخاصة أمست بدعة، عام 451. فالمسيحية الأرثذكسية الكاثوليكية السائدة في العالم، حين البعثة المحمدية والتي عرفوها باسم الملكية أم الملكانية، لم يتعرّض لها القرآن على الإطلاق. لذلك فحملته على تلك المسيحية لا تعني المسيحية، **ولا يصح مجال تطبيقها على المسيحية.** هذا ظلم للحقيقة، وخيانة للواقع القرآني.

استطلع **وفد نجران اليعقوبي** عقيدة محمد في المسيح، وباحثه، ثم وادعه وهادنه ورجع يترقب المصير. كان ذلك عام الوفود، من زمن سورة المائدة، لا من زمن سورة آل عمران، التي جاء في صدرها (33 ـ 64) خبر ردّ القرآن عليهم. لذلك نرى ضرورة نقل جدال النصارى من (آل عمران) (إلى المائدة)؛ وجدال اليهود من (المائدة) إلى (آل عمران) ـ لأنه حين نزول (المائدة) كان أمر اليهود قد صُفي في الحجاز كله، فلا مجال لهم لمناقشة القرآن ـ وذلك ليستقيم ترتيب النزول والتاريخ. وقد نشروا أيضاً جدال وفد نجران في سور (آل عمران، والنساء)، **في غير موضعه؛** وموضعه كله في سورة (المائدة). وأدهى من ذلك، إقحام ذكر النصارى المشبوه في السور المدنية

الأولى (البقرة، آل عمران، النساء) حيث الجدال قائم مع اليهودية وحدها. ولا جدال مع المسيحيين في العهد المدني الأول. فهناك إقحام لذكر النصارى أو المسيحيين في غير موضعه، كما هناك ترتيب للآيات القرآنية في خطاب النصارى والمسيحيين في غير موضعه أيضاً.

ففي الوثائق القرآنية بحق النصارى والمسيحيين، لا يتفق ترتيب التنزيل مع الترتيب في النسق الحالي؛ ويجب التمييز بين خطاب النصارى وخطاب المسيحيين، في التعبير المتشابه : « النصارى » ؛ ولا يصح إطلاق تعليم القرآن بحق مسيحية وفد نجران، على المسيحية العالمية.

لعلّ تلك المبادئ السبعة تهدينا لفهم الوثائق القرآنية المدنية، لانضمام محمد إلى « النصرانية » ، ولقيام « النصارى » معه بالدعوة القرآنية.

*

الوثيقة الأولى : من سورة البقرة (2 / 1 / 91)[1]

1) يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم
وأفوا بعهدي أوفِ بعهدكم وإيَّاي فارهبونِ 40
وآمنوا بما أنزلت مصدّقاً لما معكم
ولا تكونوا **أول كافر به** ... وإياي فاتقونِ 41
ولا تلبسوا الحق بالباطل
وتكتموا الحق وأنتم تعلمون 42
أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون
أنفسكم، وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون؟ 44

(1) الرقم الأول يدل على رقم المصحف؛ والثاني على ترتيب النزول في العهد المدني؛ والثالث على الترتيب العام. والآيات بنظم الرباعيات.

يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي
أنعمت عليكم، وإني فضلتكم على العالمين 47

2) ولقد آتينا موسى الكتاب، وقفّينا من بعده بالرسل
وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات، وأيدناه بروح القدس
أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم
استكبرتم : ففريقاً كذبتم، وفريقاً تقتلون ! 87

3) ولما جاءهم كتاب من عند الله
مصدّق لما معهم ـ وكانوا من قبل يستفتحون 87
على الذين كفروا ـ فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به : فلعنة الله على الكافرين 89
ولمّا جاءهم رسول من عند الله
مصدّق لما معهم، نبذ فريق
من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله
وراء ظهورهم، كأنهم لا يعلمون 101

4) وقالوا : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى!
ـ تلك أمانيهم! قلْ : هاتوا برهانكم، إن كنتم صادقين 111
بلى، مَن أسلم وجهه لله، **وهو محسن،**
فله أجره عند ربه، ولا خوف عليهم، ولا هم يحزنون 112
وقالت اليهود : ليست النصارى على شيء!
وقالت النصارى : ليست اليهود على شيء!
وهم يتلون الكتاب! كذلك قال الذين لا يعلمون
مثل قولهم! فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون 113

5) ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى ـ
حتى تتّبع ملتهم! ـ قل : إن الهدى هدى الله

ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك
120 من العلم، ما لك من وليّ ولا نصير!
الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته
121 أولئك يؤمنون به، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون
يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي
122 أنعمت عليكم ، وإني فضّلتكم على العالمين
6) وقالوا : كونوا هوداً ـ أو نصارى ـ تهتدوا
135 بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين
قولوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا
وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل
وإسحاق ويعقوب والأسباط ،
وما أوتي موسى وعيسى
وما أوتي النبيون من ربهم
139 لا نفرّق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون
7) أم تقولون : إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق
ويعقوب، والأسباط، كانوا هوداً ـ أو نصارى ـ
قلْ : أأنتم أعلم أم الله؟ ومن أظلم ممن كتم
140 شهادة عنده من الله، وما الله بغافل عمّا تعملون
وكذلك جعلناكم **أمة وسطاً** لتكونوا شهداء
143 على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيداً ...
ولئن آتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية
ما تبعوا قبلتك، وما أنت بتابع قبلتهم،
وما بعضهم بتابع قبلة بعض : ولئن اتبعت أهواءهم
145 من بعد ما جاءك من العلم، إنك إذاً لمن الظالمين

الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
أبناءهم! وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون 146
8) كان الناس أمـة واحـدة فبعث الله
النبيين مبشـرين ومنذريـن
وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس
فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلا الذين
أوتـوه من بعد ما جـاءتهم البينات
بغيـاً بينهـم ، **فهـدى الله** الـذين
آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه
والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » 213

*

يستفتح العهد المدني **بثلاث ظواهر كبرى** : « إعلان الأمة الوسط (143)، وتحويل القبلة من بيت المقدس إلى كعبة مكة (144 و149 - 150)، وإعلان الجهاد (190).

والصراع الداخلي ما زال يدور في المدينة، كما في مكة، بين اليهود والنصارى من بني إسرائيل؛ لكن في المدينة، بسبب سيطرة اليهود عليها، يبلغ الصراع ذروته منذ مطلع العهد : « وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد » (175)؛ « ولكن اختلفوا : فمنهم من آمن ومنهم من كفر! **ولو شاء الله ما اقتتلوا!** ولكن الله يفعل ما يريد » (253). وما اختلف أهل الكتـاب - وفي السورة كلها يقصد بني إسرائيل - إلا « من ما جاءتهم البينات بغياً بينهم » (213) أي بينات عيسى في الإنجيل : « فآمنت طـائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة » (الصف 14)، وهو تفسير لقوله : « **فمنهم من آمن ومنهم من كفر** » (253). **ولا ذكر في السورة للمسيحيين من غير بني إسرائيل**؛ فما زال « هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل 76). بل

يعلن موقفه صريحاً منهم : فيأخذ موقف النصارى من بني إسرائيل المحسنين (112) ويكفر اليهود الظالمين : « وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال : إني جاعلك للناس إماماً ـ قال : ومن ذريتي؟ ـ قال : لا ينال عهدي **الظالمين** » (124). والقرآن يحذر محمداً نفسه من ظلم اليهود : « ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم، إنك إذاً لمن الظالمين » (145). وهذا **« العلم » المشهود** هو علم « أولي العلم قائماً بالقسط » (آل عمران 18)، علم « النصرانية » ، « مَن عنده علم الكتاب » (الرعد 45).

1ـ والدلائل على « نصرانية » الدعوة القرآنية كثيرة، في سورة البقرة، بمناسبة إعلان الأمة الوسط (143). فالسورة كلها جدال متواصل مع اليهود الذين يعتبرهم القرآن « **أول كافر به** » (41) ويذكرهم ثلاث مرات بفضل الله عليهم وتفضيله لهم على العالمين (40 و47 و122)؛ وهو يستثني من بني إسرائيل، « أول كافر به » ، « الذين آتيناهم الكتاب، يتلونه حق تلاوته، أولئك يؤمنون به » (121). فالنصارى من بني إسرائيل يؤمنون بمحمد والقرآن لأنهم « يتلون الكتاب حق تلاوته » ، فهم متكافلون متضامنون معه بالدعوة، لأنها دعوتهم. واليهود ينبذونه لأنه لا يدعو بدعوتهم : « ولما جاءهم رسول من عند الله، مصدق لما معهم، نبذ **فريق من الذين أوتوا الكتاب** كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون » (101). على ضوء هذا التصريح يجب فهم التعميم في غير تصريح. ونلاحظ أن القرآن يسمي الكتاب المقدس الذي بين أيدي اليهود والنصارى « **كتاب الله** » (101)، ولو حاول اليهود طمس معانيه : « ولا تلبسوا الحق بالباطل، وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » (42).

2ـ ثم يصف صراع الفرق الثلاث بالمدينة : « وقالت اليهود : ليست النصارى على شيء! وقالت النصارى : ليست اليهود على شيء! ـ وهم يتلون الكتاب! ـ كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم » (113). فاليهود والنصارى من بني إسرائيل هم أولو العلم لأنهم أهل الكتاب؛ أما المشركون فهم « الذين

لا يعلمون » لأنهم بلا كتاب منزل. والفئات الثلاث تكفر بعضها بعضاً. ويستعلي اليهود على الكل بقولهم : « لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ـ أو نصارى » (111)؛ فقد كان شعارهم : « كونوا هوداً ـ (أو نصارى) ـ تهتدوا » (135). إن جدال القرآن المدني، في عهده الأول، هو مع اليهود، ويأتي ذكر « النصارى » فيه **مقحماً، لا على سبيل « الاستطراد » فقط**[1] :

ففي القرائن البعيدة والقريبة لهذه **الآيات الثلاث**، يقوم الجدال مع اليهود، ولا مجال لإقحام النصارى فيه : « وقالوا : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ـ أو نصارى ـ تلك أمانيهم! قل : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين! بل من أسلم وجهه لله، **وهو محسن**، فله أجره عند ربه، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (111 ـ 112)، فلا يمكن أن يقول اليهود عن « النصارى » هذا القول. « ولن ترضى عنك اليهود ـ ولا النصارى ـ حتى تتبع ملتهم » (120)؛ كذلك لا يصح أن يقول النصارى هذا القول بحق اليهود. ونرى أن النصارى من بني إسرائيل راضون عن محمد ودعوته (آل عمران 18 ـ 19؛ المائدة 85). « وقالوا : كونوا هوداً ـ أو نصارى تهتدوا » (135)، فلا يعقل أن يقول اليهود مثل هذا القول بحق النصارى. لأنه في المواقف الثلاثة وفي غيرها جميعاً، « قالت اليهود : ليست النصارى على شيء! وقالت النصارى : ليست اليهود على شيء » ! **والجناس اللفظي في شعارهم :** « كونوا هوداً تهتدوا » برهان قاطع أيضاً على إقحام ذكر النصارى في الآيات الثلاث. وجواب القرآن عليهم : « بلى من أسلم وجهه لله، وهو محسن، فله أجره عند ربه، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (87) يفضح الإقحام المكشوف. إن **المسلمين « المحسنين » أو المقسطين هم « النصارى » في اصطلاح القرآن،** لأنهم « أولو العلم قائماً بالقسط » الذين يشهدون مع الله وملائكته « أن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران 18 ـ

(1) دروزة : سيرة الرسول 2 : 145 و159 و160.

19)؛ « قلْ : نزّله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا، وهدى وبشرى للمسلمين » (النحل 102)؛ « لينذر الذين ظلموا، وبشرى للمحسنين » (الأحقاف 12) : فهو يميز « المحسنين » عن جماعة محمد « الذين آمنوا » ، وعن اليهود « الذين ظلموا » ؛ فالمحسنون هم « النصارى » ومن تنصّر معهم من العرب، وهم الذين يدخلون الجنة : فإقحام ذكر النصارى في الآية (111) مفضوح لأنه يخلق فيها تناقضاً. وهذه الشهادة « للنصارى » « المحسنين » بدخول الجنة برهان على « تنصّر » محمد والدعوة القرآنية.

3- والسورة صورة للخلاف المستحكم بين اليهود والنصارى من بني إسرائيل (113). ولكن ليس الخلاف الأكبر في الكتاب، « وهم يتلون الكتاب » (113)؛ إنما **الخلاف في عيسى**، وهو خلاف بلغ حدّ الاقتتال. والقرآن، في باب المفاضلة بين الرسل، يقف من المسيح موقف النصارى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض : منهم من كلَّم الله (موسى)؛ ورفع بعضهم درجات (ربما إلياس الحي)؛ وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات، وأيدناه بروح القدس. ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم، من بعد ما جاءتهم **البينات**. ولكن ما اختلفوا : فمنهم من آمن (النصارى)، ومنهم من كفر (اليهود)؛ ولو شاء الله ما اقتتلوا. ولكن الله يفعل ما يريد » (253). فاليهود والنصارى من بني إسرائيل يقتتلون منذ جاء عيسى بالبينات، لذلك يعتبر القرآن اليهود كافرين منذ المسيح : فدعوته « نصرانية » .

4- يقول دروزة في (سيرة الرسول 2 : 134) : « ففي هذه الآية وصف لواقع حال أهل الكتاب من لدن رسالة عيسى عليه السلام خاصة، وما آل إليه أمرهم من خلاف ونزاع. وهذا الوصف يشمل اليهود والنصارى. ومما لا يكاد يحتمل تردّداً أنه وصف لحالة كل من الفريقين في عهد النبي ص التي كان يشاهدها الناس، ومنهم العرب غير الكتابيين. ولقد كان يقع في ظروف البعثة النبوية

وقبلها بقليل قتال وثورات بين النصارى والإسرائيليين[1] في بلاد الشام، نتيجة لما كان من نزاع وعداء بينهم، ولما كانت فيه البلاد من اضطراب سياسي، إذ كان يتداول الحكم فيها الروم والفرس، فيتقوى النصارى بالأولين، كما يتقوى الإسرائيليون بالآخرين » .

إن الأستاذ دروزة يتوهم اقتتال اليهود والمسيحيين في زمن الدعوة القرآنية وما قبلها بقليل. وفاته أنه بعد إعلان المسيحية دين الدولة عند الروم، في الدستور التيودوسي في منتصف القرن الخامس هاجر اليهود بأكثرهم إلى دولة الفرس وكانوا طابورها الخامس عند العرب؛ وهاجر النصارى من بني إسرائيل إلى مكة والحجاز، أرض الحياد بين الدولتين. فمنذ قرنين لم يبق اقتتال في بلاد الشام بين اليهود والمسيحيين. إنما الاقتتال كان بين اليهود والنصارى من بني إسرائيل في ديار العرب للسيطرة الدينية فيها؛ وبسبب انتصار هؤلاء النصارى للدعوة القرآنية وشهادتهم « إن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران 18 ـ 19)، كان اليهود « يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس » (آل عمران 21)، وجاء جهاد القرآن انتصاراً « للنصارى » على عدوهم فأصبحوا ظاهرين (الصف 14). فهذا الاقتتال بين اليهود والنصارى من بني إسرائيل، وهذا الانتصار القرآني لهؤلاء النصارى على عدوهم اليهود، هما البرهان القاطع على « تنصّر » محمد والدعوة القرآنية.

5- ويظهر أيضاً « تنصّر » محمد والقرآن في **إعلان فضل عيسى** على موسى وعلى من « رفع بعضهم درجات » بالبينات التي امتازت بها دعوة السيد المسيح، خصوصاً بتأييد روح القدس له، « يسير معه حيث سار » (الجلالان 87 و253)، وهذا ما لم يفعله لا مع إبراهيم، ولا مع موسى، ولا مع محمد نفسه.

---

(1) هنا يأخذ الأستاذ اسم نصارى بمعنى مسيحيين، ويقصر الإسرائيليين على اليهود، فهو يجهل وجود النصارى من بني إسرائيل قبل الدعوة القرآنية التي ذابوا فيها.

فلا مجال للخلاف في فضل عيسى على النبيين أجمعين، ولا يمكن لليهود إنكاره. فالقرآن دعوة « نصرانية » للمسيح.

6- وفي هذه السورة تصل « نصرانية » الدعوة إلى **الإيمان باستشهاد المسيح قتلاً** على يد اليهود. يقول : « ولقد آتينا موسى الكتاب. وقفّينا من بعده بالرسل. وآتينا عيسى ابن مريم البينات، وأيدناه بروح القدس : أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم، ففريقاً كذبتم، وفريقاً تقتلون » (87). إن فضل عيسى على النبيين أجمعين ظاهر من الأسباب عينها. والآية تذكر « الرسل » جملة، وتستفتح بذكر موسى كما تختتم بذكر عيسى : **فالإشارة صريحة إلى أن الفريق المقتول هو عيسى**، لأن موسى وسائر الرسل كانوا على شريعته، فهم فريق واحد، وهو الفريق الذي كذبوه. فالقرآن دعوة « نصرانية » كاملة للمسيح.

7- وإيمان القرآن بعيسى هو إيمان « النصارى » الذين يجمعون في إسلام واحد ودين واحد موسى وعيسى. والأمر صريح : « قولوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، **وما أوتي موسى وعيسى**، وما أوتي النبيون من ربهم : لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (136). إن الجميع كانوا على شريعة موسى، فالإيمان « بما أوتي موسى وعيسى » على السواء هو ميزة « النصرانية » والدعوة القرآنية - ولا يعتدّ بذكر « إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط » ، لأن شريعة موسى كانت تجديداً احتضن شرائعهم، كما يتحدى القرآن اليهود : « **كل الطعام كان حلاً** لبني إسرائيل؛ إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه[1] من قبل أن تُنزّل التوراة. قلْ : فأتوا بالتوراة، فاتلوها، إن كنتم صادقين » (آل عمران 93). وهذه شهادة على أن النبي العربي درس دقائق الكتاب كلها. وهو يجادل اليهود بجدال الإنجيل

(1) قابل سفر التكوين 32 : 32.

لهم (مرقس 7 : 1 - 23) : « **بهذا أعلن أن كل الطعام حلٌ** » (7 : 19). فالإسلام الحق هو الإيمان « بما أوتي موسى وعيسى » مع التخفيف الواحد والتحريم الواحد الذي جاء به القرآن مع الإنجيل (سفر الأعمال 15 : 29؛ 21 : 25 - قابل البقرة 173؛ المائدة 3). فالقرآن في العقيدة والشريعة، دعوة « نصرانية » ؛ لأن المسيحية استباحت كل طعام : « كل خليقة الله حلال، ولا شيء رجس مما يؤخذ بشكر » (ا تيموتاوس 4 : 4).

وإيمان القرآن بالكتاب هو إيمان « النصارى » الذين لا يفرقون كاليهود والمسيحيين بين كتب الله ورسله : « آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه؛ والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله : لا نفرّق بين أحد من رسله ونحن له مسلمون » (285). فالإيمان « بالكتاب كله » (آل عمران 119) هو ميزتهم على سائر أهل الكتاب الذين « يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض » (البقرة 85) بعدم إقامة شرائعه. إن عدم التفريق بين التوراة والإنجيل، بين موسى وعيسى، هو ميزة القرآن و « النصرانية » . وهذه **ظاهرة كبرى** تكرّرها السورة (135 و 285).

9- وفهم القرآن للكتاب كله هو تفسير « النصارى » له : « الذين آتيناهم الكتاب **يتلونه حق تلاوته**، أولئك يؤمنون به؛ ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون » (121). فالنصارى هم الذين « يتلونه حق تلاوته » ، أي « **كما أنزل** » (الجلالان)، « بمراعاة اللفظ عن التحريف، والتدبر في معناه، والعمل بمقتضاه » (البيضاوي)؛ وهم الذين « يؤمنون به » أي « بكتابهم دون المحرفين » (البيضاوي)؛ بل الحري « بالنبي والقرآن[1] » ، لأن « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم؛ وإن فريقاً منهم (اليهود) ليكتمون الحق وهم يعلمون » (146). إن الدعوة القرآنية « نصرانية » مبنى ومعنى،

---

(1) دروزة : سيرة الرسول 2 : 145.

دعوة « وطريقة » : « فالآية (121) قد أشارت إلى الذين آمنوا من النصارى؛ إلى ما فيها من تعليل قوي بليغ لموقف الكافرين به » . وهي أيضاً شهادة ناطقة صريحة على **صحة تلاوة « كتاب الله »** ، التوراة والإنجيل، في زمن محمد، « حق تلاوته » أي « كما أُنزل » ؛ فهي تنقض نقضاً مبرماً كل خرافة تحريف لحرف الكتاب؛ وما التحريف المذكور فيما بعد سوى كتمان الحق والمعنى (146) أي إلباس الحق بالباطل في تفسير كتاب الله (42)، كما يفعل اليهود.

10- لذلك فإن « علم الكتاب » (الرعد 45) الحق هو عند « النصارى » . لذلك أيضاً يحذّر القرآن محمداً من ظلم اليهود وأهوائهم : « ولئن اتبعث أهواءهم، بعد ما جاءك من العلم، فإنك إذاً لمن الظالمين » (145). وهذه صفتهم المتواترة في السورة (95؛ 124؛ 145؛ 246). فقد ظلم اليهود أنفسهم بالكفر بالمسيح « من بعد ما جاءتهم البينات، بغياً بينهم » (213). وقد هدى الله « الذين آمنوا » من العرب بالدعوة القرآنية، إلى الحق والعلم اللذين عند النصارى : « فهدى الله الذين آمنوا، لما اختلفوا فيه من الحق؛ والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » (213)، صراط الذين « يتلون الكتاب حق تلاوته » . فهذا إعلان صريح بوحدة الإيمان والأمة والكتاب بين محمد و « النصارى » .

11- تلك الأسباب كلها تقود إلى إعلان القرآن المدني عند مطلعه قيام « الأمة الوسط » من جماعة محمد و « النصارى » : « وكذلك جعلناكم **أمة وسطاً**، لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيداً » (143). فالإسلام القرآني، « النصراني » الذي يؤمن بموسى وعيسى، كتاباً واحداً وديناً واحداً (135 و 285) يشرعه للعرب (الشورى 13) هو برهان الأمة الوسط الواحدة بين اليهودية والمسيحية. فالقرآن دعوة « نصرانية » لأمة « تتنصّر » . هكذا اهتدى « الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق » ، إلى الصراط المستقيم (213).

12- تلك هي الظاهرة الكبرى الأولى في المدينة. **والظاهرة الثانية الكبرى**

هي تحويل القبلة إلى كعبة مكة، والقرآن يعطيها شعاراً مميزاً لتلك الأمة الوسط : « ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » (123)؛ ثم « لئلا يكون للناس عليكم حجة، إلا الذين ظلموا منهم » (150) أي لإيلاف العرب إلى الدعوة القرآنية ورفع الاتهام بأنها أجنبية ترفع الحياد العربي بين الفرس والروم (القصص 57).

كان « النصارى » لا يصلّون إلى الشرق مثل المسيحيين، ولا إلى الغرب مثل اليهود، بل إلى بيت المقدس، باتجاه أورشليم، حيثما كانوا. وظل محمد على قبلتهم حتى تحويلها إلى البيت العتيق، « شطر المسجد الحرام » فأثار تحويل القبلة غضبة عنيفة عند اليهود، « كانت كبيرة » (143) : « سيقول السفهاء من الناس : ما ولاّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها » (142). إن « السفهاء من الناس » هنا هم اليهود، لأن المشركين يرون في ذلك عودة إلى دين الأجداد. أما « النصارى » فقد وافقوا على حكمة التحول، لأنهم رأوا فيها تعريب الإسلام « النصراني » لتأليف العرب : « قل : لله المشرق والمغرب، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » (142)؛ « وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله، وما كان الله ليضيع إيمانكم، إن الله بالناس لرؤوف رحيم » (143)؛ لذلك « **إن الذين أوتوا الكتاب** (النصارى) **ليعلمون أنه الحق من ربهم**، وما الله بغافل عمّا يعملون » (144)، فقد فهم « النصارى » حكمة التحويل، وقبلوا بها، واندمجوا معها اندماجاً كاملاً (المائدة 85 - 89). فرضى « النصارى » بتحويل القبلة في الصلاة دليل آخر على « نصرانية » الدعوة القرآنية، يظهر ذلك من ثورة اليهود عليها، أولئك « السفهاء من الناس » .

13- كان تحويل القبلة **عبقرية أولى** في تعريب « النصرانية » ؛ وكان تبنّي الحج العربي إلى كعبة مكة، **العبقرية الثانية**، في هذا التعريب : « وأقيموا الحج والعمرة لله » (196) : خطوتان جبارتان ومظهران خارجيان، لا يمسان جوهر الدعوة « النصرانية » في شيء؛ فإن فرض **شريعة الصيام** « النصرانية » ، كما كان

يمارسها محمد مع أستاذه ورقة بن نوفل، قس مكة، مدة شهر رمضان، قبل البعثة، برهان قاطع على استمرار الدعوة القرآنية في خط « النصرانية » : « يا أيها الذين آمنوا، كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتّقون » (183). والأصل العقيدة، قبل الشعائر.

14ـ **والظاهرة الكبرى الثالثة**، في مطلع العهد بالمدينة، كانت تشريع الجهاد، أولاً لحماية الدعوة والدفاع عنها ضدّ المشركين الذين تآمر اليهود معهم عليها؛ ثم في العهد الثاني المدني لفرض الدعوة بالقوة على العرب. حينئذٍ تمَّ النصر « للنصرانية » على الشرك العربي وعلى اليهود معاً : « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14). وروح الجهاد ورثها النصارى من بني إسرائيل، من قوميتهم التوراتية؛ ومن إقامتهم للتوراة والإنجيل معاً، وأورثوها للدعوة القرآنية، وميزتها مثلهم الإيمان « بما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم، لا نفرّق بين أحد من رسله، ونحن له مسلمون » (285 و 136). فهدف الجهاد القرآني كان لحماية « النصرانية » ثم لفرضها على الجزيرة (الصف 14)، باسم الإسلام الذي له يشهدون (آل عمران 18).

تلك هي الدلائل الكبرى على « نصرانية » الدعوة القرآنية بالمدينة في سورة البقرة.

* * *

الوثيقة الثانية : من سورة آل عمران (3 / 3 /93)

تنبيه : أجمع المفسرون وأهل الحديث وأهل السيرة أن قصص آل عمران (33 ـ 64) كان مع وفد نجران ، من عام الوفود، أي من زمن تنزيل سورة المائدة : فندع بحثه إلى موضعه. تبقى سورة آل عمران فصلاً ثانياً من جدال القرآن لليهود، بعد نصر بدر، وإن ورد اسمهم على التعميم، « أهل الكتاب » ، فهو يقصد التخصيص كما يظهر من القرائن اللفظية والمعنوية. هكذا يظل القرآن في مشكل الجدال بين اليهود والنصارى من بني إسرائيل، ولا دخل فيه للمسيحيين، كما يوهم إقحام جدال وفد نجران بقصص آل عمران على السورة، التي اكتسبت اسمها منه فزادت الشبهة.

« آلم. الله، لا إله إلا هو، الحيّ القيوم نزّل عليك الكتاب بالحق، مصدّقاً
لما بين يديه، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى الناس، وأنزل الفرقان ...
3 - 1

هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب
وأخر متشابهات : فأمّا الذين في قلوبهم زيغ، فيتّبعون
ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله
والراسخون في العلم يقولون : آمنا به
كلٌّ من عند ربنا، وما يذكّر إلا أولو الألباب... 7

شهد الله أنه لا إله إلا هو، والملائكة، وأولو العلم قائماً بالقسط ،
لا إله إلا هو، العزيز الحكيم أنَّ الدين عند الله الإسلام
19 - 18
وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم
بغياً بينهم : ومن يكفر بآيات الله ، فإن الله سريع الحساب
19

فإن حاجّوك فقلْ : أسلمت وجهي لله، ومن
اتّبعنِ، وقلْ للذين أوتوا الكتاب والأميين
أأسلمتم؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن
تولّوا، فإنهما عليك البلاغ، والله خبير بالعباد 20

إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق
ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، فبشرهم بعذاب أليم ...
51

ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب، يُدعون إلى **كتاب الله**
ليحكم بينهم ، ثم يتولّى فريق منهم، وهم معرضون !
23

ذلك بأنهم قالوا : لن تمسّنا النار، إلا أياماً معدودات
وغرّهم في دينهم ما كانوا يفترون! ...
24

يا أهل الكتاب لِمَ تحاجّون
في إبراهيم، وما أُنزلت التوراة ـ والإنجيل ـ

إِلا من بعده، أفلا تعقلون 65
ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم فيه علم، فلمَ تحاجون

فيما ليس لكم فيه علم ؟ والله يعلم ، وأنتم لا تعلمون
ما كان إبراهيم يهودياً ـ ولا نصرانياً
ولكن كان حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين 66 ـ 67

أفغير دين الله يبغون، وله أسلم مَن
في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون؟ 83
قلْ : آمنا بالله وما أنزل علينا وما
أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط

وما أوتي موسى وعيسى والنبيون
من ربهم : لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون 84
ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن
يُقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين ... 85

ليسوا سواءً! من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون
آيات الله آنـاء الليل وهم يسجدون 113
يؤمنون بالله واليوم الآخر
ويأمرون بالمعروف، وينهـون عن المنكـر،

ويسـارعون فـي الخيـرات : وأولئك من الصـالحين
وما يفعلـوه من خير فلـن يكفـروه. والله عليـم بالمتقيـن
115 - 114

*

كانـت البقـرة إعلانـاً لقيـام « الأمـة الوسـط » . وتـأتي (آل عمـران) لإعـلان إيمانهـا **بالشهادة للإسلام « النصراني »** الذي يشـهد بـه، مـع الله وملائكتـه « أولـو العلـم قائمـاً بالقسـط » (18 - 19). هذه هي **الظاهرة الكبرى** في السورة.

وإن (آل عمران) **سلسلة ثانية** من الجدال مع اليهود، الذين يسميهم « أهل الكتـاب » ، مما يلقي الشبهة عليهم جميعاً ـ كما نرى عند المفسرين ـ وهو تعميم يراد به التخصيص باليهود، كما توضحه القرائن، من قبل النبيين بغير حق (21)، وقتل الذين يـأمرون النـاس بالقسط أي بالإيمان بالدعوة القرآنية، وهم « النصارى » (21)، وتصريحه « ثم يتولى فريق منهم » (23)، وتمييز « النصـارى » عنهم بقوله : « ليسوا سواءً : (منـهم) أمـة ... من الصـالحين » (113). لذلك فتصريحه العام : « وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين : أأسلمتم؟ فإن أسلموا، فقد اهتـدوا » (20) ـ الذي يوهم أنـه دعوة عامـة مطلقـة لأهل الكتـاب جميعاً كمـا للأميين المشـركين ـ يجب مقابلتـه مـع شـهادة « النصـارى » ، أولـي العلـم المقسـطين « إن الـدين عنـد الله الإسـلام » (18 - 19)؛ فهو تعميم يراد به التخصيص

باليهود، الذين يصف تصفية بني قينقاع منهم في مطلع السورة (1 ـ 17)، حيث « الله سريع الحساب » (19).

في **فصل أول** يبرز تصفية بني قينقاع اليهود، وإيمان الراسخين بالعلم بالقرآن كله. فكانت **شهادة « النصارى » الأولى** للقرآن. فالله نزّل التوراة والإنجيل والقرآن، « وأنزل الفرقان » أي السنّة التي تفصّل القرآن (1 ـ 3). لكن اليهود كفروا بالإنجيل والقرآن، « فلهم عذاب شديد، والله عزيز ذو انتقام، (4). إن قوله : « إن الذين يكفرون بآيات الله » لا يعني المشركين هنا، بل أهل الكتاب من اليهود، بسبب ذكر الإنجيل السابق الذي به يكفرون (3)، وبسبب كشف مؤامراتهم مع المشركين في بدر : « إن الله لا يخفى عليه شيء » (5). وقد وصلت مناوراتهم إلى تشكيك الناس بالقرآن : « فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه، **ابتغاء الفتنة**، وابتغاء تأويله » على هواهم (7). فيردّ عليهم بأن « الكتاب، منه آيات محكمات، هنَّ أم الكتاب؛ وأخر متشابهات ... وما يعلم تأويله إلا الله؛ والراسخون في العلم يقولون : آمنا به، كلٌّ من عند ربنا » (7). إن تعبير « الراسخين في العلم » ليس بحسب اللغة ـ كما يحلو لبعضهم أن يفسروه ـ إنما هو اصطلاح، كناية عن « النصارى » ، أولي العلم المقسطين (18). فهؤلاء النصارى يشهدون للقرآن كله، المحكم منه والمتشابه : **وهذا دليل إسلامهم و « نصرانية » القرآن.** وكان على اليهود، المتجبرين بالمال والبنين، أن يتعظوا بمعجزة الله في نصر بدر، ويكفوا عن تكفيرهم وتشكيكهم بالقرآن (10 ـ 13). وعلى جماعة محمد أن يعتبروا بأن « حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والخيل المسوّمة، والحرث » ـ وهذه صورة واقعية لثراء يهود المدينة ـ لا يغني عن الآخرة والجنة وراضون الله شيئاً (14 ـ 17).

في **فصل ثان** يعلن بتصريح صارخ **دين الأمة الوسط** : « إن الدين عند الله

الإسلام » (19). يشهد بذلك الله وملائكته « وأولو العلم قائماً بالقسط » (18). إن تعبير « أولي العلم » أو « الذين يعلمون » اصطلاح، كناية عن أهل الكتاب، تجاه المشركين، « الذين لا يعلمون » (البقرة 113)، فكانوا « الأميين » الذين ليس لهم كتاب منزل؛ وقد قابلهم في قوله « وقل لأهل الكتاب والأميين » (20). لكنه يقسم أهل الكتاب، أولي العلم، إلى فئتين : الظالمين منهم وهم اليهود؛ والمقسطين أو المحسنين، وهم « النصارى » ، لذلك يسميهم « أولي العلم قائماً بالقسط » (17) أو « الراسخين في العلم » (7). **فالنصارى هم الذين يشهدون « إن الدين عند الله الإسلام »** ، وشهادتهم من شهادة الله وملائكته، لذلك فالقرآن يشهد بشهادتهم. وهذا هو البرهان القاطع الأسمى على « نصرانية » محمد والقرآن.

قد يرد على ذلك بقوله للحال : « وما اختلف الذين أوتوا الكتاب، إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم : ومن يكفر بآيات الله، فإن الله سريع الحساب » (19)، كما خبر ذلك بنو قينقاع. ظاهر التصريح يشمل أهل الكتاب كلهم؛ إنما هي شبهة توضحها القرائن : اختلفوا من بعد ما جاءه العلم بغياً بينهم » : وهو « العلم » المنزل بالإنجيل الذي يصدقه القرآن؛ وهو يوجه دعوة الإسلام لأهل الكتاب والأميين (20) أي لأهل الكتاب « الذين يقتلون النبيين بغير حق » (21)، الذين « يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم، ثم يتولى فريق منهم، وهم معرضون » (23)؛ فكلها دلائل واضحة تخص تعميم تعبير « الذين أوتوا الكتاب » باليهود، « الذين أوتوا نصيباً من الكتاب » (23). فالقرآن يوجه دعوة الإسلام « النصراني » إلى « الذين أوتوا الكتاب والأميين » (20) أي اليهود والمشركين : فالقرآن دعوة « نصرانية» . وهذه **شهادة « النصارى » الثانية للإسلام.**

وهذه الآية : « إن الذين يكفرون بآيات الله، ويقتلون النبيين بغير حق،

ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، فبشرهم بعذاب أليم » (21) تدفع كل شبهة. فهي تقسم وتصف أهل الكتاب بكنايات صريحة أبلغ من التسمية : فقتله الأنبياء هم اليهود، كما عيرهم الإنجيل من قبل؛ والذين يأمرون الناس بالقسط أي بالعدل، وهو الإيمان بالدعوة القرآنية، هم « النصارى » وبسبب قيامهم بالدعوة مع محمد فهم عرضة للاغتيال من قبل اليهود، والاستشهاد في سبيل الإسلام « النصراني » والقرآني. وهذا الاستشهاد برهان قاطع على إسلام « النصارى » وعلى « نصرانية » القرآن، الذي يشهد بشهادتهم « إن الدين عند الله الإسلام » . **وهذه شهادة « النصارى » الثالثة لمحمد نفسه في دعوته.**

في **فصل ثالث** يجادل اليهود « بكتاب الله » الذي معهم، وذلك بجدال « النصارى » لهم.

« فالنصارى » ، « **أولو العلم قائماً بالقسط** » (18) هم أهل « العلم » ؛ وهم أهل القسط أي أهل العدل والتوحيد قبل غيرهم : فهم **إمام الدعوة القرآنية،** الذين يسير محمد في دعوته على هداهم، كما جاءه الأمر : « فبهداهم اقتدهْ » (الأنعام 90)؛ والقرآن يشهد بشهادتهم « إن الدين عند الله الإسلام » (19). وباسم هذا الإسلام « النصراني » يوجه القرآن الدعوة إلى اليهود وإلى الأميين المشركين (20). وباسم « **كتاب الله** » الذي معهم يرد على اليهود « الذين أوتوا نصيباً من الكتاب » ، ثم « قالوا : لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات » (23 - 24). إن « **كتاب الله** » هو عند أهل الكتاب، لكن اليهود في تلاوته « يلبسون الحق بالباطل » (البقرة 42)، بينما النصارى من بني إسرائيل « يتلونه حق تلاوته » (البقرة 121). فالقرآن بتسميته « كتاب الله » (آل عمران 23) ينتمي إليه، **ويعتبره وحده « كتاب الله »** الذي يفصله بالقرآن العربي، ويشهد بهذه التسمية بصحته وحفظه وسلامته من التحريف، كما يتلونه على أيام محمد. فالقرآن يجادل اليهود، بكتاب الله » ، وبجدال « النصارى » لهم، في عقاب الآخرة لهم. وهذه **شهادة رابعة « لكتاب الله »** الذي مع « النصارى » .

في **فصل رابع** يجادل القرآن اليهود أيضاً في إبراهيم (65) بجدال « النصارى » لهم. ينتمي القرآن في دعوته إلى إبراهيم الخليل، مع انتسابه إلى « النصرانية » (18). فخاصمه اليهود وقالوا : « إبراهيم يهودي ونحن على دينه ـ وقالت النصارى كذلك » (الجلالان) ـ هنا يقصد (الجلالان) المسيحيين، ولا ذكر لهم في سورة آل عمران، ما عدا الفصل المقحم (33 ـ 64) عليها من زمن سورة المائدة. وآل عمران تذكر النصارى من بني إسرائيل، أهل الشهادة بالإسلام (19). تقول : يا أهل الكتاب لمَ تحاجون في إبراهيم، وما أنزلت التوراة **(والإنجيل)** إلا من بعده، أفلا تعقلون » (65). ظاهر النص يعم أهل الكتاب فيبرر ذكر الإنجيل مع التوراة. لكن السورة كلها جدال متواصل بين القرآن واليهود، فلا مجال لذكر الإنجيل الذي ينكرون؛ وتعبير « أهل الكتاب » عام يراد به خاص، أي اليهود؛ فذكر « الإنجيل » (65) مقحم على الآية من زمن جمع القرآن. وترد السورة على اليهود : « ما كان إبراهيم يهودياً ـ **ولا نصرانياً** ـ ولكن كان حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين » (67). فهي تبرّئ إبراهيم من المشركين ومن اليهود. فهل تبرئه من النصارى؟ قلنا لا ذكر للمسيحيين في السورة حتى تصح تبرئة إبراهيم منهم كما ادعاها بولس لهم (غلاطية 3 : 15 ـ 18؛ 4 : 21 ـ 31)؛ بل الخطاب كله في السورة محصور بجدال اليهود، وهي تعلن الإسلام الذي يشهد به النصارى من بني إسرائيل، « وأولو العلم قائماً بالقسط » (18) الذين يقتلهم قتلة الأنبياء لشهادتهم للإسلام (21) : فلا تصح تبرئة إبراهيم منهم. لذلك **فكلمة « ولا نصرانياً » مقحمة** على النص من زمن الجمع، حتى يشمل الجدال بين اليهود والنصارى من بني إسرائيل المسيحيين أنفسهم. أما في زمن الدعوة بالمدينة، وفي زمن السورة، ليس من جدال مع المسيحيين، وإقحام « ولا نصرانياً » ظاهر تنقضه السورة والقرآن كله حتى الآن. وفي محكم الإعجاز في النظم، إذا أسقطنا كلمتي « الإنجيل » (65)، و « لا نصرانياً » (67) يظل النص مستقيماً مبنى ومعنى. فالقرآن يجادل اليهود في إبراهيم، بجدال « النصارى » لهم : إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه

(النصارى) وهذا النبي، والذين آمنوا (من العرب)، والله ولي المؤمنين. ودت **طائفة من أهل الكتاب** لو يضلونكم، وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون » (68 - 69). فالتعميم في (65 و67) يزول بالتخصيص في (68 - 69) وفي (72 و75). فصحة الانتماء إلى إبراهيم لا تقوم إلا عند « الأمة الوسط » من جماعة محمد والنصارى من بني إسرائيل، والمتنصرين معهم من العرب (98)، الذين وحدهم يشهدون « أن الدين عند الله الإسلام » . وهذا الجدال المتواصل مع اليهود، بجدال « النصارى » لهم، دليل على إسلام « النصارى » وعلى « نصرانية » الدعوة القرآنية.

في **فصل خامس** يعود إلى **إعلان الإسلام**: إنه « دين الله » ؛ وإنه دين الفطرة: « وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً، وإليه يرجعون » (83)؛ وإنه دين الأنبياء جميعاً، من إبراهيم، إلى موسى، إلى عيسى، إلى محمد (84)؛ لذلك « من يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين » (85).

لكنه يحدّد صيغة الإيمان بهذا الإسلام : إنه الإيمان « بما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم : لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (84). فالإسلام هو دين الآباء، ودين النبيين، جملةً؛ لكنه في التفصيل هو دين موسى وعيسى ديناً واحداً (84)، وهذا هو الدين الذي يشرعه للعرب (الشورى 13)؛ وهو يقوم على إقامة التوراة والإنجيل معاً (المائدة 71). هذا الإسلام القرآني هو « النصرانية » بعينها، التي تؤمن بموسى وعيسى ديناً واحداً، وتقيم التوراة و الإنجيل، « الكتاب كله » (119)، شرعاً واحداً. فالقرآن في إيمانه وإسلامه دعوة « نصرانية » .

في **فصل سادس** يشيد بأمة الإسلام : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ! وصفتهم: « تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله » (110). ثم يحمل على أهل الكتاب: « ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم : منهم

المؤمنون، وأكثرهم الفاسقون » عن دينهم (110). هذا التمييز يبرهن أن الحملة على أهل الكتاب لا تشملهم جميعاً، لأنه يقسمهم إلى مؤمنين وفاسقين. فيفصّل فسق اليهود الفاسقين، بمقاتلة المسلمين وخزيهم؛ وتظهر صفتهم المتواترة : « ويقتلون الأنبياء بغير حق » (111 - 112). ثم يفصل صفات المؤمنين من أهل الكتاب : « ليسوا سواءً : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون؛ يؤمنون بالله واليوم الآخر؛ ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؛ ويسارعون في الخيرات؛ وأولئك من الصالحين » (113). فمن هي هذه **الأمة المثالية** في الإسلام لله؟ لقد ذكر أمته بأنها « خير أمة » (110)؛ ثم وصف أمة اليهود الفاسقة (111 - 112)، وينتهي بأمة « النصارى » المثالية، التي يزيد في وصفها على وصف جماعته. هذه الثناء الرائع « للنصارى » من المدينة شبيه بالمديح المعجز لهم في مكة، باسم عباد الرحمان (الفرقان 63 - 74). وفي **الوصفين يظهر « النصارى » إمام « المتقين » من العرب**، كما يقتدي محمد بهداهم (الأنعام 90).

حاول ويحاول بعض المفسرين صرف ذلك الثناءَ العاطر عن « النصارى » إلى أمة محمد، المتقين من العرب (115). هذا افتراء على صريح القرآن: إنها « أمة من أهل الكتاب » (113)، وتعبير « أهل الكتاب » لا يطلقه القرآن مطلقاً على جماعة محمد من العرب. وهو يميز هذه الأمة عن سواها التي سبق وصف فسقها : « ليسوا سواءً » أي « أهل الكتاب » (الجلالان). وهذه الأمة المثالية، وإن اتفقت مع جماعة محمد، « خير أمة أخرجت للناس » بالإيمان بالله واليوم الآخر؛ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إلا أنها تتميز عليها بأنها « أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » (113)، وهذه صفة أمة عيسى ورهبانها، كما تتواتر في القرآن. فقيام الليل للصلاة وترتيل آيات الله، في « كتاب الله » ، ميزة النصرانية على العالمين؛ وهي « نافلة » للنبي من دون جماعته : « فتهجد به، نافلة لك » (الإسراء 79)، أسوة بأستاذه ورقة بن نوفل، قس مكة، وأمته المثالية. فأمة « النصارى » هي **مثال وإمام** جماعة محمد في الإسلام، والإيمان بالله واليوم الآخر، والإحسان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

وبالتقوى والعبادة ليل نهار، وبالإسراع في الخيرات وعمل الصلاح؛ ويختم بصفتهم « وأولئك من الصالحين » (114) أي أولياءَ الله من دون العالمين. بينما « خير أمة أخرجت للناس » ينتهي إلى القول فيها : « والله عليم بالمتقين » (116)؛ فهي في نسبة « متقين » إلى « صالحين » .

تلك الإشادة البالغة « بالنصارى » برهان آخر على « نصرانية » الدعوة القرآنية. وقوله : « قلْ : أسلمت وجهي لله، ومن اتبعني » (20) هو مثل قوله : « وأمرت أن أكون من المسلمين، وأن أتلو القرآن » (النحل 90 - 91) : لقد « تنصر » محمد، وقام بالدعوة القرآنية لفرض « النصرانية » على العرب باسم الإسلام الذي يشهد به مع الله وملائكته « أولو العلم قائماً بالقسط ... إن الدين عند الله الإسلام » (18 - 19)، لأنه « هو سمّاكم المسلمين من قبل، وفي هذا » القرآن (الحج 78). هذا هو دين « الأمة الوسط » . وشهادة القرآن للإسلام بشهادة « النصارى » أولي العلم المقسطين (18 - 19) هي **الوثيقة الضخمة** على « تنصّر » محمد والقرآن.

*

الوثيقة الثالثة : من سورة النساء (4 / 5 / 95)

« يريد الله ليبيّن لكم ويهديكم سنن الذين
من قبلكم، ويتوب عليكم والله عليم حكيم ! 25

والله يريد أن يتوب إليكم، ويريد الذين اتبعوا الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً
يريد الله أن يخفّف عنكم وخُلق الإنسان ضعيفاً ! 26 - 27

ليس بأمانيّكم ، ولا بأماني أهل الكتاب
من يعملْ سوءاً يجز به، ولا يجدْ له من دون الله وليّا ولا نصيراً ... 122

ومَن أحسن ديناً ممّن أسلم وجهه لله ، وهو محسن
واتّبع ملة إبراهيم حنيفاً ! واتّخذ الله إبراهيم خليلا ...
124

إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله
ويقولون : نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً
أولئك هم الكافرون حقاً ! واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً !
150 - 149

والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرّقوا بين أحد منهم
أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيما
151

وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ؛ وقولهم :
إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم وما قتلوه وما صلبوه، ولكن شبّه لهم!
155
وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتّباع الظن
وما قتلوه يقيناً ! بل رفعه الله إليه ! وكان الله عزيزاً حكيماً
157 - 156
لكن الراسخون في العلم منهم ، والمؤمنون ، يؤمنون
بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة
والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً
161
إنّا أوحينا إليك ، كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده، وأوحينا
إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وعيسى
وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا !
162

ورسـلاً قـد قصصناهم عليك من قبل، ورسلاً لم نقصصهم عليك،
وكلّم الله موسى تكليمـاً : رسـلاً مبشـرينَ ومنذريـن
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزاً حكيماً
164 - 163

يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق : إنما
المسيح، عيسى ابـن مريـم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ،

وروح منه؛ فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا : « ثلاثة » ، خيراً منكم
إنمـا الله إلـه واحدٌ سبحانه أن يكـون لـه ولـدٌ !
له مـا في السماوات والأرض وكفـى بالله وكيـلا .
170

لن يستنكف المسـيح أن يكون عبـداً لله ! ولا الملائكة المقرّبون !
ومـن يسـتنكف من عبـادته ويستكبر ، فسيحشرهم إليه جميعاً »
171

*

هذا الفصل الأخير (170 - 171) في جدال المسيحيين، هو من جدال وفد نجران، في عام الوفود، وليس من العهد الأول بالمدينة؛ أقحموه على هذه السورة، كما أقحموا قصص آل عمران (33 - 64) على الأخرى، ليشمل جدال القرآن منذ مطلع العهد المدني المسيحيين أيضـاً. والقرآن والحديث والسيرة تشهد جميعاً بأن الدعوة لم تتعرّض للمسيحيين إلا بعد تصفية اليهود من الحجاز (الصف 14). فسورة (النساء) **سلسلة ثالثة من جدال القرآن لليهود**، يجادلهم فيها بجدال « النصارى » لهم؛ كما سيجادل المسيحيين من وفد نجران (170 - 171) بجدال « النصارى » لهم؛ وربمـا أقحموه هنـا لبيان موقف « الأمة الوسط » القرآنية، « النصرانية » ، من اليهودية والمسيحية.

في **فصل أول** يعلن **مبدأ التشريع القرآني :** « يريد الله ليبين لكم، ويهديكم سنَن الذين من قبلكم ... يريد الله أن يخفف عنكم، وخُلق الإنسان ضعيفاً » (25 و 27). فكما يشرع القرآن للعرب التوحيد الكتابي، الذي يجمع بين عيسى وموسى، والإنجيل والتوراة (الشورى 13)؛ كذلك يشرع لهم التشريع الكتابي، مع التخفيف فيه؛ والتخفيف في شريعة التوراة لم يأتِ بني إسرائيل إلا مع الإنجيل. فالقرآن في عقيدته وشريعته يتبنّى الدعوة « النصرانية » .

في **فصل ثان** يعلن **الدين الأفضل** بين الموحدين. قال الجلالان : « ونزل لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب : ليس الأمر منوطاً (بأمانيكم، ولا بأمانيّ أهل الكتاب)، بل بالعمل الصالح (من يعمل سوءاً يجز به) في الآخرة أو الدنيا (122). هذا جواب آخر لليهود الذين قد ردّ عليهم من قبل : « قل : إن كانت الدار الآخرة خالصة لكم من دون الناس، فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » (البقرة 94). فقوله هنا « أماني أهل الكتاب » هو تعميم يراد به كعادته التخصيص باليهود : فالمفاخرة قائمة بين جماعة محمد واليهود. والقرآن يردّ على الفريقين : أولاً بأن الجنة لكل إنسان بالإيمان والعمل الصالح (123)؛ ثم يعلن، من حيث المفاضلة، **بأن « النصرانية » أحسن دين :** «ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله، **وهو محسن**، واتبع ملة إبراهيم حنيفاً » (124). إن أفضل دين هو دين من اتبع ملة إبراهيم حنيفاً عن الشرك، متبرئاً منه، ثم أسلم وجهه لله أي كان مسلماً، لكن على حال من « **هو محسن** » . وهذه الصفة ليست تعبيراً لغوياً، إنما هي اصطلاح متواتر، كناية عن المسلم «النصراني » ، كما نزل القرآن « لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين » (الأحقاف 12)، أو «ليثبت الذين آمنوا، وهدى وبشرى للمسلمين » (النحل 102). فالذين ظلموا هم اليهود؛ والذين آمنوا هم جماعة محمد، المتقون من العرب؛ والمحسنون المسلمون من قبل (القصص 53) أولو العلم المقسطون الذين يشهدون « إن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران 18 - 19) هم «النصارى » . فالقرآن يعلن أن الإسلام

« **النصراني** » **هو أفضل دين** بين أهل الكتاب. هذا هو الدين الذي يشرعه للعرب » (الشورى 13).

في **فصل ثالث** يكفر اليهود **لكفرهم بالإنجيل،** لأنهم بقولهم : « نؤمن ببعض (التوراة) ونكفر ببعض » ، الإنجيل، إنما هم « يكفرون بالله ورسله، ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله » (149) : يجب الإيمان « بالكتاب كله » أي « بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر » (135)، وهي أركان الإيمان الخمسة. إنما الأجر والثواب « للذين آمنوا بالله ورسله، ولم يفرّقوا بين أحد منهم » (151)، وهو يقصد عدم التفريق في الإيمان بين موسى وعيسى، والتوراة والإنجيل (البقرة 135، آل عمران 84). وهذه هي « النصرانية » التي يدعو إليها القرآن في كل سورة.

في **فصل رابع** يكفر اليهود أيضاً **لكفرهم بالمسيح وأمه :** « وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً! وقولهم : إنا قتلنا المسيح، عيسى، ابن مريم » (155). فكأنهم يقولون للنبي العربي : لقد انتهى أمر صاحبك الذي ما تزال تدعو إليه! فيرد القرآن : « وما قتلوه! وما صلبوه! ولكن شبّه لهم » (155). لاحظ قوله : « شُبّه لهم » ، لا « له » ، وهذا التدقيق في التعبير يدفع أسطورة الشبه التي بها يتحدثون. ومعنى قوله أنهم ظنوا، وخيّل لهم، أنهم قضوا على المسيح قضاءً مبرماً! كلاّ، فما قتلوه القتل الذي يتوهمون، ولا صلبوه الصلب الذي يزعمون؛ « وإن الذين اختلفوا فيه (اليهود) لفي شك منه، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن » ؛ فهم في قرارة نفسهم ليسوا على يقين من القضاء عليه. فالقرآن لا ينكر على اليهود صلب المسيح وقتله، إنما يستنكر تبجحهم بذلك! فيستأنف الآية ببيان رفع المسيح حياً إلى السماء، رداً على توهمهم القضاء النهائي على المسيح بصلبه وقتله : « وما قتلوه يقيناً، بل رفعه الله إليه » (157). ففي رفع المسيح حياً إلى الله، كأن اليهود ما قتلوه حقيقة، إنما انتصر المسيح على قتلهم له وصلبه بقيامته وارتفاعه حياً إلى السماء. والرد القرآني أسلوب بياني : **إنه الإثبات في معرض**

النفي، وهو أفحم للخصم، لأنه ينطلق من مقاله. هذا هو التفسير الحق لهذه الآية، فتنسجم ولا تتعارض مع ما قبلها في (مريم 32) وفي (آل عمران 55)، ومع ما بعدها في (المائدة 120)، وجمعها وإجماعها يذكر صراحة موت المسيح ووفاته بالقتل صلباً، ثم رفعه حياً إلى الله في السماء.

وهناك أسلوب بياني آخر ذكره (الإتقان 1 : 30) في بيان الاختلاف بين الكفار والقرآن في التحريم والتحليل. قال : إنه دفع توهّم، كانوا على المضادة والمحادة فجاءت الآية مناقضة الآية متناقضة لغرضهم؛ و « الغرض منها المضادة، لا النفي والإثبات على الحقيقة » . فآية (النساء 156) **جاءت بأسلوب المضادة** لقول اليهود بقتل المسيح وصلبه، وليس الغرض منها النفي أو الإثبات. وهذان الأسلوبان في بيان القرآن ينقضان قول من زعم أن القرآن ينفي قتل المسيح وصلبه. وهذه النصرة القرآنية للمسيح وأمه، كانت سبب الخلاف الأكبر بين النبي واليهود : إن دعوته « نصرانية » ، لذلك فهم يكفرون بها، « أولئك هم الكافرون حقاً » (105).

في **فصل خامس** يستثني من « أهل الكتاب » الكافرين، أهل « الظلم الذين هادوا » (159) أمة « الراسخين في العلم منهم » ، وهو تعبير مرادف « لأولي العلم قائماً بالقسط » ، وهما يميزان بين اليهود والنصارى من بني إسرائيل. يقول : « لكن الراسخون في العلم منهم، والمؤمنون، يؤمنون بما أنزل من قبلك » (161) في شأن مريم واستشهاد المسيح (156 - 160) : فما بين القرآن وإنجيل « النصارى » مطابقة في ذلك. ويمدح « النصارى » على إقامة أركان الإسلام : الشهادة لله، واليوم الآخر، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة (161)؛ وقد ذكر من قبل فرض الصيام « كما كتب على الذين من قبلكم » . فالقرآن يمدح أمة « الراسخين في العلم » - والصفة كناية متواترة فيه « للنصارى » - لإيمانهم بالتوراة والإنجيل والقرآن، ولإقامتهم أركان الإسلام « النصراني » : فالقرآن دعوة « نصرانية » .

في **فصل سادس** يقرّر **وحدة الوحي** مع « نوح والنبيين من بعده » ، من نوح إلى إبراهيم، إلى داود، إلى موسى، إلى عيسى، إلى محمد. لكن في ترتيب غريب لا نعهده في سائر القرآن. وفي هذا الفصل يحشر « عيسى، حشراً بين أنبياء التوراة (162 - 164). ويظهر لتجريده من كل صفة أدنى منزلة من داود صاحب الزبور، ومن موسى الذي « كلمه الله تكليماً » ؛ مع أن القرآن يفضّل عيسى على الأنبياء جميعهم بالبينات التي لم يستجمعها أحد مثله، وبتأييد روح القدس الذي به امتاز على جميعهم. وموقف الآيات (163 - 164) من ذكر عيسى يتعارض مع وصفه بأنه « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » (170). وربما كان ذكر « عيسى » مجرداً من كل صفة، لضرورة الروي، كما أشرنا في تنسيق النظم؛ وربما هو إقحام تأباه الآية (170)، كما يظهر من حشره بين من سبقه.

وعلى قوله : « ورسلاً قصصناهم عليك من قبل، ورسلاً لم نقصصهم عليك » (163) علق الجلالان : « رُوي أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي : أربعة آلاف من إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس. قاله الشيخ في سورة غافر » . وفات الجلالين وشيخهما أن القرآن يحصر النبوة والكتاب في ذرية إبراهيم من إسحاق ويعقوب (العنكبوت 27)؛ وهو « تصديق الذي بين يديه، وتفصيل الكتاب » (يونس 37)، لا تفصيل نبوّة « من سائر الناس » .

فليس « للناس على الله حجة بعد الرسل » (164). ويجب الإيمان بالوحي كله، بلا تفريق بين « كتبه ورسله » (135). وضرورة الإيمان بوحدة الوحي، في العقيدة والشريعة، دعوة « نصرانية » وقرآنية.

أخيراً، في **فصل سابع** ـ مقحم على السورة من جدال وفد نجران ـ يردع القرآن مسيحي نجران من « **الغلو** » في شأن المسيح وأمه؛ وينهاهم عن المقالة « بالثلاثة » ؛ ويعلن حقيقة موقفه من السيد المسيح بهذا التعريف الجامع المانع عنده : « **إنما المسيح عيسى ابن مريم : رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم،**

وروح منه » (170)؛ « لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقربون » (171). فكون المسيح « كلمة الله وروح منه » لا يجعله إلهاً من دون الله؛ ومثله ومنزلته كالملائكة المقربين. أَجل أن المسيح، كلمة الله، وروح من الله، ومن « الملائكة المقربين » ؛ لكنه يبقى رسول الله، وعبد الله.

هذه هي عقيدة « النصارى » في المسيح. والقرآن يجادل وفد نجران المسيحي بجدال « النصرانية » للمسيحية. فقد افترق أتباع المسيح إلى شيعة وسنة لاختلافهم في تأويل « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » . فتبنى القرآن عقيدة « النصرانية » في تأويلها، لذلك فالقرآن دعوة « نصرانية » .

وموقف هذا الإسلام « النصراني » يبقى « أمة وسطاً » بين اليهودية والمسيحية.

لكن بما أن **حرف** الإيمان والشهادة للمسيح واحد، مع اختلاف في **التأويل**، فالحوار بين الإسلام « النصراني » والمسيحية حق وواجب، كحوار بين الشيعة والسنّة.

* * *

الوثيقة الرابعة : من سورة النور (24 / 12 / 102)

« ولقد أنزلنا إليكم آيات مبيّنات ومثلاً من الذين خلوا، وموعظة للمتقين 34

لله نور السماوات والأرض ! نوره كمشكاة فيها مصباح ؛
المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب درّي، يوقد من شجرة مباركة
زيتونة ، لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسْه نار !
نور على نور! يهدي الله لنوره من يشاء
ويضرب الله الأمثال للناس، والله بكل شيء عليم 35

في بيوت أذن الله أن ترفع ، ويُذكر فيها اسمه ؛ يُسبّح له فيها
بالغدوّ والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله

وإِقـام الصـلاة ، وإيتـاء الزكاة ، يخافون يومـاً تتقلّب فيه القلـوب والأبصـار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا، ويزيدهم من فضله، والله يرزق من يشاء بغير حساب » 36 - 37

هذه صورة ثالثة، تأتي بأسلوب شعري، للأمة المثالية التي يعتبرها القرآن مثـالاً للذين آمنوا، المتقين من العرب؛ كما جعل عباد الرحمـان « إماماً للمتقين » (الفرقـان 74)، وسماهم في مثـاليتهم « الصـالحين » (آل عمـران 115). وهـم رهبـان « النصـارى » ، كمـا يظهـر مـن صفتهم المميزة المتواترة، قيام الليل للصلاة وترتيل آيات الله.

فآيات القرآن العربي البيّنات المبيّنات، إنما هي « مثَلٌ من الذين خلوا، وموعظة للمتقين » (34). و « الذين خلـوا » المقصـودين يصـفهم فـي الرباعيات التاليـة : أنهـم « رجـال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتـاء الزكـاة » (37). إنهم منقطعون فـي صـوامعهم، وأديرتهم، « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه؛ (يسبحون) له فيها بالغدوّ والآصال » (37). نعرفهم من مصباح الراهب في المشكاة « الطاقة غير نافذة » (الجلالان). تلك الصفات تميز « النصارى » ورهبانهم من أهـل الكتـاب، عن اليهود، كقولـه : « ليسـوا سـواءً : من أهل الكتـاب أمـة قائمـة يتلـون آيـات الله آنـاء الليل وهـم يسـجدون ... » (آل عمران 113 - 115). هـؤلاء « النصـارى » نـورهم كنـور مصـباحهم، مصـباح فـي زجاجـة كأنهـا كوكـب دري فـي المشكاة، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسَسه نار! إِنهـا نـور علـى نـور! (36)؛ أمـا اليهـود « الـذين كفروا، أعمالهم كسراب بقيعة » (39).

وزيادةً في فضلهم، يشبه نور الله بنور مصباحهم : « الله نور السماوات والأرض! مَثَلُ نوره كمشكاة فيها مصباح » (35). وبنور مصباحهم، الـذي هو « نور علـى نـور » ، « يهدي الله لنوره من يشاء! ويضرب الله الأمثال للناس » (35).

ومصباحهم بزيته يدل على مذهبهم : إنه « يوقد من شجرة مباركة، زيتونة **لا شرقية ولا غربية** » (35). إنها استعارة لمعنى قوله : « ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » (البقرة 177). وكلها كنايات واستعارات « للنصرانية » ، الأمة الوسط بين اليهودية والمسيحية. « فالنصرانية » مثال « للمتقين » من العرب، وعقيدتها « موعظة للمتقين » . فالقرآن دعوة « نصرانية » .

* * *

الوثيقة الخامسة : من سورة الحج (22 / 13 / 103)

« يا أيها الذين آمنوا، اركعوا واسجدوا
واعبدوا ربكم، وافعلوا الخير، لعلكم تفلحون 77
وجاهدوا في الله خير جهاده، هو اجتباكم
ـ وما جعل عليكم في الدين من حرج ـ
ملّة أبيكم إبراهيم! هو سماكم المسلمين، من قبلُ ، وفي هذا :
ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس ... » 78

في الدعوة القرآنية : « إن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران 19).

ويردّدون أن الإسلام « ملة إبراهيم » . ويؤيدون ذلك بقوله : « ما كان إبراهيم يهودياً، ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين » (آل عمران 67). وقد رأينا معنى هذه الآية على ضوء الذين يشهدون مع الله وملائكته للإسلام : إنهم « أولو العلم قائماً بالقسط » أي النصارى من بني إسرائيل (آل عمران 18). فملة إبراهيم، أو الحنيفية، هما في اصطلاحه كناية عن « النصرانية » . ونعرف أن « الحنيفية » لقب لها قبل هجرتها إلى الحجاز.

فالقرآن يحصر اسم « مسلمين » بهؤلاء النصارى، ويميّزهم عن جماعة محمد الذين آمنوا بقوله : « نزّله روح القدس من ربك بالحق : ليثبت الذين آمنوا،

وهدى وبشرى للمسلمين » (النحل 102). بينما صفة جماعة محمد المتواترة أنهم « المتقون » ، « الذين آمنوا » من العرب. وكان اصطلاحاً شائعاً عند أهل الكتاب المهتدين من الأميّين.

وفي سورة (الحج) نرى **ابتداء إطلاق** اسم « مسلمين » على جماعة محمد : « وهو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا » (78)، أي « قبل هذا الكتاب، وفي هذا القرآن » (الجلالان)، « في الكتب المتقدمة، وفي هذا القرآن » (البيضاوي). فسروا ضمير « هو سماكم » بأنه عائد إلى الله أو إلى إبراهيم، فيكون الإسلام من إبراهيم. وفاتهم أن « هو سماكم » ، يقابل « هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج » : والضمير فيها كلها عائد إلى الله، لا إلى إبراهيم. وقوله « ملة أبيكم إبراهيم » : « منتصبة على المصدر، أو على الإغراء، أو على الاختصاص » (البيضاوي)، وكلها تعود إلى المنادى، فلا تكون نسبتهم إلى إبراهيم مصدر إسلامهم. إنما يعود إسلامهم إلى الأمة التي تسمت به من قبلهم : « إنا كنا من قبله مسلمين » (القصص 53)؛ التي تشهد مع الله وملائكته « إن الدين عند الله الإسلام » ، وهي أمة « النصارى » . **وما أخذ جماعة محمد اسم « المسلمين » إلا على التبعية والانضمام إليهم.** وما إسلام القرآن سوى إسلام « النصارى » المسلمين، الذين انضم محمد إليهم وجعل يدعو بدعوتهم : « وأمرت أن أكون من المسلمين، وأن أتلو القرآن » (النمل 90 ـ 91). فما « ملة إبراهيم » ، مثل الحنيفية، سوى هذا الإسلام « النصراني » . واتخذت « النصرانية » اسم « ملة إبراهيم » من باب المفاضلة والمبالغة على اليهودية.

*

الوثيقة السادسة : من سورة الصف (61 / 20 / 110)

« وإذا قال عيسى، ابن مريم : يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم
مصدّقاً لما بين يديّ من التوراة
ـ ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ـ
فلما جاءهم بالبيّنات، قالوا : هذا سحر مبين 6

ومَن أظلم ممّن افترى على الله الكذب
وهو يُدعى إلى الإسلام، والله لا يهدي القوم الظالمين 7
يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم
والله متم نوره ولو كره الكافرون! 8
هو الذي أرسل رسوله بالهدى دين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون !
9

يا أيها الذين آمنوا، كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين :
مَن أنصاري إلى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله !

فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة !
فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم ، فأصبحوا ظاهرين »
14

إن سورة (الصف) **فيها سر الدعوة القرآنية**، ومفتاح فهم القرآن كله. وهي **الوثيقة القرآنية الأساسية** الشاهدة على « نصرانية » محمد والقرآن.

نزلت بعد غزوة لشمال الحجاز لتصفية اليهود فيه، من المقيمين بخيبر، ومن النازحين إليه بعد إجلائهم عن المدينة.

نزلت بعد نجاح الغزوة، حمداً لله (1) على نصر الإسلام (14) بهذا النصر والفتح القريب (13). وتنوّه السورة بملابسات الغزوة : 1) إحجام المنافقين في المدينة عن الاشتراك بها بعد وعد، بسبب عهودهم القديمة مع اليهود؛ 2) تبرير غزوة اليهود في الشمال، بانحرافهم إلى الكفر مع موسى (5) ومع عيسى (6) ومع محمد في الدعوة للإسلام (7 - 9). ويختم بتذكير المسلمين أن الجهاد تجارة رابحة في الدنيا والآخرة (10 - 13)؛ وعليهم فيه أن يكونوا أنصار الله مثل حواريي عيسى : هم نصروا عيسى، وعلى جماعة محمد أن ينصروا « النصرانية » على اليهودية الكافرة.

إن القرآن **يحصر دعوة عيسى ببني إسرائيل :** « إذ قال عيسى ابن مريم : **يا بني إسرائيل** إني رسول الله إليكم » (6). وانتهت دعوته فيهم بأنه « **آمنت طائفة من بني إسرائيل، وكفرت طائفة** » (14). **فالنصارى**، في لغة القرآن، هم حصراً « طائفة من بني إسرائيل » آمنت بدعوة الحواريين للمسيح. فمن التجني على القرآن إطلاقها على المسيحيين من الأمميين. فالقرآن الذي « يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (يجعل نفسه **الحكم والحاكم** بين اليهود والنصارى من بني إسرائيل، ولا يهتم قبل وفد نجران بالمسيحيين؛ ويقدّم محمداً وريث رسالة عيسى (6). وهذا دليل أول على « نصرانية » محمد والقرآن.

ويصرح بأن اليهود صاروا « **ظالمين** » (7) لكفرهم بموسى (5) وكفرهم بعيسى (6) ومؤامرتهم مع المشركين على إطفاء نور الله، « والله متم نوره ولو كره الكافرون » (8). لقد أمسى اليهود « **كافرين** » لمقاومتهم الدعوة القرآنية. والرسول قد أتى بالإسلام « ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون » (9). فالدين كله المقصود هنا هو اليهودية والشرك، واللذين وصف أتباعهما بالكافرين والمشركين.

والدين الذي جاء به رسول الله هو « **الهدى ودين الحق** » . وتعبير « الهدى » اصطلاح عنده، كناية عن الموسوية. وتعبير « دين الحق » ترجمة لكلمة الدين « الأرثذكسي » الذي كان يستعلي بها المسيحيون على النصارى من بني إسرائيل ـ ثم على كل البدع التي تنشق عن « الكنيسة الكاثوليكية، ذات الإيمان الأرثذكسي » كما يقول يوحنا الدمشقي. كلاّ ليس « الهدى » في اليهودية؛ ولا « دين الحق » في المسيحية؛ إنما هما في الدعوة القرآنية التي تؤيد « الطائفة من بني إسرائيل » التي آمنت بالمسيح على عدوّها. فالقرآن، في تحديد إسلامه، وفي إعلان ظهوره على اليهود والمشركين، وتأييد « النصرانية » ، إنما هو دعوة « نصرانية » .

والبرهان الأكبر في القرآن على « تنصر » محمد والقرآن هو هذا التصريح

النهائي القاطع : « فآمنت طائفة من بني إسرائيل، وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (14). فتأييد القرآن ليس « للذين آمنوا » إطلاقاً، بل للطائفة من بني إسرائيل التي آمنت بالمسيح؛ فالآية واحدة، وغرضها واحد، ومعناها واحد : إن **الدعوة القرآنية تأييد « للنصرانية »** على عدوها اليهودية والشرك (8 و9) حتى الظهور المبين. وهنا تصرّح الآية بظهور « النصرانية » على اليهودية، في فتح شمال الحجاز؛ ويعد « بنصر من الله وفتح قريب » (13) لمكة عاصمة الشرك، بعد ما خبر قوتها في هدنة الحديبية. **فسر الدعوة القرآنية كلها في آية** (الصف 14) : إن القرآن دعوة « نصرانية » ؛ فالإسلام القرآني « النصراني » هو « الهدى ودين الحق » يظهره الله بمحمد على الدين كله من شرك ويهودية، في الحجاز. يكرّر ذلك في (الفتح 28) بالمناسبة ذاتها؛ ثم يتوسع الشعار في (التوبة 34) ليشمل المسيحية العربية في مشارف الشام، بعد غزوة تبوك، وفي اليمن بعد مجادلة وفد نجران. إن دعوة القرآن المباشرة لا تتخطى الجزيرة العربية، في فرض الإسلام « النصراني » ، حسب وصية محمد الأخيرة : « لا يكن في جزيرة العرب دينان » ؛ وقد أوصى قبل موته بإخراج مسيحيي نجران، وسائر يهود الحجاز. فالقرآن والسيرة يشهدان « بنصرانية » الدعوة القرآنية التي يشرعها للعرب.

ونرى تأييد ذلك أيضاً في **إشارة لطيفة :** يطلب من جماعته أن يكونوا « أنصار الله » كما كان الحواريون « أنصار الله » . وهذه إشارة إلى أن أنصار محمد من صفة أنصار عيسى، ويثبت ذلك قوله : « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » . وقد عرّب القوم اسم « نصارى » الأرامي إلى « أنصار » في العربية، وأخذ به القرآن. ففي الاسم وفي غايته، التأييد، دليل صريح على أن الدعوة القرآنية « نصرانية » . لقد انتصرت « النصرانية » في الجزيرة العربية بفضل الدعوة القرآنية.

فوحدة الاسم، ووحدة الصفة، ووحدة الغاية، ووحدة الدعوة، وتجسّد نبوّة

عيسى في « أحمد » ، كلها برهان ساطع، يؤيد النص القاطع، على وحدة « النصرانية » والدعوة القرآنية. و « أنصار الله » مع عيسى **هم الإمام** « لأنصار الله » مع محمد في تبني القرآن « للنصرانية » وتأييدها حتى الظهور المبين في الحجاز والجزيرة.

فآية (الصف 14) مع آية (آل عمران 18 ـ 19) برهان جامع مانع على أن القرآن دعوة « نصرانية » .

*

الوثيقة السابعة : من سورة الحديد (57 / 21 / 111)

« ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم فمنهم مهتد !	وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب وكثير منهم فاسقون ! 26
ثم قفينا على آثارهم برسلنا وآتيناه الإنجيل ، وجعلنا	وقفينا بعيسى ابن مريم في قلوب الذين اتبعوه رحمة ورأفة
ـ ورهبانيةً ابتدعوها ، ما كتبناها فما رعوها حق رعايتها ـ فآتينا الذين	عليهم إلا ابتغاء رضوان الله آمنوا منهم أجرهم، وكثير منهم فاسقون! 27
يا أيها الذين آمنوا ، اتقوا الله ويجعل لكم نوراً تمشون به	وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويغفر لكم ، والله غفور رحيم ! 28
لئلا يعلم أهل الكتاب والفضل بيد الله يُؤتيه مَن يشاء	ألاّ يقدرون على شيء من فضل الله ! والله ذو الفضل العظيم ! » 29

سورة (الحديد) نشيد الحمد والنصر على الفتح الأكبر، **فتح مكة**، عاصمة الشرك؛ فبفتحها تمّ النصر للإسلام على عرب الحجاز، بعد تصفية اليهود فيه.

وقد نزلت بين يدي **غزوة مؤتة** الفاشلة ضدّ العرب المسيحيين في شمال الجزيرة عند مشارف الشام، لتقلّل من وقوع الهزيمة تجاه النصر المبين في فتح عاصمة الشرك، بقوله : « لئلا (لكي) يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله » (29) وتعبير « أهل الكتاب » عام يقصد به التخصيص بالمسيحيين العرب الذين غزاهم بمؤتة.

والسورة فيها تحديد « **للأمة الوسط** » التي يهتدي بهديها في الدعوة والجهاد. فهو يقسم أهل « النبوة والكتاب » ، قبل عيسى، إلى فريقين : « فمنهم مهتد، وكثير منهم فاسقون » (26)، والفاسقون من بني إسرائيل، أهل « النبوة والكتاب » هم اليهود؛ والمهتدون هم النصارى من بني إسرائيل، وكانوا أقلية بالنسبة لليهود؛ وهذا صدى قوله : « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الأعراف 185). ثم يقسم أتباع عيسى أيضاً إلى فريقين : « الذين آمنوا منهم، وكثير منهم فاسقون » (27) : فالمؤمنون من آل عيسى الذين نالوا « أجرهم » هم الطائفة من بني إسرائيل التي يناصرها القرآن على عدوها، وقد ظهرت عليه بتصفية اليهود من الحجاز (الصف 14)، فهم النصارى من بني إسرائيل؛ والفاسقون الكثيرون من آل عيسى هم المسيحيون من عرب الشمال الذين غزاهم في مؤتة. وهكذا تظهر « الأمة الوسط » المؤمنة المثالية التي يهتدي القرآن بهديها، ويدعو بدعوتها وينصرها على « عدوها » : إنها « **النصرانية** » **الإسرائيلية بين اليهودية والمسيحية**. فبعد أن انتهى من تصفية اليهود في الحجاز، يتوجه إلى تصفية المسيحية بين العرب، « لكي لا يبقى في جزيرة العرب دينان » ، إلا الإسلام القرآني « النصراني » .

وتأتي هذه النظرية الشاملة، بين **تصاريح متعددة** تدعمها :

في **تصريح أول** يحصر « النبوة والكتاب » في ذرية نوح وإبراهيم، من بني

إسرائيل؛ وبرهان ذلك تسميتهم « أهل الكتاب » (29)، والإعلان بالتقفية عليهم بالرسل وعيسى ابن مريم (27). هذا ما يؤيده تصريح سابق بالحرف الواحد، يحصر « النبوة والكتاب » في ذرية إبراهيم من إسحاق ويعقوب (العنكبوت 27)؛ كما في قوله أيضاً : « آتينا بني إسرائيل الكتاب » (45 : 15) « وأورثنا بني إسرائيل الكتاب » (40 : 53).

في **تصريح ثان** يجعل عيسى ابن مريم **خاتمة « النبوة والكتابة »** بتعبير التقفية على الرسل : « ثم قفّينا على آثارهم برسلنا، وقفينا بعيسى ابن مريم » (27)؛ ولا يذكر القرآن أبداً أنه قفّى بأحد على المسيح. إنما يقتصر دعوة محمد على « تصديق الذي بين يديه، وتفصيل الكتاب » (يونس 27) لكي « يعلمهم الكتاب والحكمة » أي التوراة والإنجيل (2 : 129 و171؛ 3 : 164؛ 92؛ 2).

في **تصريح ثالث** يشيد بأتباع عيسى، وميزتهم على الناس : « وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رحمة ورأفة » (27). ثم يشير بأن « الرهبانية » ابتدعوها بعد المسيح، لكن الله كتبها عليهم « ابتغاء رضوان الله؛ فما رعوها حق رعايتها » (27). والرهبان الذين ما رعوها حق رعايتها هم من المسيحيين الذين قاوموا غزوة مؤتة؛ أما الذين رعوها حق رعايتها فهم من « النصارى » الذين يقومون على « نصرانية » محمد والقرآن.

في **تصريح رابع** يرفع المسلمين من جماعة محمد إلى مرتبة المسلمين من قبلهم، أي « النصارى » . لقد صرّح: « أولئك الذين آتيناهم الكتاب من قبله ... إنا كنا من قبله مسلمين: **أولئك يؤتون أجرهم مرتين** » (القصص 53)، لسبقهم إلى الإسلام، وإيمانهم بالمسيح ومحمد. وبعد فتح مكة، وانتصار « المتقين » من العرب على الشرك واليهودية، صاروا أهلاً لمرتبة « النصارى » : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله برسله **يؤتكم كفلين من رحمته** » (28). وهذا دليل آخر من وحدة الدعوة بين القرآن و « النصرانية » .

والشبهة القائمة بين سورة (الصف)، وسورة (الحديد)، في موقف القرآن من أهل الكتاب ومن النصارى، الذي يتعارض في ظاهره، ترجع إلى أسلوب الإطلاق في التعبير، وهو يقصد التخصيص الواضح من القرائن، كما بيّناه. فلا يتعارض أيضاً قوله : « وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رحمة ورأفة » (27)، مع قوله : « لئلا (لكي) يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله » (29)، وذلك لاختلاف المخاطبين، بين نصارى ومسيحيين. فالقرآن تأييد مطلق متواتر في كل السور « للنصرانية » ، على اليهودية، ثم على المسيحية كما بدأ ينجلي في سورة (الحديد). فأهل « الرأفة والرحمة » ، الذين « يقتدي بهداهم » ، ويؤيدهم بالدعوة والجهاد على « عدوهم » هم النصارى من بني إسرائيل، والمتنصرين معهم من العرب، الذين خلف إِمامهم، ورقة بن نوفل، على رئاستهم، فصار « أول المسلمين » .

*

الوثيقة الثامنة : جدال وفد نجران

الفصل الأول : قصص آل عمران (33 - 64)

توطئة : إن سورة (المائدة) تنقل تعليقات القرآن على مجادلته لوفد نجران المسيحي ؛ وقد نقلوا من ذلك الجدال الوحيد الشهير، في عام الوفود، قصص آل عمران (23 - 64) إلى السورة التي حملت اسمه، وأقحموا مكانه بعض جدال القرآن لليهود في سورة (المائدة) ، كانت تصفية اليهود قد تمت، فلا مجال لجدالهم في زمن سورة (المائدة) من عام الوفود. بذلك الإقحام المتبادل، الذي تنقضه ظروف السورتين، ران عليهما شبهة تاريخية في قيام الجدال بين القرآن والنصارى واليهود، طوال العهد بالمدينة؛ زادها تعقيداً شبهة لغوية في تسمية المسيحيين المقصودين « نصارى » . وفات جميع المفسرين شبهة أسلوبية في تعميم جدال وفد نجران على المسيحية كلها، وما كانوا إلا من بدعة « اليعقوبية » الهاربين من دين الدولة إلى يمن الجزيرة، وشمالها : ففي تعميم المفسرين جدال مسيحي نجران على المسيحية كلها، ظلموا أنفسهم في فهم القرآن، وظلموا المسيحية كلها وهي بعيدة عن خطاب القرآن، فظلموا القرآن نفسه.

يقول دروزة (1) في مناظرة أهل الكتاب، عام الوفود : « وأهم هذه المواقف والمجالس،

---

(1) سيرة الرسول 2 : 147.

ما كان بين النبي ص ووفد من نصارى نجران. والاسم لم يرد في القرآن صراحة، ولكن الروايات التي لا اختلاف في جوهرها مجمعة على ذلك، وعلى أن الفصل الطويل، الذي شغل حيّزاً كبيراً من القسم الأول من سورة آل عمران ، هو في صدد ذلك » . ففي قصص آل عمران (33 - 64) صورة إيمان القرآن بالمسيح : فهو يذكر قصة مولد مريم، أم المسيح (35 - 37)؛ وقصة مولد يحيى، سابق المسيح، والمؤمن أنه « كلمة من الله » (38 - 41)؛ وقصة نسك مريم في الهيكل، تهيئة لأمومتها المعجزة (41 - 43)؛ وقصة مولد عيسى المعجز (45 - 48)؛ وقصة رسالة عيسى المعجزة (49 - 51)؛ ويختم بقصة آخرة المسيح :

« فلمّا أحسّ عيسى منهم الكفر، قال مَن أنصاري إلى الله؟ قال الحواريون :
نحن أنصار الله ! آمنا بالله ؛ واشهد بأنّا مسلمون
52

ربنا آمنا بما أنزلت، واتّبعنا الرسول ، فاكتبنا مع الشاهدين
ومكروا ومكر الله بهم، والله خير الماكرين
53 - 54

إذ قال الله ؛ يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهّرك من الذين كفروا
وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ...
55

إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم : خلقه من تراب ، ثم قال له : كن !
فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين !
59 - 60

قلْ : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا
وبينكم، ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً
ولا يتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله
فإن تولوا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون » 64

هذا **فصل أول** من جدال القرآن للوفد المسيحي اليعقوبي من أهل نجران. وفيه صورة الإيمان القرآني بالمسيحية.

في **تصريح أول** يعلن أن المسيح وأمه ختام الذرية من الأمة المصطفاة على العالمين، من آدم، إلى نوح، إلى آل إبراهيم، إلى آل عمران، إلى مريم بنت عمران، إلى المسيح (33 - 34). فالمسيح هو **قمة** الأمة المصطفاة على العالمين، **وخاتمة** النبوة والكتاب بين المرسلين. فليس من أمة مصطفاة غيرها؛ وليس من نبوة وكتاب من غيرها؛ فالمسيح هو المصطفى على العالمين والمرسلين أجمعين.

في **تصريح ثان،** من قصة يحيى، تأتي البشارة بالمسيح أنه « **كلمة من الله** » (39)؛ كما ستأتي البشارة به لمريم « **بكلمة منه** » (45). فالقرآن، الذي يركز دعوته على بشرية المسيح، يراه دائماً على ضوء هذا اللقب الكريم. وهنا يعطينا قرينة تفسره : « **وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين** » (45) : فهو وجه الدنيا، كما هو وجه الآخرة : إنه سيد الخلق، أقرب إلى الله منه إلى المخلوق؛ ويصفه بأنه « من المقربين » . وهذا الوصف يتضح معناه من قوله : « لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقربون » (النساء 171) : **فهو من الملائكة المقربين،** لذلك فهو عبد، لا رب. وهذا جوهر العقيدة « النصرانية » من قبله، بخلاف المسيحية. فعقيدة القرآن في المسيحية عقيدة « نصرانية » ، ودعوته دعوة « نصرانية » .

في **تصريح ثالث،** يرد على أهل نجران الذين يجعلون مولد المسيح المعجز دليلاً على إلهيته : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم : خلقه من تراب، ثم قال له : كن، فيكون » (59): فإذا كان المسيح بلا أب، فآدم كان بلا أب ولا أمّ ! وأظن أن علماء نجران كانوا أجابوا : إن تكوين آدم من تراب، بلا أب ولا أمّ ليس بمعجزة لأنه الخلق بعينه، والمعجزة خرْق العادة؛ إنما المعجزة الناطقة وخرْق العادة فوق العادة في مولد المسيح من أم بلا أب، وهذه المعجزة الفريدة في تاريخ البشر والمرسلين لها دلالتها على ميزة المسيح على العالمين، لكنها لا ترفعه من صف المخلوقين. وهذا أيضاً رد « نصراني » على المذهب النجراني.

في **تصريح رابع**، يشهد بوفاة المسيح وبرفعه حياً إلى الله (55). فقد مكر اليهود بقتله وصلبه؛ لكن الله مكر بهم ببعثه ورفعه حياً إلى السماء، « ومكروا ومكر الله بهم، والله خير الماكرين » (54). لذلك، يقول الله : إني « جاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » (55)، إشارة إلى سيطرة أتباع المسيح على اليهود إلى يوم القيامة ـ فالقرآن يؤيد « النصرانية » على اليهودية.

في **تصريح خامس** يفسر معنى « نصارى » بأنصار الله، على لسان الحواريين؛ وهؤلاء يقولون لعيسى : « واشهد بأنـّا مسلمون » (52) : فالإسلام الحق هو دعوة الحواريين لله والمسيح. وهذه هي « النصرانية » التي تجددها الدعوة القرآنية. فإن تولى عنها أهل نجران، « فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون » (64) بإسلام « النصارى » .

*

الفصل الثاني : غلوّ أهل نجران في دينهم (النساء 170 - 171)

« يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق :
إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه

فآمنوا بالله ورسله، ولا تقولوا: « ثلاثة »
انتهوا، خيراً لكم؛ إنما الله إله واحد،
سبحانه أن يكون له ولد! له ما في السماوات
وما في الأرض، وكفى بالله وكيلا ! 170

لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقرّبون !
ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً ! »
172

هذا **الفصل الثاني** من جدال الوفد النجراني إعلان للعقيدة القرآنية في المسيح. نلاحظ أنه في هذا الفصل لا يكفرهم لإيمانهم بإلهية المسيح وبالتثليث، إنما هو يندّد « **بغلوّهم في دينهم** ».

في **تصريح أول** يورد القرآن العقيدة المسيحية والنصرانية **بحرفها الواحد** : « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » (170). لكن الخلاف **في تأويله**. ولو كان المسيح « كلمته وروحاً منه » فهو ليس بإله، وليس بابن الله، لأنه « سبحانه أن يكون له ولد » ! فكان النصارى يردون على التثليث المسيحي بالتوحيد التوراتي. وهذا ردّ القرآن على وفد نجران، فهو رد « نصراني ».

في **تصريح ثان** يردّ القول « بالثلاثة » ، باسم التوحيد التوراتي: « إنما الله إله واحد » (170). فكل قوله « بالثلاثة » ليس من التوحيد الخالص؛ لأنه « سبحانه، أن يكون له ولد » (170) - والولادة في عرفه لا تكون إلا بصاحبة : « أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة » (الأنعام 101)، وتعالى الله علوّاً كبيراً : « ما اتخذ صاحبة ولا ولداً » (الجن 3). وهذا رد توراتي « نصراني » .

في **تصريح ثالث** يفسر معنى قوله : « كلمته وروح منه » بأن المسيح من الملائكة المقربين » (171)، فهو « روح منه » تعالى مثلهم؛ لذلك فهو « عبد » لله، ولا ولد له تعالى.

وهذا هو التفسير الذي كان المسيحيون منه ينفرون. فالتعبير « كلمة الله » لا يعني كلام الله الخلاّق، بل كلامه الذاتي في نفسه؛ فالمسيح، من حيث هو « كلمته » ، فهو نطقه الذاتي، ونطقه في ذاته مثل ذاته. لذلك يرادفه التعبير « روح منه » : فكلمته ذات، لا كلام، لأنه « روح منه » تعالى : فلا يصح تأويلها على الإطلاق بالأمر الخلاق : « كن، فيكون » . إنه « روح منه » لا على طريق الخلق، بل على طريق الصدور : إنه « روح منه » أي من ذاته، فهو مثل ذاته لذلك فهو غير أرواح الله، الملائكة المقربين. ويعتمد المسيحيون في تأويلهم على فاتحة الإنجيل بحسب يوحنا، حيث ورد التعبير للمرة الأولى : « في البدء كان

الكلمة، والكلمة كان في الله، والله كان الكلمة، فهو منذ البدء في الله ... والكلمة صار بشراً وسكن في ما بيننا » (1 : 1 و14). هذا معنى « كلمته وروح منه » . ويلاحظ المسيحيون بأن ذلك التعبير الذي يجعل المسيح أحد الملائكة المقربين، يقول **بازدواجية** في المسيح : أملاكاً وبشراً معاً ؟! إن الروح إذا تجرد عن الجسد كان ملاكاً، وإذا اقترن بجسد كان بشراً. أمـا « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » فهو تعبير عن **الثنائية المعجزة** في شخصية المسيح : كلمة الله الروحية النطقية الذاتية يصير من مريم بشراً، في وحدة الشخصية وثنائية الطبيعة من لاهوت وناسوت. وهو كائن في الله قبل إلقائه إلى مريم.

وقد تسربت العقيدة « النصرانية » إلى الأريوسية في مصر : إن التوحيد التوراتي، « الله أَحد » (التثنية 6 : 4) والنبوي كما عند أشعيا « الله الصمد » يمنع عن الله كل ولادة، وكل كفاءة، مع المخلوق. لذلك : « قل هو الله أَحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد » (سورة الإخلاص)، كانت مقالة « النصرانية » التي تبنتها الأريوسية، فكانوا يقولون : « مخلوق غير مولود » . فيرد المسيحيون : « مولود غير مخلوق »[1] . ولما ظهر الإسلام يقول بمقالة الفريقين ذابوا فيه إلى الأبد.

فعقيدة القرآن في المسيح « نصرانية » : إنه « كلمته وروح منه » مثل الملائكة المقرّبين (170 - 171)، فالمسيح « من المقربين » (آل عمران 45). وكانت « النصرانية » مثل القرآن تعتبر « روح القدس » جبريل، وكلمة الله الملاك ميكال : فليس المسيح بإله وليس من « ثلاثة » . فالقرآن دعوة « نصرانية » .

*

(1) في اليونانية التي كانت شائعة في كل دولة الروم كان الفرق في التعبير يقوم على حرف هجاء واحد : مولود « γέννητος » ؛ « γένητος » مصنوع، مخلوق؛ فيسهل التلاعب بالعقيدة.

الفصل الثالث : تعليقات سورة المائدة (5 / 22 / 122)

ملاحظة خطيرة : في سورة المائدة نجد الفصل الثالث من جدال القرآن لوعد نجران، في صورة تعليقات على الجدال بعد انصراف الوفد، حيث ينتقل إلى التكفير، بعد التنديد أمامهم « بالغلو » . والظاهرة النافرة أن الصورة تمزج بطريقة متواصلة جدال اليهود بجدال وفد نجران، مع أنه في زمن سورة المائدة وجدال وفد نجران في عام الوفود، لم يبقَ لليهود في المدينة من أثر يُذكر ليدخلوا طرفاً في الجدال. إن جدال اليهود في (المائدة) مقحم عليها يجب وضعه في سورة (آل عمران)، قبل تصفية اليهود من المدينة ومن الحجاز.

« ومن الذين قالوا (إنا نصارى) أخذنا ميثاقهم، فنسوا حظّاً مما ذَكروا به
فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة
وسوف يُنبئهم الله بما كانوا يصنعون
15

لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم ـ قل : فمن يملك من الله شيئاً
إن أراد أن يهلك المسيح، ابن مريم، وأمه، ومن في الأرض جميعاً
19

قل : يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا إن آمنّا بالله
وما أنزل إلينا، وما أنزل من قبل ، وإن أكثركم فاسقون !
62

ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل، وما أنزل إليهم من ربهم
لأكلوا من فوقهم، ومن تحت أرجلهم !
منهم **أمة مقتصدة**، وكثير منهم ساءَ ما يعملون
69

قلْ : يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا
التوراة والإنجيل وما أُنزل إليكم من ربكم؛
وليزيدنَّ كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك
طغياناً وكفراً : فلا تأسُ على القوم الكافرين!
71

لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم
وقال المسيح : يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم
إنّ من يُشـرك بالله ، فقد حـرَّم الله عليه الجنة
ومـأواه النـار، وما للظـالمين مـن أنصـار!
75
لقد كفـر الـذين قالـوا : إن الله ثالث ثلاثـة !
ومـا من إِله إلا واحد! وإنْ لم ينتهوا عمّا يقولـون
ليمسنّ الـذين كفـروا منهم عـذاب أليم!
أفلا يتوبـون إلى الله ويستغفرونـه، والله غفور رحيم
77 - 76
ما المسـيح ابن مريم، إلا رسـول قـد خلت
من قبله الرسـل! وأمه صديقة! كانـا يأكلان الطعام!
انظـر كيف نبيّـن لهـم الآيـات ! ثـم انظـر أنـّى يؤفكـون !
78
قلْ : أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم نفعـاً ولا ضـرّاً، والله هـو السميع العليـم
قلْ : يا أهل الكتـاب لا تغلوا في دينكم غيـر الحـق ، ولا تتّبعوا أهـواء قـوم
قـد ضلـّوا مـن قبـل وأضلـّوا كثيراً وضلـّوا عـن سـواء السـبيل
80 - 79
وإذ قال الله : يا عيسى ابن مريـم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟
قال : سـبحانك! ما يكون لي أن أقـول ما ليس بحق ؟ إن كنت قلتـه فقـد علمتَـه !
تعلم ما في نفسي، ولا أعلم ما في نفسك إنـك أنت عـلاّم الغيـوب !
119
مـا قلتُ لهم إلا مـا أمـرتني بـه : أن اعبـدوا الله ربـي وربكـم !
وكنت عليهـم شـهيداً مـا دمت فيهـم فلمـا توفيتني كنت أنت الرقيب عليهـم !

وأنت على كل شيء شهيد. إنْ تعذبهم فإنهم عبادك! 120
وإن تغفرْ لهم فإنك أنت العزيز الحكيم!
قال الله : هذا يوم ينفع الصادقين ـ صدقهم 121

في هذا **الفصل الثالث**، من جدال وفد نجران، يعلّق القرآن على الجدال بعد وقوع الحال.

في **مشهد أول** يصف « العداوة والبغضاء » القائمة بين النصارى والمسيحيين (15). لاحظ صيغة التعريف بالمسيحيين : إنهم « الذين قالوا : إنا نصارى » (15). فهم ليسوا « بنصارى » لأنهم « نسوا حظّاً مما ذكروا به » (15). فقد تمنعوا عن إقامة التوراة والإنجيل معاً، ولو فعلوا « لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » (69). لذلك فهو يقسم أَتباع المسيح إلى أمتين : « أُمة مقتصدة، وكثير منهم ساء ما يعملون » (69) « وأن أكثركم فاسقون » (62). **فالأمة المقتصدة هم النصارى**، والفاسقون عن دينهم هم المسيحيون، لأنهم يغلون في دينهم غير الحق (80). فكما كان القرآن « تأييداً » للنصرانية على اليهودية حتى النصر المبين (الصف 14) فهو أيضاً تأييد للنصرانية على المسيحية، حتى « لا يبقى في جزيرة العرب دينان » كما أوصى محمد قبل موته.

في **مشهد ثانٍ** يأخذ موقف « النصرانية » من الشريعة : « قلْ يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليكم من ربكم » (71). فاليهود يقتصرون على التوراة؛ والمسيحيون يكتفون بشريعة الإنجيل؛ والنصارى من بني إسرائيل وحدهم يقيمون التوراة والإنجيل معاً شريعة واحدة، وهذا هو موقف القرآن. فالقرآن في تشريعه أيضاً دعوة « نصرانية » .

في **مشهد ثالث** يكفّر القول بإلهية المسيح، كما وردت على لسان وفد نجران : « لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح بن مريم » ، وهو يكرّر ذلك مرّتين (19 و75). فسره الجلالان : « هم اليعقوبية، فرقة من النصارى » . وأوضحه الرازي : « شرع هنا في الكلام مع النصارى (أي المسيحيين) فحكى

عن فريق منهم أنهم قالوا : (إن الله هو المسيح ابن مريم)، وهذا هو قول اليعقوبية، لأنه يقولون : إن مريم ولدت إلهاً. ولعلّ معنى هذا المذهب أن الله تعالى حل في ذات عيسى، واتحد بذات عيسى ›› . وبيّنه البيضاوي : ‹‹ هم الذين قالوا بالاتحاد منهم. وقيل : لم يصرّح به أحد منهم بل حكى لسان حالهم ›› .

فالإجماع على أَنها مقالة اليعقوبية. ونعلم بأن تلك المقالة كفّرتها المسيحية في المجمع المسكوني الرابع في خلقيدونيا سنة 451، قبل أن يكفّرها القرآن بمئتي سنة. فإن تلك المقالة قد تعني بأن الله وكلمته وروحه جميعاً تجسّد في المسيح، والذي تجسّد هو كلمة الله وحده. ومقالة اليعقوبية فيها شبهة أخرى في كيفية الاتحاد، حيث يزعمون أن الناسوت ذاب في اللاهوت كما تذوب نقطة الماء في الخمر، أو كما يذوب شمع في النار، مع أن المسيح ناسوتاً كاملاً، كما فيه لاهوت كامل، في وحدة الشخصية، بحسب اعتقاد المسيحية جمعاء. والقرآن يكفّر تلك اليعقوبية في المسيحية، بالبرهان ‹‹ النصراني ›› الذي شهرته الأريوسية نفسها بوجه العقيدة بإلهية المسيح : قال الإنجيل ‹‹ إني صاعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم ›› (يوحنا 20 : 17)، وردّد القرآن على لسان المسيح ‹‹ يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم ›› (75) - والمسيح من حيث بشريته يقول ‹‹ ربي وربكم، إلهي وإلهكم ›› ؛ لكن من حيث إلهيته يقول أيضاً : ‹‹ أنا والآب واحد ... مَن رآني فقد رأى الآب ›› (يوحنا 10 : 30؛ 12 : 45؛ 14 : 9). على هذا الأساس كفّرت المسيحية مقالة اليعقوبية قبل القرآن. وبما أن جدال القرآن كله مع المسيحية، يقتصر وينحصر بجداله مع اليعقوبية المبتدعة، **فليس في القرآن كله جدال مع المسيحية الرسمية على الإطلاق.** والقرآن يردّ على بدعة في المسيحية بردّ الشيعة ‹‹ النصرانية ›› عليها : فالقرآن دعوة ‹‹ نصرانية ›› بعقيدته في المسيح.

في **مشهد رابع** يكفر القرآن القول ‹‹ بالثلاثة ›› (النساء 170) بهذه الصيغة : ‹‹ لقد كفر الذين قالوا : **إن الله ثالث ثلاثة** ›› (المائدة 76). فمن هم ‹‹ الثلاثة ›› ؟

لقد أبنّا في كتاب لنا سابق[1] شرح أَئمة الكلام والتفسير لهذا التعبير. والإجماع على أنهم (**الله والمسيح ومريم**)، من هذين القولين : « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، وأُمه صديقة؛ كانا يأكلان الطعام » (78)! « وإذ قال الله : يا عيسى ابن مريم، أَأَنت قلت للناس اتخذوني وأُمي إلهين من دون الله » (119).

ونحن نقول : إن هذا التفسير بالاستناد إلى الآيتين (78 و119) قد يستقيم، ونجد له شاهداً تاريخياً في تعبّد بعض المسيحيين العرب الجهّال لمريم أم المسيح، على مثال تعبّد المشركين العرب « للاّت والعزى، ومناة الثالثة الأخرى » ؛ واسمهم « المريميون » ، ولقبهم « الكلّيريون » من أَقراص قرابين « يلتتونها » لمريم كما للاّت. لكن ليس في المسيحية من يعبد مريم أم المسيح كإِلهة! والآيتان (78 و119) تردان في جدال وفد نجران، وهو أبعد ما يكون عن اعتبار مريم إلهة من دون الله. لذلك يبقى تفسيرهم للقرآن حتى اليوم قاصراً في هذا الموضوع؛ وينتج منه شبهة منكرة على القرآن في اتهامه للمسيحية بتأليه مريم، وهي منه براء منذ ألفي سنة.

إن قوله : « اتخذوني وأمي إلهين من دون الله » (119) ردّ « نصراني » بتعبير « نصراني » . والمقصود هنا « بأمّ » المسيح هو الروح القدس كما ورد في « إنجيل النصارى » : « أُمي الروح القدس » حلت عليَّ، فإِن كلمة « روح » مؤنث في الأرامية، والسريانية. فيكون « الثلاثة » : الله والمسيح والروح القدس. وبما أن « النصارى » كانوا يقولون « ملاك كلمة الله » ، و « ملاك الروح القدس » ـ وهذا هو أيضاً تعليم القرآن ـ فإن المسيح وأُمه، الروح القدس، هما في العقيدة « النصرانية » « إِلهان من دون الله » عند المسيحيين. لذلك يجعل القرآن المسيح نفسه يستنكره في يوم الدين بأدب جمّ، ويستشفع لمن قال به من

---

(1) مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي ص 290 - 295.

أمته (119 - 122). فالقرآن يـردّ علـى « الثلاثـة » بـرد « النصـرانية » ذاتهـا : فـالقرآن دعـوة « نصرانية » في تكفير « الثلاثة » ، كما في تكفير إلهيّة المسيح.

لكنه، على كل حال، تكفير محصور في جدال وفد نجران، وبعيد كل البعد عن العقيدة المسيحية الصحيحة. فمن الظلم للقرآن نفسه تحويل جداله المحدود بوفد نجران إلى المسيحية جمعاء.

وهذا الجدال المقصور المحصور، الذي ندرسه في فصوله الثلاثة من (آل عمران 33 - 64) ومن (النساء 170 - 171) ومن (المائدة 19 و75 و76 و119)، برهان قاطع، جامع مانع، على أن القرآن دعوة « نصرانية » في « أُمة وسط » بين اليهودية والمسيحية.

*

الوثيقة العاشرة : من سورة التوبة = براءة (9 / 23 / 113)

توطئة. نزلت سورة التوبة في ملابسات غزوة تبوك ضدّ المسيحيين العرب في شمال الحجاز، عند مشارف الشام. وصدّروها بعد نزول السورة بتلك « البراءة » من المشركين، التي نزلت يوم « الحج الأكبر » (3) المسمى حجة الوداع. فقد روى البخاري أن النبي بعث عليّاً سنة تسع فتلا آيات « براءة » يوم النحر بمنى ثم قال : أمِرت بأربع : أن « لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك؛ ولا يطوّف بالبيت عريان؛ ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة؛ وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده » . وآيات تلك البراءة « مختلف في عددها؛ ما بين ثلاث عشرة (عن مجاهد) وثلاثين أو أربعين (عن غيره) كما في البيضاوي. فتكون الآيات (30 - 35) في أهل الكتاب مقحمة بين سورة براءة وسورة التوبة؛ وقد نزلت لإعلان الجهاد ضدّ المسيحيين العرب وتبريره، كما أعلن، ضدّ اليهود العرب، لكي « لا يبقى في جزيرة العرب دينان » بحسب وصية محمد الأخيرة، فتكون سورة « براءة » ، في صدر سورة التوبة آخر ما نزل من القرآن، مع سورة النصر.

قال دروزة في (سيرة الرسول 1 : 165 - 166) : « الآية (30) تشريعية، والأخرى (31 - 34) تنطوي على حكمة التشريع، بالإضافة إلى ما في الأولى من هذه الحكمة. وقد يدخل في الآيات اليهود والنصارى (أي المسيحيون) معاً. غير أن الآيات نزلت بعد الفتح المكي على ما تلهمه ظروفها؛ ولم يكن قد بقي يهود في الحجاز؛ كما أنها نزلت بين يدي غزوة تبوك، التي هي من مشارف الشام، والتي غالب سكان مناطقها نصارى (يعني مسيحيين)؛ وبين يدي الآيات (38 - 42) التي أجمعت الروايات على أنها في صدد الاستنفار إلى هذه الغزوة. فهذه

الآيات وتلك، والحالة هذه، تنطوي على إشارات قرآنية إلى الصدام بين النبي والمسلمين من جهة، والنصارى (أي المسيحيين) من جهة أخرى » . نقول : هذه هي القرائن التي تدل، مع برهان وصية محمد الأخيرة « لا يبقى في جزيرة العرب دينان » ، على أن تشريع الجهاد ضد المسيحيين يقتصر في القرآن على المسيحيين في جزيرة العرب؛ ومن الظلم للقرآن نفسه تقوّله بالشمول للمسيحيين خارج الجزيرة العربية.

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله، ولا باليوم
الآخر، ولا يحرّمون ما حرَّم الله ورسوله
ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا
الكتاب، حتى يعطوا الجزية عن يد، وهم صاغرون
30
وقالت اليهود : عزيز ابن الله ! وقالت النصارى: المسيح ابن الله !
ـ ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون[1]
قول الذين كفروا من قبل! قاتلهم الله أنّى يؤفكون!
31
اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، والمسيح ابن مريم!
وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو، سبحانه عمّا يشركون!
32
يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره ، ولو كره الكافرون!
هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين
الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون!
33 - 34
يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان
ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله!
والذين يكنزون الذهب والفضة، ولا
ينفقونها في سبيل الله، فبشرهم بعذاب أليم! »
35

---

(1) يضاهئون : لغة ثقيف؛ وعامة الحجاز والعراق : يضاهون، أي قول النصارى يضاهي قول اليهود (الطبري) .

سورة (براءَة)، في صدر سورة (التوبة) فيها **التشريع النهائي في الجهاد**، ضد المشركين (1 - 29) ثم ضد أهل الكتاب (30 - 35). وبين الجهادين فارق جوهري : جهاد المشركين العرب **حتى يدينوا بالإسلام**؛ أما جهاد الكتابيين **للسلطان الإسلامي**. فلا يشرع القرآن إخضاع أهل الكتاب من يهود ومسيحيين للدين الإسلامي.

والظاهرة الكبرى الأولى في هذا التشريع أنه يجمع المشركين وأهل الكتاب في جهاد واحد. مع أنه قد شرع أولاً : « لا إكراه في الدين » (البقرة 256)، ونادى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين : مَن آمن بالله واليوم الآخر، وعمل صالحاً، فلهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (البقرة 62). وشرع تفويض أمرهم لله : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا : إن الله يفصل بينهم يوم القيامة؛ إن الله على كل شيء شهيد » (الحج 17). وعاد فكرَّر تشريع البراءة : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى : من آمن بالله واليوم الآخر، وعمل صالحاً، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (المائدة 72). ويتراوح تنزيل (المائدة والتوبة)، فكيف يشرع أخيراً جهاد أهل الكتاب مثل المشركين، وجهاد المسيحيين مثل اليهود، ولو اختلفت الغاية؟ فهل كانت المهادنة تقيّة، ولما قوي سلطانه كشف عن أهدافه؟ فلو صح أن آية (براءة 6) قد نسخت القرآن كله في التسامح مع المشركين، فلا تصح مع المسيحيين الذين لم يذكرهم من قبل بسوء، بل أقرّهم على تشريعهم (المائدة 51).

والظاهرة الثانية الكبرى إن الجهاد ضد المشركين وضد اليهود قام طوال العهد المدني. أما النصارى فقد ظلوا أهل المودة حتى النهاية : « لتجدنَّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا! ولتجدنَّ أقربهم مودّة للذين آمنوا الذين قالوا (إنا نصارى) ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون » (المائدة 85). فكيف انقلبت المودة إلى جهاد وعداوة في آخر

ساعة؟ يقول دروزة[1] : « كان غالب سكان مشارف الشام نصارى (أي مسيحيين) تابعين لنفوذ دولة نصرانية (أي مسيحية) كبرى. وقد ذكرت الروايات أخبار اعتداء بعض قبائل هذه المشارف، كقضاعة وبني كلب، على قوافل التجار؛ وخبرَ قتل أحد رسل رسول الله ص في هذه المنطقة، وأخبار سرايا جهادية ... وقد بدأت هذه السرايا منذ السنة الهجرية السادسة (بعد تصفية يهود المدينة، وإخضاع يهود الشمال في خيبر). وهكذا يكون **الصدام المسلح** بين النبي والمسلمين من جهة، وسكان مشارف الشام (المسيحيين) من جهة أخرى، قد بدأ منذ أوائل النصف الثاني من العهد المدني، واستمرّ » .

والظاهرة الثالثة الكبرى، في الكشف الأخير عن أهداف الدعوة القرآنية.

إن التعارض القائم بين تصريح (المائدة 85) في مودة النصارى، وتصريح (التوبة 30) في قتال النصارى، مثل اليهود، **إنما هو شبهة :** فالنصارى، أَهل المودة، هم النصارى من بني إسرائيل، ومَن تنصّر معهم من العرب؛ والنصارى أَهل القتال في (التوبة 30) هم المسيحيون العرب في مشارف الشام. وهذا التمييز يكشف عن غاية الدعوة القرآنية : إنها قامت لتأييد النصرانية الإسرائيلية على اليهودية (الصف 14)؛ وتنتهي بتأييد هذه النصرانية على المسيحية. وشعار الجهاد الذي كرَّره القرآن في كفاح اليهودية : « هو الذي أَرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون » (الصف 9؛ الفتح 28)، يردّده أخيراً في كفاح المسيحية العربية (التوبة 34)؛ وهو يُظهر غيظ المشركين من انتصار الدعوة القرآنية على اليهودية وعلى المسيحية في جزيرة العرب. وهذا الشعار أيضاً يُظهر أهداف الدعوة القرآنية، بانتصار « الهدى ودين الحق » أي « النصرانية » (الصف 14) « على الدين كله » ، أي الشرك واليهودية والمسيحية، في الجزيرة العربية. فالقرآن كله، وجهاده كله، دعوة « نصرانية » .

---

(1) سيرة الرسول 2 : 164.

وهكذا فالآية (30) **تشرع الجهاد** ضد أَهل الكتاب، من يهود ومسيحيين، « حتى يدفعوا الجزية عن يد، وهم صاغرون » . إن كلمة « جزية » لا ترد في القرآن كله إلا في هذه الآية. وأُسلوب القرآن قائم على التكرار في المواضيع وأُسس الدعوة؛ وهو يجهل تعبير « الجزية » : فهل هي مقحمة من زمن التدوين؟ وهل تشريع جهاد المسيحيين في هذه الآية الوحيدة أُقحم في زمن الفتوحات الإسلامية لتبريره؟ هذا ما توسوس به آية المودة عند النصارى (المائدة 85)؛ وهذا ما يشير إليه قوله : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ... من الذين أُوتوا الكتاب » (30)، **مع أنه يشهد بإسلامهم :** « ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً : أَيأمركم بالكفر بعد إِذ أنتم مسلمون » (آل عمران 80)؛ وهذا ما يدل عليه قوله : « وقالت اليهود : عزيز ابن الله » (31)، وهذه آية وحيدة في القرآن، مع أنه يردّد قصص الأنبياء، وأَهل التوراة على توحيد الخالص، فلا يصح منهم أن يجعلوا عزيزاً، جامع التوراة بعد جلاء بابل، « ابن الله » . أَلا تدل كل هذه الشبهات على إقحام هذا الفصل (30 - 35) في قتال المسيحيين، كقتال اليهود، ما بين سورة براءة (1 - 29) وسورة التوبة (40 - 130)، وهو يختم القرآن كله بجعل « التوراة والإنجيل والقرآن » في منزلة واحدة (112)؟

وشبهة أخرى على إقحام تعبير « الجزية » على القرآن، من زمن الفتوحات العربية وتدوين القرآن، إن الجزية المفروضة في الآية (30) على الكتابيين قد طبقوها أيضاً على غير الكتابيين. قال دروزة[1] : « من السنة النبوية والراشدية أن الجزية أُخذت من غير الكتابيين أيضاً مثل المجوس وعبدة الكواكب. وعلى هذا تكون السنة قد فسرت الآية بحيث يُفهم منها أن ذكر أهل الكتاب لا يعني اقتصار الجزية عليهم، وإنما خُصّوا بالذكر لأنهم موضوع مباشر حاضر » . فالجزية من ضرورات الفتوحات، لا من واقع حال التنزيل؛ مما يلقي شبهة عامة على هذا التشريع نفسه، لإعطاء الفتوحات في بلاد مسيحية ذريعة بشرعة قرآنية.

---

(1) سيرة الرسول 2 : 167 حاشية.

والأسباب الموجبة لقتال اليهود والمسيحيين على السوء **سبعة :** « لا يؤمنون بالله، ولا باليوم الآخر ـ ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله ـ ولا يدينون دين الحق ـ وقالت اليهود : عزيز ابن الله؛ وقالت النصارى : المسيح ابن الله ـ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، والمسيح ابن مريم ـ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ـ إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل » (30 ـ 33). وهذه الأسباب الموجبة السبعة كلها شبهات تتعارض مع القرآن نفسه :

السبب الأول : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » (30). إن النصارى من بني إسرائيل « ليسوا سواءً : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون، ويؤمنون بالله واليوم الآخر » (آل عمران 113)؛ والمسيحيون والنصارى في ذلك سواء. ويشهد بإسلام اليهود : « أَيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون » (آل عمران 80). فكيف أمسوا لا يؤمنون بالله. ولا باليوم الآخر؟

السبب الثاني : « ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله » (30). فكيف يحرّمون تحريم القرآن، وقد صرّح في الزمن نفسه : « لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً » (المائدة 71). والتحريم في القرآن مسند إلى الله وحده؛ فكيف يصح أن يشترك محمد مع الله في التحريم؟ أَليس في هذا التعبير شبهة شرك؟ وإذا كان الرسول يحرّم بتحريم الله، فقد « جعلنا لكل منكم شرعة ومنهاجاً، فكيف يخالف تشريع ربه؟

السبب الثالث : « ولا يدينون دين الحق » (30). والتشريع الأساسي في القرآن : « لا إكراه في الدين » (البقرة 256) : فهل فارق الدين أمسى سبباً للقتال؟ أم هو تبرير السياسة بالدين، كما يفعل الغزاة في الفتوحات؟

السبب الرابع : « وقالت اليهود : عزيز ابن الله؟ وقالت النصارى : المسيح ابن الله » (31) حيث صار المسيحيون يضاهون قول اليهود « الذين كفروا من

قبل » (31). وهذا التصريح « المسيح ابن الله » برهان على أن النصارى هنا تعني المسيحيين. وهذان القولان في المسيح وفي عزيز لا يردان على الإطلاق في القرآن إلا في هذه الآية. إنه ينهى اليهود عن اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً (آل عمران 80) لكنه لا يقول بحق أحد منهم أنه « ابن الله » ! كذلك في مجادلة وفد نجران لا يرد على الإطلاق تعبير « المسيح ابن الله » . فالقرآن قبل هذه الآية لا يعرف مثل هذين التصريحين. هل يمكن أن يقول المسيحيون « المسيح ابن الله » على المجاز، كما يقول اليهود مجازاً « عزيز ابن الله » ؟ أو أن يقول اليهود بحقيقة إلهية عزيز؟

السبب الخامس : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، والمسيح ابن مريم » (32). إنه يسفه اليهود بتربيب الملائكة والأنبياء (آل عمران 80)، لكن لا يرد فيه أبداً ذكر لتربيب الأحبار. وهل يُعقل أن يجعل المسيحيون رهبانهم أرباباً مثل المسيح؟ هذا حديث غريب عن القرآن.

السبب السادس : « يريدون أن يُطفئوا نور الله بأفواههم » أي بكلامهم (الطبري)، بينما حاول المشركون بسيوفهم. فهل يُردّ على اللسان بالسنان؟ وهل التنافس بالدعوة يحمل على القتال؟ أجل يقول : « والفتنة أشد من القتل » ، لكن في مؤتة ثم في تبوك ليس من فتنة للمسلمين عن دينهم.

السبب السابع : « إن كثيراً من الرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله » (35). كيف يقول ذلك والرهبان في السورة عينها هم « التائبون العابدون الحامدون **السائحون** الساجدون الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر، والحافظون لحدود الله » (التوبة 113). وتعبير « السائحين » يعني الرهبان المتجولين يدعون لحفظ حدود الله، فلا يصدون عن سبيل الله. أجل قد يقصرون في « رهبانية ابتدعوها ... فما رعوها حق رعايتها » ، لكنهم لا « يأكلون أموال الناس بالباطل » . هذا الاتهام يتعارض مع القرآن كله بحق الرهبان.

فتلك الأسباب السبعة لتبرير قتال المسيحيين، شبهات سبع تتعارض معنى

ومبنى مع تعليم القرآن المتواتر، فدلائل الإقحام بادية منها على فصل تشريع الجهاد والقتال بحق المسيحيين. إذا سقط هذا الفصل المتشابه المشبوه، **ليس في القرآن تشريع بجهاد وقتال المسيحيين.** وهو يقتصر تأييده على قتال اليهود، « عدو » النصارى من بني إسرائيل (الصف 14)، وقد جاء « يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل 76).

وتلك الشبهات على الأسباب الموجبة لقتال المسيحيين دلائل على أن الأمر القرآني الوارد بقتال المسيحيين أسوة باليهود (التوبة 30) **إن صحّ هو تعميم يُراد به التخصيص،** بحسب أُسلوبه المتواتر. فهو يقصر الجهاد على الحجاز والجزيرة كما يتضح من وصيته الأخيرة : « لا يبقى في جزيرة العرب دينان » . لذلك لما رجع ظافراً من غزوة تبوك بعث فهدم وأحرق « مسجد الضرار » (التوبة 107 - 111) الذي بناه الراهب أبو عامر، لمنافسة مسجد قباء الذي بناه الرسول. كان ذلك الراهب مسيحياً، وقد « حارب الله ورسوله من قبل » (107). قال الطبري : « وذلك أن أبا عامر هو الذي كان حزّب الأحزاب لقتال رسول الله ص. وقال لجماعته : ابنوا مسجدكم واستعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح، فإني ذاهب إلى قيصر، ملك الروم، فآتي بجند من الروم، فأخرج محمداً وأصحابه وكانوا يرون أنه سيظهر على محمد. ولما فُتحت مكة، لحق بهرقل، هارباً إلى الروم ومعه كنانة بن عبد ياليل، من ثقيف، وعلقمة بن علاثة من قيس » . وهكذا تكون الدعوة المسيحية قد تأصلت بالمدينة، أثناء الدعوة القرآنية، وامتدت إلى الأعراب وإلى بني ثقيف في الطائف. فقضى عليها محمد في مهدها، وهدم مسجدها. وهذا الخبر الصحيح يؤكد انتصار الدعوة القرآنية « للنصرانية » على المسيحية، في الجزيرة العربية، كما انتصر لها على اليهودية (الصف 14).

وهذا التخصيص باقتصار الجهاد على الحجاز والجزيرة يأتي أيضاً من حرف القرآن نفسه : « قاتلوا الذين لا يؤمنون ... **من أهل الكتاب** » (30). يقول دروزة : « ومع أن كثيراً من المفسرين قد صرفوا الأوصاف الثلاثة المذكورة

في الآية (30) إلى أن كفر الكتابيين برسالة النبي والدين الذي أتى به : **سبب مطلق**؛ وقالوا إنه موجب التشريع؛ فإن هناك ما يحمل على التوقف في التسليم بذلك؛ لأنه يقتضي أن يكون المسلمون مأمورين **بمقاتلة كل كتابي إطلاقاً**، إذا جحد رسالة النبي، مع أن الآية قد احتوت حرف التبعيض « من » الذي لا شك أنه يعترض ذلك القول الإطلاقي ... هذا إلى أن قولهم ذاك ينقض المبدأ القرآني المحكم (في الممتحنة 8 خاصة وفي البقرة 29 - 41؛ 29 - 294؛ والنساء 10 - 91) من أن **الجهاد الإسلامي دفاعي**، ورد لبغي وعدوان ... إذ ينطوي فيه أن لا يكون عدم إسلام إنسان ما سبباً لقتاله » . صحة هذا التخريج تنقض إطلاق تشريع القتال ضد المسيحيين، وتحصره في الجزيرة، كما في وصية النبي : « لا يبقى في جزيرة العرب دينان » . وبما أنه ليس في الحجاز جماعة مسيحية محاربة سوى جماعة الراهب أبي عامر، التي قضى عليها النبي بعد غزوة تبوك، فوجودها لا يتناسب مع تعميم تشريع الجهاد ضد المسيحية في الجزيرة، مما يوحي بأن الفصل كله مقحم. وقد أوصى النبي فقط « بإخراج نصارى نجران اليمن » .

وشعار الجهاد الذي أطلقه القرآن ضد اليهودية : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق (أي النصرانية) ليظهره على الدين كله » (الصف 9؛ الفتح 27)، مكرّر هنا (التوبة 34) ليعني شموله للمسيحية، أسوة باليهودية. وهذا ما أوقع أهل الحديث والتأويل في حيرة. نقل الطبري : « وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله (ليظهره على الدين كله). فقال بعضهم : ذلك عند خروج عيسى حين تصير الملل كلها واحدة ... قال (حديث) : إذا خرج عيسى عليه السلام اتبعه أهل كل دين. وقال آخرون : معنى ذلك ليعلّمه شرائع الدين كلها، فيطلعه عليها ... وعن ابن عباس قال : ليظهر الله نبيه على أمر الدين كله، فيعطيه إياه كله، ولا يخفى عليه شيء منه. وكان المشركون واليهود يكرهون ذلك » . فلا ذكر للمسيحيين في أبعاده. أما تعليم محمد الدين كله وشرائعه كلها ينقضه قوله : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » (الإسراء 85). أما تنفيذ ظهور الإسلام يوم خروج عيسى ليوم الدين، فيرجع الفضل فيه إلى المسيح نفسه، في

اليوم الآخر. وكلا التفسيرين بعيد عن منطق القرآن الذي يحصر ظهور الإسلام على الشرك في جزيرة العرب؛ وعلى اليهودية والمسيحية فيها وحدها، كما تفسره وصيته : « لا يبقى في جزيرة العرب دينان » . وظهور الإسلام الأخير بفضل المسيح نفسه الدليل الختامي على أن الدعوة القرآنية « نصرانية » .

ولا ننسَ أن الشك في إقحام (براءة 30 - 35) ليس طعناً في صحة القرآن التي نشهد لها.

*

خاتمة البحث : أربعة شواهد تاريخية

تلك هي بعض الوثائق القرآنية في المدينة : « **لتنصّر** » **محمد ودعوته.**

وتظهر عقيدة من جهاده، ومن التشريع القرآني الأخير للجهاد ضد اليهودية والمسيحية معاً (براءَة 30 - 35) حيث بنى موجبات الجهاد على سبعة أسباب، لإقامة « الهدى ودين الحق على الدين كله » أي فرض دين التوراة والإنجيل ديناً واحداً على العرب (الشورى 13)، وهذه هي « النصرانية » . ومهما كان من أمر الشبهات على صحة الفصل في الجهاد ضد المسيحية، فهناك **أربعة شواهد تاريخية** على تصفية اليهود والمسيحية من الحجاز، على أمل تصفيتهما من الجزيرة كلها، لصالح « النصرانية » القرآنية.

بعد تصفية يهود المدينة، ثم يهود الشمال في خيبر وفدك، أعلن ظهور « النصرانية » على اليهودية : « فأيدنا الذين آمنوا (بالمسيح، من بني إسرائيل) على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14). هذا الواقع القرآني التاريخي هو **الشاهد الأول.**

وبعد نجاح غزوة تبوك، التي ساهم في حشد المسيحيين من العرب والروم لها، الراهب أبو عامر، أمر محمد بهدم « مسجد الضرار » الذي بناه جماعة الراهب المسيحي في المدينة، لمنافسة مسجد النبي ودعوته (التوبة 108 - 111)، حتى لا يظلّ « ريبة في قلوبهم » ، « وتُقطّع قلوبهم » (التوبة 111). فقضى على المسيحية بعد اليهودية، في الحجاز والجزيرة؛ بحسب شعار الجهاد ضد الكتابيين،

أسوة بالمشركين : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق (وهذه هي النصرانية) ليظهره على الدين كله » (التوبة 34). هذا الواقع القرآني التاريخي هو **الشاهد الثاني.**

وقد ترك محمد لأمته، قبل وفاته، هذه الوصية الأخيرة، وهي المختصر المفيد للدعوة القرآنية كلها، بعد إسلام المشركين العرب : « لا يبقى في جزيرة العرب دينان » . وأمر بترحيل المسيحيين في نجران، لأنهم زعماء المسيحية في الجزيرة. فاستهلكت حروب الردة خلافة أبي بكر؛ فقام عمر بتنفيذ الوصية. هذا هو **الشاهد التاريخي الثالث.**

ولما انتقل النبي العربي إلى الرفيق الأعلى، رثاه حسان بن ثابت بقصيدة، منها :

فرحت نصارى يثرب ويهودها   لمّا توارى في الضريح الملحد !

وهو يقصد بالنصارى المسيحيين، بحسب تعبير القرآن الذي صار سنة عندهم. لقد فرح من بقي من اليهود والمسيحيين، بعد التصفية؛ لكنّ فرحهم زال بحروب الردة، وبتنفيذ عمر لوصية النبي. وهذا هو **الشاهد التاريخي الرابع.**

فتلك الشواهد دلائل على أن الجهاد، الحرب المقدسة، قامت لإخضاع العرب المشركين للإسلام « النصراني » ، ولتصفية اليهودية والمسيحية من الجزيرة العربية، بحسب شعار الجهاد، « ليظهره على الدين كله » ، « فلا يبقى في جزيرة العرب دينان » .

فليس في القرآن من تشريع لقتال المسيحية، خارج الجزيرة.

ومن الحق أن نميّز بين جهاده للمشركين، وجهاده للكتابيين : كان جهاد الإسلام « النصراني » للشرك العربي حتى يدينوا به : إما الحرب، وإما الإسلام. وقد أمهلهم أربعة أشهر في « براءَته » النبوية السلطانية : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين : فسيحوا في الأرض أربعة أشهر، واعلموا أنكم غير معجزي الله، وأن الله مخزي الكافرين » (1 ــ 2). وبعد الهدنة « فإذا انسلخ الأشهر الحرم **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** وخذوهم واحصروهم

واقعدوا لهم كل مرصد : فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم، إن الله غفور رحيم » (6). فأسلموا جميعهم عنوة واقتداراً. ومن لم يسلم بجهاد النبي، أسلم بحروب الردة.

أَما جهاد الإسلام « النصراني » ضد اليهودية، ثم ضد المسيحية، في الحجاز والجزيرة، فلم يكن لإخضاع أهل الكتاب لدين الإسلام، بل لسلطان الدولة الإسلامية، « حتى يدفعوا الجزية عن يد، وهم صاغرون » (التوبة 30). وهذا الجهاد في سبيل الإسلام « النصراني » (آل عمران 18 - 19) كان مخططاً للجزيرة العربية وحدها، كما يتضح من وصية محمد الأخيرة. ومن الظلم لحرف القرآن وروحه، نقل الجهاد القرآني ضدّ المسيحية إلى خارج الجزيرة. وليست الفتوحات الإسلامية، بعد الدعوة القرآنية، تفسيراً لها؛ إنما كانت اجتماعية، من هجرات العرب إلى الهلال الخصيب؛ وسياسة لإلهاء العرب بالفتح عن الردّة، وإظهار سلطان « النصرانية » التي تقمصت في الإسلام وذابت فيه، على أختيها اليهودية والمسيحية.

هذا هو **الجهاد** الذي وجده في وحدة « التوراة والإنجيل والقرآن » (التوبة 112)، وحدة لا يقول بها إلا « النصارى » والقرآن.

وهذا هو **التشريع** المستقل الذي فرضه : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً، ولو شاء الله لجعلكم أُمة واحدة : ولكن ليبلوكم في ما آتاكم، فاستبقوا الخيرات » (المائدة 51). فهو يؤيد « الأمة الوسط » على أُختيها، ولا يزيلهما.

وهذه هي **العقيدة** : « إن الدين عند الله الإسلام » ، يشهد بها القرآن بشهادة « النصارى » « أولي العلم قائماً بالقسط » وشهادتهم من شهادة الله وملائكته، مهما اختلف أهل الكتاب من يهود ومسيحيين (آل عمران 18 - 19).

فالقرآن دعوة « نصرانية » في عقيدته وتشريعه وجهاده. فقد كان نصرة « للنصرانية » على اليهودية، ثم على المسيحية، في الجزيرة العربية، « فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14؛ التوبة 30).

بحث رابع

الوثائق القرآنية المدنية لإسلام « النصارى »

توطئة : إِطلاق اسم « نصارى » على المسيحيين أيضاً سبب شبهة دائمة

ظاهرة كبرى شاملة في القرآن المدني، إطلاقه اسم « نصارى » بدون تمييز ظاهر، جعله في تعارض ظاهر بين الثناء المحبب عليهم، والعنف والتنديد بهم. وقد طوت الشبهة العصور حتى وصلت إلينا. لقد أَوجز الأستاذ دروزة في (سيرة الرسول 2 : 131) رأيه في (النصارى في العهد المدني) بقوله :

« في السور المدنية آيات كثيرة في النصارى وعقائدهم، وما كان بينهم من **خلاف ونزاع**؛ وفي عيسى عليه السلام وأُمه والحواريين، وقد جاء بعضها **بأسلوب محبب، وثناء جميل**؛ وفي بعضها تحذير وتنبيه وتنديد؛ وفي بعضها جدل ومناظرة، وحكاية صدّ وكيد؛ وفي بعضها شيء من العنف **وأمر بالقتال واستنفار إليه**، ومشاهد رحلة بسبيله.

« ومعنى هذا أن النبي ص لقي في العهد المدني نصارى، ودعاهم واحتكّ بهم؛ وأن بعضهم أظهر روحاً طيبة، **وتلقى الدعوة بالإقبال**، وأن بعضهم تردَّد أو نأى أو جادل وكابر؛ وأن بعضهم قد صدر منه ما تجاوز حدّ الجدل والمكابرة إلى البغي والعدوان.

« والآيات في النصارى وعقائدهم وموقفهم في القرآن المدني **أكثر وأصرح** منها في القرآن المكي ... وهذا الفرق (في صفاتهم بين القرآن المكي والمدني) يُلهم أن دائرة الاتصال بين النبي ص والنصارى **في العهد المدني كانت أوسع منها في العهد المكي**؛ كما يُلهم بأن المؤثرات التي كان يخضع لها النصارى الذين لقيهم النبي ص واحتكّ بهم أكثر تنوّعاً؛ وأن الذين لقيهم في العهد المكي كانوا أكثر

تجرداً عن الهوى والرغبات المادية، وأكثر استعداداً بالتبعية للاستجابة إلى الدعوة والاندماج فيها.

« وننبّه إلى أن الروايات لم تذكر، فيما أطلعنا عليه، شيئاً ما عن وجود نصارى مستقرين في المدينة، ظلوا متمسكين بنصرانيتهم إلى النهاية. وليس في القرآن عن ذلك شيء صريح إيجابي.

« ولقد ذكرت الروايات خبر وفود بعض النصارى إلى المدينة من اليمن والحبشة ... كما ذكرت أخبار اتصالات كانت بين النبي ص وسكان مشارف الشام الذين كان أكثرهم، أو كثير منهم، من نصارى العرب، الحضر منهم والبدو » .

ـ تلك **صورة قاصرة مشوّهة** لواقع القرآن المكي والمدني، يقوم على الأساس المتشابه المتواتر المغلوط، في إطلاق اسم « نصارى » على النصارى من بني إسرائيل، وعلى المسيحيين من الأمميين. وكان يكفي المفسرين، أمثال الأستاذ دروزة، بعض الأنوار الكاشفة، في بعض الآيات الصريحة، ليظهر لهم الفرق بين « النصارى » الذين يستشهد بهم، والمسيحيين الذين يندّد بهم، مثل قوله في القرآن المكي : « إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل 75)، وهو لا يعني فرق اليهود، بل انقسام أمة موسى إلى يهود ونصارى من بني إسرائيل، « بعد ما جاءَهم من العلم بغياً بينهم » بالمسيح والإنجيل؛ ويشهد النصارى منهم : « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الأعراف 158)، وبهدى هذه الأمة على محمد أن يقتدي (الأنعام 90). ومثل قوله في القرآن المدني : « فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14) حيث يظهر القرآن كله نصرة « للنصرانية » الإسرائيلية على اليهودية، في مكة وفي المدينة. وهؤلاء هم أهل الثناء المحبب، وعلماء بني إسرائيل الذين يستشهد بهم على صحة دعوته (الشعراء 197).

وليس في مكة من اتصال بين محمد والمسيحيين سوى هجرة جماعته المضطهدة

إلـى الحبشـة يستجيرون بالنجاشـي، ومعهـم سـورة مـريم شـعاراً لهـم علـى وحـدة الـدين معـه. **إن الاتصال الديني الوحيد بين القرآن والمسيحية قام في المدينة،** بجدال وفد نجران، الذي وزعوه فـي سـور (آل عمـران، والنسـاء، والمائـدة). ومـن هـذا الجـدال حمـلات التنديـد والتكفيـر : فهـي محصورة بهم؛ ولا تتخطاهم إلى المسيحيين خارج الجزيرة. أما الاتصال بالمسيحيين العرب في مشارف الشام فكان اتصالاً عسكرياً، في غزوة مؤتة، ثم في غزوة تبوك، ترك أثره في سورة (الحديد) وسورة (التوبة). فالمسيحيون العرب وقفوا علـى الحيـاد فـي صـراع القـرآن، تأييداً « للنصـرانية » (الصـف 14)، مـع اليهوديـة العربيـة. لـم يشـذّ مـنهم إلا الراهـب أبـو عـامر، فـي المدينة، الذي بعد فتح مكة وجدال وفد نجران، ذهب إلـى ديـار الـروم يؤلـب المسيحيين العرب والروم على الدعوة المحمديـة، لـئلا تعتـرض سـير الـدعوة المسـيحية فـي الحجـاز. ففشـل، وثبـت فشله بغزوة تبوك وهدم « مسجد الضرار » المسيحي في المدينة.

فالمسيحيون العرب وقفوا على الحياد في الجهاد، ولم يستجيبوا للـدعوة القرآنيـة، لعلمهـم بأنها « النصرانية » عينها. أما النصارى من بني إسرائيل، ومـن « تنصّـر » معهـم مـن العـرب، فهم الذين قاموا بالدعوة القرآنية مع محمد، وشهدوا لها وأنفقوا في سبيلها، بل واستشهدوا لأجلها (آل عمـران 21)، لأنهـا دعوتهم التـي يحـاولون فرضـها، بجهـاد النبـي العربـي، علـى الحجـاز والجزيرة. وها نحن نرى في القرآن المدني الوثائق التـي تشـهد بإسلامهم. قد يكـون فيهـا بعـض التكرار لها، لوحدة النصوص والشواهد.

*

الوثيقة الأولى : من سورة البقرة (2 / 1 / 91)

في بحث سابق (ص 452) نقلنا فصولاً من سورة (البقرة).

إن سـورة (البقـرة) صـلة الوصـل بـين العهـد المكـي والعهـد المـدني. ولا يـزال القـرآن غارقاً في عقدة الخلاف ما بين اليهود والنصارى من بني إسرائيل، « يقص

على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل 76) ـ فلا دخل للمسيحيين، في هذا العهد الأول المدني، في الحوار القرآني : إنه يحاور بني إسرائيل (البقرة 47 و112).

والظاهرة الكبرى الأولى على الآيات التي نقلنا وغيرها هي **التعارض :** فمن جهة يردّ قول اليهود والنصارى : « لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى » (111)؛ ومن جهة يقول : « الذين آتيناهم الكتاب، يتلونه حق تلاوته، أولئك يؤمنون به » (121). **وتعارض آخر** يظهر من هذا القول (121) ومن قوله : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » (120).

وهذا التعارض قائم على **إقحام ذكر النصارى** في جدال القرآن لليهود الذي يقتصر عليهم بني إسرائيل في سورة (البقرة)، كما يظهر من حصره في الآيتين (47 و122) في تفضيل بني إسرائيل على العالمين، وهو يقصد بهم اليهود كما توضحه النصوص. إقحام أول: « وقالوا : لن يدخل الجنة إلا مَن كان هوداً ـ أو نصارى » (111)؛ إقحام ثانٍ : « ولن ترضى عنك اليهود ـ ولا النصارى ـ حتى تتبع ملتهم » (121)؛ إقحام ثالث : « وقالوا : كونوا هوداً ـ أو نصارى ـ تهتدوا » (135)؛ وكل القرائن دلائل على أنه جدال مع اليهود وحدهم. لا يدخل النصارى إلا في هذا الخبر : « وقالت اليهود : ليست النصارى على شيء! وقالت النصارى : ليست اليهود على شيء » (112). فإذا أسقطنا تلك الإقحامات الثلاثة زالت ظاهرة التعارض؛ واقتصر الجدال على اليهود كما هو في حقيقته.

وهذه الإقحامات قامت على الخلط بين النصارى من بني إسرائيل ـ وهم النصارى حصراً (الصف 14) ـ وبين المسيحيين من الأميين. فعند الجمع العثماني، في غمرة الفتوحات بأرض المسيحيين، أرادوا أن يبيّنوا أن القرآن عناهم في هذه المواطن، فأقحموا ذكر المسيحيين باسم « نصارى » . لكن فاتهم أن موضوع الجدال يحصره مع اليهود؛ وتخلق كلمة « النصارى » المتشابهة تعارضاً بين إيمان النصارى من بني إسرائيل بالإسلام، وبين موقف تلك الآيات

السلبي من النصارى على العموم. فالإقحام كيفما واجهته ظاهر. فإذا أسقطناه يستقيم النظم - وهو لب إعجازه - مبنى ومعنى.

والظاهرة الكبرى الثانية هي الاقتتال بين أهل الكتاب **على الكتاب والمسيح**. إن اليهود « يؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعض » (75) أي بالتوراة من دون الإنجيل؛ وهم لا « يتلون الكتاب حقّ تلاوته » لذلك لا يؤمنون بالدعوة القرآنية (121)؛ بينما النصارى من بني إسرائيل، « الذين آتيناهم الكتاب، يتلونه حق تلاوته، أولئك يؤمنون به » (121). فاليهود هم الذين اختلفوا في الكتاب : « كان الناس أمة واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه. **وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه**، من بعد ما جاءتهم البيّنات، بغياً بينهم. فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه » (213). فالخلاف قائم بين بني إسرائيل، « من بعد ما جاءتهم البيّنات » التي أوتيها عيسى : « وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات » (87)؛ فكان الإيمان بعيسى سبب الخلاف والاقتتال بين بني إسرائيل، كما يؤكد أيضاً : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض : منهم من كلّم الله؛ ورفع بعضهم درجات؛ وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات، وأيدناه بروح القدس. ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم، من بعد ما جاءتهم البيّنات. ولكن اختلفوا : فمنهم من آمن، ومنهم من كفر! ولو شاء الله ما اقتتلوا، ولكن الله يفعل ما يريد » (253). فاليهود كفروا بعيسى والإنجيل، بعد بيّناته؛ والنصارى من بني إسرائيل آمنوا. وهدى الله « الذين آمنوا » من العرب « لما اختلفوا فيه » أي إلى هذا الإيمان « النصراني » بعيسى والإنجيل : فالقرآن دعوة « نصرانية » .

والنصارى من بني إسرائيل هم المسلمون المحسنون الذين يقومون بالدعوة القرآنية مع محمد. قال اليهود : « لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً » ! فيجيب : « بلى من أسلم وجهه لله، وهو محسن » (111 - 112). وهذا هو التعريف

« بالنصرانية » . فالقرآن جاء « لينذر الذين ظلموا (اليهود) وبشرى للمحسنين » (منهم) أي النصارى (الأحقاف 12)؛ كما نزل « ليثبت الذين آمنوا (من العرب) وهدى وبشرى للمسلمين » من قبلهم أي النصارى (النمل 102). **فالنصارى هم المحسنون المسلمون الذين لهم الجنة.** وهكذا ترى التعارض الذي أدخله إقحام « النصارى » على الآية (111)، لأنهم هم « من أسلم وجهه لله، وهو محسن » (112). هذه **شهادة أولى** على إسلامهم أيضاً بالقرآن.

والشهادة الثانية إنهم « الذين آتيناهم الكتاب، يتلونه حق تلاوته، أولئك يؤمنون به » (121). والآية ردّ على كفر اليهود بمحمد : « ولن ترضى عنك اليهود (ولا النصارى) حتى تتبع ملتهم » (120). وهذا الرد يكشف إقحام « النصارى » على الآية (120)؛ لأن النصارى « يتلونه حق تلاوته » **فيؤمنون بمحمد الذي يكفر به اليهود،** وليس « بالكتاب المؤتى » كما يظن الجلالان.

والشهادة الثالثة على إسلامهم أنهم « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم؛ وإن فريقاً منهم (اليهود) ليكتمون الحق وهم يعلمون » (146). فالنصارى يعرفون محمداً معرفة الأب ابنه أي معرفة مصدرية؛ بينما يكفر اليهود به.

تلك الشهادات الثلاث تجعل النصارى من بني إسرائيل، ومَن تنصّر معهم من العرب، **أهل الدعوة القرآنية مع محمد،** فهم يشهدون له، ويؤيدونه بالكتاب، لإحسانهم في إسلامهم. فهذه الوثيقة الأولى من المدينة تشهد بالوحدة بين « النصرانية » والدعوة القرآنية؛ وبإيمان « النصارى » بمحمد والقرآن؛ وبتبني هؤلاء النصارى للدعوة القرآنية تبني الأب ابنه.

*

الوثيقة الثانية : من سورة آل عمران (3 / 3 / 93)

« شهد الله أنه لا إِله إلا هو   والملائكة، وأولو العلم قائماً بالقسط
ـ لا إِله إلا هو العزيز الحكيم ـ   أن الدين عند الله الإسلام

81

وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم
بغياً بينهم ! ومن يكفر بآيات الله ، فإن الله سريع الحساب
19

ليسوا سواءً : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون
آيات الله آناء الليل وهم يسجدون
يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف، ينهون
113
عن المنكر، ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين !
وما يفعلوه من خير فلن يكفروه ـ والله عليم بالمتقين !
115 - 114

لقد سبق تفصيل هذه الشهادة. وهي **الوثيقة الأساسية** في « نصرانية » الدعوة القرآنية، كما في إسلام « النصارى » .

الشهادة « **أن الدين عند الله الإسلام** » يشهد بها الله وملائكته « وأولو العلم قائماً بالقسط » . وقد رأينا مراراً أن أولي العلم مرادف لأهل الذكر، كما هما مرادف لأهل الكتاب. وأهل الكتاب فريقان : أولو العلم الظالمون وهم اليهود؛ وأولو العلم المحسنون، المقسطون، وهم النصارى من بني إسرائيل. فالنصارى هم الذين يشهدون للإسلام، والقرآن يشهد بشهادتهم. لأنها من شهادة الله وملائكته. وشهادة النصارى للإسلام، هي شهادة الحواريين للمسيح بإسلامهم (52 ـ 53) : **فالإسلام « النصراني » القرآني هو من المسيح، وللمسيح :** هذا هو الدين عند الله. وهذه هي الدعوة القرآنية التي يقوم بها هؤلاء النصارى مع محمد.

وشهادتهم لا تقتصر على صحة الإسلام القرآني « النصراني » ؛ بل تمتدّ إلى القرآن العربي نفسه : فهم يشهدون له في آياته المتشابهات، كما في المحكمات، بخلاف اليهود « الذين في قلوبهم زيغ، فيتبعون ما تشابه منه، ابتغاء الفتنة

وابتغاء تأويله. وما يعلم تأويله إلا الله، **والراسخون في العلم يقولون آمنا به،** كل من عند ربنا ـ وما يذكر إلا أولو الألباب » (7). تعبير « الراسخون في العلم » مرادف لتعبير « أولي العلم قائماً بالقسط » (18)، وهما اصطلاح، كنايةً عن « النصارى » . فالقرآن لا يأخذ التعبيرين المترادفين على إطلاقهما بحسب اللغة؛ بل هما اصطلاح قرآني، يعني النصارى من بني إسرائيل، تمييزاً لهم من اليهود. وهذا ما فات المفسرين حتى اليوم، عن جهل أو تجاهل. فاليهود « يتبعون ما تشابه منه، ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله » ؛ والنصارى، « الراسخون في العلم يقولون : آمنا به كل من عند ربنا » ؛ وجماعة محمد، « ما يذكر إلا أولو الألباب » منهم؛ ويصلون : « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا » (7 ـ 8). فالنصارى يشهدون للقرآن كله، المحكم منه والمتشابه : وهذا أعلى الإيمان بالقرآن.

لذلك فالقرآن نفسه **يشهد بصحة إسلامهم.** فبعد أن يعلن لجماعته : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » (110)، ويعلن أن اليهود، الفاسقين في الدين (111) « ضربت عليهم الذلة ... وباؤا بغضب من الله » (112)، يصرّح : « ليسوا سواءً : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل، وهم يسجدون » (113). فلا ريب أن هذه الأمة المثالية هم « النصارى » بسبب تمييزهم عن اليهود، وعن جماعة محمد؛ وصفتهم المتواترة في القرآن، من قيام الليل للصلاة وتلاوة آيات الله، تميّزهم عن العالمين. ومثالية « النصارى » ورهبانهم أنهم « يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون؛ يؤمنون بالله واليوم الآخر؛ ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر؛ ويسارعون في الخيرات » ـ أربع صفات تجعلهم عباد الرحمان، « للمتقين إماماً » (الفرقان 74) كما كان إبراهيم « للناس إماماً » (البقرة 124)؛ لهذا السبب فهم « من الصالحين » (114). أما جماعة محمد فإن « الله عليم بالمتقين » (115).

وهذا الإسلام القرآني « النصراني » يؤمن « بما أوتي موسى وعيسى والنبيون

من ربهم، لا نفرّق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون ›› (84). فما أوتي موسى وعيسى ديناً واحداً، هو دين ‹‹ النصرانية ›› ، وهو الإسلام الحق؛ ‹‹ ومن يبتغِ غير (هذا) الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ›› (85). فمن يغوص في أعماق القرآن يتجلّى له ما يتشدق به كثيرون زوراً وبهتاناً.

و ‹‹ النصارى ›› يؤمنون بالإسلام الذي به يشهدون (18) إيمان الحواريين بإسلام عيسى (52) وكانوا عليه ‹‹ من الشاهدين ›› (53)؛ كما سيعلن إيمان النصارى بالدعوة القرآنية، بالحرف الواحد (المائدة 86)؛ ويترجم كلمة ‹‹ نصارى ›› الأرامية ‹‹ بأنصار ›› (آل عمران 52 - 53؛ الصف 14). **فالنصارى هم أنصار عيسى، وأنصار محمد.**

فما بين ‹‹ النصرانية ›› والدعوة القرآنية : وحدة دعوة (7) ووحدة شهادة (18) ووحدة إيمان (110) ووحدة حياة (113). فهي وحدة مطلقة، شاملة، كاملة، جامعة مانعة. والقرآن يشهد للإسلام بشهادة ‹‹ النصارى ›› ، ‹‹ أولي العلم قائماً بالقسط ›› (11)؛ فهم أهل الدعوة للإسلام، ومحمد إنما يدعو بدعوتهم.

*

الوثيقة الثالثة : من سورة النساء (4 / 5 / 95)

‹‹ يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزّل على رسوله!
والكتاب الذي أنزل من قبل : ومن يكفر بالله
وملائكته ورسله وكتبه، واليوم الآخر، فقد ضلّ ضلالاً بعيداً
135

إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله
ويقولون : نؤمن ببعض! ونكفر ببعض! ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا
أولئك هم الكافرون حقاً ! واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً !
150

والـذين آمنـوا بـالله ورسـله ولـم يفرّقـوا بيـن أحـد منهـم
أولئـك سـوف يؤتيهم أجـورهـم وكـان الله غفـوراً رحيمـاً
151

إن المبدأ العام المطلق، في القرآن، هو **وحدة الكتاب؛** لذلك يأتي **الإعلان** « من يكفر بالله وملائكته ورسله وكتبه، واليوم الآخر، فقد ضلّ ضلالاً بعيداً » (135)؛ وبتعبير أصرح : « من يؤمن ببعض، ويكفر ببعض » ذلك هو الكافر! فالإيمـان « بالكتـاب كلـه » أي بـالتوراة والإنجيل هو شعار الإسلام الحق؛ وهذه هي « النصرانية » التي تقيم أحكام التوراة والإنجيل، كتاباً واحداً وشرعاً واحداً (المائدة 81). وها هو يطبق المبدأ على الأمم الثلاث :

فيطلب من جماعته، « الذين آمنوا » من العرب، أن يؤمنوا « بالكتاب الذي نـزّل على رسوله، والكتاب الذي أنزل من قبل » (135) أي « بالتوراة والإنجيل والقرآن » (التوبة 111).

وليس هذا إيمان اليهود الذين يقولون : « نؤمن ببعض! ونكفر ببعض! » يريدون أن يفرّقوا بين التوراة والإنجيل، بين موسى وعيسى : « أولئك هم الكافرون حقاً » (150).

إنما هذا هو إيمان « النصارى » ، « الذين آمنوا بالله ورسله، ولم يفرّقوا بين أحد منهم؛ أولئك سوف يؤتيهم أجورهم » (151). وهذا مثل قولهم وقوله : « إنا كنّا من قبله مسلمين : أولئك يؤتون أجرهم مرتين » (القصص 53).

فالنصارى يدعون إلى وحدة الكتاب؛ والقرآن يدعو بدعوتهم. إن إيمان « النصارى » مثل إيمان « الذين آمنوا » من العرب بالدعوة القرآنية. فبين الفريقين وحدة كتاب، ووحدة إيمان، ووحدة شهادة، ووحدة دعوة. فتلك النصرانية والقرآن دعوة واحدة.

*

الوثيقة الرابعة : من سورة الصف (61 / 20 / 110)

« وإذ قـال عيسى، ابن مريـم، يا بني إسرائيل
إنـي رسول الله إليكم، مصدّقـاً لمـا بين يدي من التوراة
ومبشراً برسول يأتي من بعدي، اسـمه أحمـد.
فلمّـا جاءهم بالبيّنـات قالوا : هـذا سحر مبين 6
*
ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يُدعى
إلى الإسـلام ؛ والله لا يهدي القـوم الظـالمين 7
يريـدون ليطفئوا نـور الله بأفواههـم
والله متـمّ نـوره ، ولـو كـره الكافـرون 8
*
هو الـذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحـق
ليظهـره علـى الـدين كله ، ولو كـره المشركون 9
يا أيها الذين آمنوا، كونوا أنصار الله، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين.
من أنصـاري إلى الله ، قال الحواريون : نحن أنصار
فآمنت طائفة من بني إسرائيل، وكفرت طائفة :
فأيدنا الذين آمنوا على عدوّهم، فأصبحوا ظاهرين » 14

التصريح الضـخم الثنـائي، الـذي يكشـف سـر الـدعوة القرآنيـة هـو فـي الآيـة (14) : إن النصارى هم حصراً من بني إسرائيل، الطائفة التي آمنت بالمسيح؛ والدعوة القرآنيـة تأييد لهذه النصرانية الإسرائيلية على عدوّهـا اليهوديـة. فهـي معركـة دينيـة حربيـة ينتصـر فيهـا القـرآن « للنصـرانية » بالدعـوة والجهـاد. فمـن البـديهي أن تنبعـث الدعـوة ويقـوم الجهـاد مـن هـذه « النصرانية » ، بفضل النبي العربي.

والسورة تستفتح بحمد الله على تصفية يهود الشمال، وتختتم بإعلان هذه التصفية وانتصار « النصرانية » على اليهودية في الحجاز, بفضل الدعوة القرآنية وجهادها.

وتفصّل السورة مبرّرات هذين الجهاد والنصر :

لقد زاغوا عن الدعوة الموسوية وصاروا « فاسقين » (5).

لقد كفروا بعيسى؛ ومحمد يتمّ نبوءة عيسى فيه؛ فهو يجاهدهم لكفرهم بعيسى (6). شهادة صريحة على « نصرانية » القرآن والنبي.

واليهود يتآمرون على الإسلام، في نصرة « النصرانية » : « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم » (8) أي بكلامهم، من دعوة ودعاية؛ وليس بالقوة والسيف مثل المشركين. شهادة سلبية على « نصرانية » القرآن والنبي.

والله نفسه أرسل محمداً « بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله » . ونعرف أن تعبير « الهدى » كناية عن الموسوية، كشعارهم : « كونوا هوداً تهتدوا » ؛ وأن تعبير « دين الحق » كناية عن دين المسيح : فالقرآن، مثل « النصرانية » يجمع الإيمان بموسى وعيسى، والتوراة والإنجيل، ديناً واحداً. فهو في عقيدته وجهاده تعريب « النصرانية » ، وهذا ما هدف إليه « النصارى » لمنافسة اليهودية في السيطرة على الحجاز والجزيرة. فالقرآن دعوة « نصرانية » يقومون بها بإمامة النبي العربي. وسورة (الصف) تعلن انتصار « النصرانية » على اليهودية، في الحجاز. كما ستعلن سورة (براءة 30 - 35) الجهاد نفسه على المسيحية العربية المنحرفة، ليسود « الهدى ودين الحق » أي الإسلام « النصراني » على الجزيرة العربية كلها؛ وتنفرد تلك « الأمة الوسط » بين اليهودية والمسيحية، بالسيطرة على العرب كي « لا يبقى في جزيرة العرب دينان » .

*

الوثيقة الخامسة : من سورة المائدة (5 / 22 / 122)

« ولتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا : اليهود والذين أشركوا!
ولتجدنّ أقربهم مودة للذين آمنوا، الذين قالوا : إنا نصارى!
ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً، وإنهم لا يستكبرون! 85

وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ،
مما عرفوا من الحق ؛ يقولون : ربنا آمنّا، فاكتبنا مع الشاهدين 86
وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءَنا من
الحق، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين 87
فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من
تحتها الأنهار، خالدين فيها، وذلك جزاء المحسنين 88
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ›› . 89

هذا هو **التصريح النهائي** على إسلام ‹‹ النصارى ›› ، يكشف سرّهم ودورهم في الدعوة القرآنية. فما ورد فيهم تلميحاً في القرآن كله، ينجلي الآن تصريحاً صريحاً.

في الدعوة القرآنية، انقسم الحجاز فريقين : ‹‹ اليهود والذين أشركوا ›› فكانوا ‹‹ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا ›› ؛ و ‹‹ النصارى ›› الذين كانوا ‹‹ أقربهم مودة للذين آمنوا ›› (85). وهذان العداء والولاء المتبادلان المتقابلان، البرهان الأكبر على وحدة ‹‹ النصرانية›› والدعوة القرآنية. والمساهمة في الولاء كما في العداء برهان على أن ‹‹ النصارى ›› هم أهل الدعوة والجهاد، بزعامة محمد.

وهذا الإعلان الصارخ لولاء ‹‹ النصارى ›› للمسلمين، يكشف التعارض في قوله : ‹‹ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض ... فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم ... ›› (المائدة 54 ـ 55). والتعارض مكشوف للأسباب الثلاثة الواردة : اليهود والنصارى، بعضهم أولياء بعض ـ مع أنه ‹‹ قالت اليهود : ليست النصارى على شيء! وقالت النصارى ليست اليهود على شيء! ›› (البقرة 113)، فليس من ولاء بين اليهود والنصارى، لا في القرآن ولا في التاريخ. وهو من جهة يعلن ولاء النصارى للمسلمين (85)، ومن جهة عداء النصارى للمسلمين (54)، ولا يفيد في ذلك تقسيم النصارى إلى

جبهات متعددة في الولاء أو العداء، فأسلوب التعبير في الحالين عام مطلق. والسبب الثالث أن المنافقين « الذين في قلوبهم مرض » يسارعون في موالاتهم : والواقع القرآني لا يشهد إلا بموالاة اليهود والمشركين. فالنص (54 ـ 55) يشهد على نفسه، على ضوء آية المودة (85)، بأن **كلمة « نصارى » مقحمة** في تحريم الولاء؛ فقد وضعوها عند جمع القرآن بدل « الذين أشركوا » كما تدل آية العداء بين « اليهود والذين أشركوا » للذين آمنوا (85) وكما يصرّح به في الآية (60). وهذا **التبديل المقحم** كان وما زال سبب البلاء الأكبر بين الإسلام والمسيحية.

ويشهد بأَن إسلام « النصارى » يقوم على موقف رجال دينهم من الدعوة القرآنية : « ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون » (85). فالقسيسون والرهبان هم أهل الإسلام « النصراني » القرآني؛ وأهل الولاء بين جماعتهم « النصارى » ، وجماعة محمد « المتقين » . وهذا الموقف ينقض موقف (براءة 35) منهم : فهذا إِما مقحم؛ وإِما يعني رهبان وقسيسي المسيحية، من دون « النصرانية » . ولكن رهبان المسيحية ما كانوا يحاربون، ولذلك استثناهم الشرع من الجزية؛ فيبقى الظن بالإقحام هو الوارد.

ثم يعدّد مظاهر إسلام « النصارى » : « ترى أعينهم تفيض من الدمع، مما عرفوا من الحق ـ يقولون : **ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين** » (86). هذه هي الشهادة النهائية بإسلامهم. ويبرّرون إسلامهم بقولهم : « وما لنا لا نؤمن بالله، وما جاءنا من الحق، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين » (87). كانوا هم « الصالحين » ؛ وجماعة محمد « المتقين » (آل عمران 114 ـ 115)؛ والآن بعد انتصار الدعوة القرآنية، تنقلب المواقف : فصار « النصارى » يطمعون أن يدخلهم الله مع القوم الصالحين » (المائدة 87).

ويختم بوعد « النصارى » بجنات تجري من تحتها الأنهار، « **وذلك جزاء المحسنين** » (88)؛ وهذه صفتهم المتواترة في القرآن كله. إنهم « المحسنون » ،

المقسطون، الراسخون في العلم، الذين يقومون مع محمد بالدعوة القرآنية؛ والقرآن يصف بتواتر إحسانهم وشهادتهم له حتى هذا الإعلان الصريح الأخير.

أما اليهود، « الذين كفروا وكذبوا بآياتنا، أولئك أصحاب الجحيم » (89). ومن هذا التناقض في موقف اليهود والنصارى من بني إسرائيل، من القرآن، يظهر أيضاً إسلام « النصارى » وإيمانهم بالدعوة القرآنية، لأنها منذ البدء دعوتهم، بإمامة محمد الذي يعلنون هنا له الولاء المطلق.

*

خاتمة البحث : إسلام « النصارى » بالمدينة

لقد أوجز الأستاذ دروزة (سيرة الرسول 2 : 146) موقف النصارى جملة من الدعوة القرآنية في المدينة بقوله : « لقد قلنا في مناسبة سابقة قريبة : إن ما جاء في النصارى، في القرآن المدني، وخاصة في آيات (المائدة 82 - 85) و (الحديد 27) من **الثناء المحبب**، قد جاء بأسلوب **مطلق وتعميمي**، ويكاد يوحي بأنه يشملهم كافة. وقد ينطوي هذا على الإشارة إلى أن أكثر الذي لقوا النبي ص في المدينة **قد آمنوا به** وصدّقوا التنزيل القرآني. كما يحمل على القول أن **الحملة عليهم** التي وردت في آيات (التوبة) وفي غيرها قد عنت بعض الوفود التي ظلت على جحودها ومكابرتها؛ وعنت كذلك أولئك الذين وقفوا موقف البغي والعدوان، وأُمر النبي والمسلمون بقتالهم، من سكان مشارف الشام » .

نقول : لو عرف الأستاذ التمييز بين « النصارى » و المسيحيين، لما تاه مثل غيره في ذلك التخريج المتعارض في ذاته ومع واقع الحال. إن « النصارى » من بني إسرائيل والمتنصرين معهم من العرب، في المدينة، كما في مكة، قد آمنوا جميعهم بالدعوة القرآنية، وقاموا بها مع محمد، لأنها دعوتهم « النصرانية » . أما المسيحيون من وفد نجران، وفي مشارف الشام، الذين غزاهم محمد في مؤتة ثم في تبوك، فالحملة القرآنية في (التوبة 30 - 35) وفي (المائدة 170 - 171 و119) تعنيهم وحدهم دون سواهم. إنهم المسيحيون من العرب، الذين

تحول الجهاد إليهم، بعد الانتصار على اليهود العرب. وذلك كي « لا يبقى في جزيرة العرب دينان » ، إلا إسلام « الأمة الوسط » ، « النصرانية » القرآنية، من دون اليهودية ولا المسيحية. ولا يتجاوز أفق الدعوة والجهاد الجزيرة العربية. وكل أولئك المسيحيين من العرب كانوا على البدعة في نظر المسيحية السائدة في دولة الروم. فالقرآن كيفما واجهته لا يتعرض للمسيحية الرسمية[1] .

*

خاتمة الفصل

الدعوة القرآنية هي « النصرانية »

تلك هي أهم الوثائق القرآنية، من مكة ومن المدينة، التي تشهد جميعها، شهادة جامعة مانعة، « بنصرانية » الدعوة القرآنية والنبي العربي؛ وبإسلام النصارى من بني إسرائيل، ومن تنصر معهم من العرب، بإمامة ورقة بن نوفل قس مكة. قد يماري أحدهم بدليل استخرجناه من آية. ولكن لا يصح لأحد أن يماري في الشهادة الجامعة المانعة، **الواحدة القائمة على مجموع الوثائق القرآنية.**

والشبهة الكبرى التي تاه فيها المفسرون والمستشرقون؛ هي عدم تمييز القرآن، - بحسب ظاهره، ولا بحسب قرائنه - بين « النصرانية » والمسيحية. وظهر لهم **تعارض في موقف القرآن من النصارى،** بين الثناء المحبب عليهم تارة، والحملة العنيفة عليهم تارة أخرى. وزاد البلبال بإقحام اسم النصارى في بعض الآيات، عند الجمع والتدوين في زمن الفتوحات لديار المسيحية، في الشام، **فظهر التعارض أيضاً في صلب الآيات المذكورة.** ولكن عند التمييز بين « النصرانية » والمسيحية، والتنبّه إلى تلك الإقحامات القليلة، يزول كل تعارض في القرآن، وكل شبهة.

---

(1) أما جماعة الراهب أبي عامر في المدينة فكانوا أيضاً مسيحيين؛ لكن نجهل حقيقة مذهبهم؛ وقد زالوا بعد غزوة تبوك، وهدم مسجدهم، « مسجد الضرار » .

إن القرآن دعوة « نصرانية » في « أمة وسط » بين اليهودية والمسيحية، قام بها النبي العربي، بإشراف أستاذه ورقة بن نوفل، قس مكة، « رئيس النصارى » فيها، وبهيمنة الإمام الأكبر، بحيرى في بصرى، « وصي عيسى على دينه » ، الذي انتهى إليه علم « النصرانية » بحسب تعبير السيرة. ولما توفي الإمام، وخصوصاً الأستاذ، حاول محمد الانتحار. فتداركته العناية الربانية، والأئمة الذين يهدون بأمر الله (آلم السجدة 24) وعلى محمد أن يقتدي بهداهم (الأنعام 90)؛ فرجع إلى نفسه وإلى دعوته، إماماً للمسلمين النصارى، فكان « أول المسلمين » .

فالأمر الذي جاءَه في غار حراء كان : « وأُمرت أن أكون من المسلمين، وأن أتلو القرآن » معهم (النمل 90 - 91). والبلاغ الذي أطلقه في حجة الوداع قبل وفاته بأشهر معدودات كان : « اليوم أكملتُ لكم دينكم! وأتممت عليكم نعمتي! ورضيت لكم الإسلام ديناً »! (المائدة 4).

وهذا الإسلام هو إسلام المسلمين « النصارى » ، « أولي العلم قائماً بالقسط » ، الذين يشهدون مع الله وملائكته « إن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران 18).

فالإسلام، في القرآن، هو « النصرانية » عينها، بنصه القاطع.

والقرآن العربي نفسه قد « شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » (الأحقاف 10)؛ وهو شاهد من النصارى الإسرائيليين، لا من اليهود، « أول كافر به » ؛ بل « هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » النصارى (العنكبوت 49).

والدعوة القرآنية دعوة « نصرانية » قام بها « النصارى » باسم « الإسلام » قبل محمد، كما يشهد بنصه القاطع : « هو سماكم المسلمين من قبل، وفي هذا » القرآن (الحج 78) ـ وجاءَ محمد، بعد تدريبه على يد أستاذه، ورقة بن نوفل قس مكة؛ وبعد رؤيا حراء التي أشار إليه فيها ملاك من الله بالقيام بها، فقام بها خير قيام : « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14).

فالدعوة القرآنية هي « النصرانية » عينها، والإسلام فيها هو إسلام « النصارى » .

تلك هي شهادة الوثائق القرآنية.

* * *

الفصل الخامِس

الدلائل الحسان على « نصرانية » القرآن

توطئة : الدعوة القرآنية هي « النصرانية » عينها

بحث أول : « نصرانية » القرآن في دعوته

بحث ثانٍ : « نصرانية » القرآن في ظواهره

بحث ثالث : « نصرانية » القرآن في أساليبه

بحث رابع : « نصرانية » القرآن في صيَغ الإيمان

بحث خامس : « نصرانية » القرآن في عقيدته

خاتمة : الإسلام « أمة وسط » هي النصرانية بين اليهودية والمسيحية

[Blank Page]

توطئة

الدعوة القرآنية هي « النصرانية » عينها

إن استقراء القرآن أثبت لنا أنه دعوة « نصرانية » .

نستجمع الآن الدلائل التي تُظهر لنا **بمجموعها** أن الدعوة القرآنية هي « النصرانية » عينها. نقول « **بمجموعها** » لأن البرهان القاطع لا يقوم على دلائل متفرقة؛ قد يظهر بعضها ضعيفاً؛ وقد يقوم على بعضها شبهات. إنما مجموع الدلائل يورث العلم اليقين.

نقول إن الدعوة القرآنية هي « **النصرانية عينها** » ، لا عن طريق التلفيق والتنسيق كما يعمل صانع ماهر ـ هذا زندقة وكفر! ـ **إنما القرآن نفسه هو الذي يتبنى « النصرانية »** ؛ ويشهد بشهادتها « أن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران 18 ـ 19)، ويشرعها للعرب، في دين موسى وعيسى، ديناً واحداً (الشورى 13)، « لا نفرّق بين أحد من رسله، ونحن له مسلمون » (البقرة 285)؛ ويعلن بصراحة : « فآمنت طائفة من بني إسرائيل (بالمسيح) وكفرت طائفة! فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14). فالقرآن في عقيدته ودعوته وجهاده « تأييد » « للنصرانية » على عدوها، اليهود الذين كفروا بالمسيح، والمسيحيين الذين « غلوا » في أمره.

فكما ظهرت « النصرانية »، في عهد الفترة، ما بين الإنجيل والقرآن، « **أمةً وسطا** »، بين اليهودية والمسيحية؛ نراها إياها « الأمة الوسط » التي يدعو إليها القرآن.

والدلائل تأتي زرافات ووحداناً من العقيدة، والدعوة، واللغة، والأساليب، والظواهر البارزة؛ وكلها قائمة على وحدة القرآن الجذرية مع الكتاب والإنجيل.

ويظهر **سرّها كله** في قوله : « وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » (الأحقاف 10). وسوء فهم الناس لمعنى « بني إسرائيل » في هذه الآية هو الذي صدّهم عن أن يروا في الآية سرّ القرآن كله : لقد فهموا أن « بني إسرائيل » هم اليهود؛ وفاتهم أن « بني إسرائيل » هم في تعبير القرآن يهود ونصارى من بني إسرائيل. **فالقرآن له « مثله » عند النصارى من بني إسرائيل.**

هذا الواقع القرآني هو الذي يحملنا على التصريح **بما لم يقل به أحد بعد :** إن القرآن دعوة « نصرانية » . ليس هذا مسّاً بكرامته. إنما هو واقع الحال، **لأن القرآن نفسه هو الذي يتبنّى « النصرانية »** ، « أمة وسطاً » بين اليهودية والمسيحية. هو يشهد لنفسه (الأحقاف 10، الصف 14).

فالدعوة القرآنية هي « النصرانية » عينها، كما تدل عليها **ظواهرها الخمسون.**

* * *

بحث أول

« نصرانية » القرآن في دعوته

تظهر « نصرانية » القرآن من دعوته لوحدة الكتاب، ووحدة الوحي، ووحدة الدين، ووحدة الإسلام، ووحدة الرسالة النبوية، ووحدة الإيمان، ووحدة العقيدة، ووحدة الشريعة، ووحدة الأمة، ووحدة الجهاد والشهادة.

تلك عشر وحدات تجعل القرآن، بشهادته لنفسه، دعوة « نصرانية » .

أولاً : « نصرانية » القرآن، في وحدة الكتاب

إن الكتاب المنزل من جميع أنبياء الله واحد : « كان الناس أمة واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس

فيما اختلفوا فيه. وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البيّنات بغياً بينهم. فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم » (البقرة 213). فالكتاب من توراة وإنجيل واحد؛ واختلف اليهود من بعد ما جاءتهم « بيّنات » عيسى (البقرة 87 و253) وقاتلوا « مَن آمن منهم » (بعيسى) (البقرة 253)؛ فهدى الله بالقرآن جماعة محمد إلى الإيمان مع أهل الإيمان والصراط المستقيم.

وتعليم القرآن بوحدة الكتاب، من توراة وإنجيل وقرآن (آل عمران 1 - 3) متواتر في سوره. وهو يسمّيه « **كتاب الله** » تسع مرات (2 : 101؛ 3 : 23؛ 5 : 47؛ 8 : 75؛ 9 : 37؛ 30 : 56؛ 33 : 6؛ 35 : 29؛ 28 : 49) ويؤكد مرتين أن الإنجيل كان « مصدّقاً لما بين يديَّ من التوراة » (3 : 50؛ 61 : 6)؛ وسبع عشرة مرة أن القرآن « تصديق الذي بين يديه » ، « مصدّق لما معكم » (2 : 41 و89 و91 و97 و101؛ 3 : 3 و81؛ 4 : 46؛ 5 : 49 مرتين و 51؛ 6 : 92؛ 10 : 37؛ 12 : 111؛ 35 : 31؛ 46 : 12 و30). فتوكيد وحدانية كتاب الله جازم قاطع.

والقرآن، في وحدانية الكتاب، **يخص بخطابه بني إسرائيل :** « آتينا آل إبراهيم الكتاب » (4 : 53)، « وجعلنا في ذريتهما (نوح وإبراهيم) النبوة والكتاب » (57 : 26) - أي « آتينا بني إسرائيل الكتاب » (45 : 15)، « أورثنا بني إسرائيل الكتاب » (40 : 53)، فهم « خلق ورثوا الكتاب » (7 : 168)، يختلفون « وهم يتلون الكتاب » (2 : 113)؛ والقرآن يحيل نبيّه إلى « الذين يقرأون الكتاب من قبلك » (10 : 94)؛ ويأمر أمته بالإيمان « بالكتاب كله » (3 : 119) أي « بالكتاب الذي نزَّل على رسوله، والكتاب الذي أنزل من قبل » (4 : 136).

والحال أن اليهود « يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض » (2 : 85)، فهم « من الأحزاب مَن ينكر بعضه » (الرعد 38)؛ لذلك « إن الذين يكفرون

بالله ورسله، ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله، ويقولون : **نؤمن ببعض** (التوراة) **ونكفر ببعض** (الإنجيل)، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً، أولئك هم الكافرون حقاً، واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً. والذين آمنوا بالله ورسله، ولم يفرّقوا بين أحد منهم، أولئك سوف يؤتيهم أجورهم، وكان الله غفوراً رحيماً » (النساء 149 - 150). فجماعة محمد « يؤمنون بالكتاب كله » (3 : 119) على مثال النصارى من بني إسرائيل « الذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرّقوا بين أحد منهم » (النساء 150).

ويأتي التفصيل صريحاً في قوله : « ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب : فمنهم مهتد، وكثير منهم فاسقون » - الفاسقون في دينهم هم اليهود، والمهتدون هم النصارى من بني إسرائيل؛ « ثم قفينا على آثارهم برسلنا، وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل، وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رحمة ورأفة ... فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم، وكثير منهم فاسقون » (الحديد 26 - 27) - فآل الإنجيل، منهم المسيحيون الفاسقون في دينهم، « الذين كفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملكهم، وبقي على دين عيسى منهم فآمنوا بنبيّنا » (الجلالان) وهم النصارى من بني إسرائيل. هؤلاء النصارى، بحسب قوميتهم هم المهتدون (26)، وبحسب مذهبهم هم المهتدون (27) فهم « من قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الأعراف 157)، « فآمنت طائفة من بني إسرائيل (بالمسيح) وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين (الصف 14). فالنصارى من بني إسرائيل هم وحدهم يؤمنون بوحدة الكتاب ديناً واحداً، وهذه هي « نصرانية » القرآن.

*

ثانياً : « نصرانية » القرآن، في وحدة الوحي والتنزيل

« الله الذي نزّل الكتاب » (7 : 195)، « نزّل الكتاب بالحق » (2 : 175)، « فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق » (البقرة

213). وكذلك « إنا أوحينا إليك، كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده، وأوحينا ... » (النساء 162). فوحدة الوحي والتنزيل عقيدة قرآنية.

الله نزّل الكتاب جملةً وتفصيلاً : « الله، لا إله إلا هو، الحي القيوم نزّل عليك الكتاب بالحق، مصدّقاً لما بين يديه، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس، وأنزل الفرقان » (آل عمران 1 - 3). فالله أنزل الكتاب في القرآن والتوراة، وأنزل معه الفرقان الشفوي تفصيلاً له.

وقوله : « نزّلنا عليك القرآن » (76 : 23)، « نزّل الفرقان عن عبده » (25 : 1) يعني « نزّل عليك الكتاب بالحق » (3 : 3)، « ونزلنا عليك الكتاب » (16 : 89)، « وأنزل الله عليك الكتاب » (4 : 112)، « وأنزلنا عليك الكتاب » (29 : 51؛ 39 : 41)، « أنزل على عبده الكتاب » (18 : 1)؛ وذلك « لتبيّن للناس ما نزّل إليهم » (16 : 44). والله « هو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصّلاً » (6 : 114). فوحدة الوحي والتنزيل في التوراة والإنجيل والقرآن عقيدة قرآنية.

والحال أن اليهود « يقولون : **نؤمن ببعض** (التوراة)، **ونكفر ببعض** (الإنجيل)، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً، أولئك هم الكافرون حقاً » (النساء 149)؛ وكانوا « أول كافر به » (البقرة 41) أي بالقرآن. والمسيحيون، وإن آمنوا بوحدة الوحي والتنزيل في التوراة والإنجيل، فهم لا يعملون إلا بأحكام الإنجيل.

فالنصارى من بني إسرائيل هم وحدهم يؤمنون ويعملون بالكتاب كله، كما أن أمة محمد يؤمنون « بالكتاب كله » (آل عمران 119). لذلك « قلْ : يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليكم من ربكم؛ وليزيدنَّ **كثيراً منهم** ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً » (المائدة 71).

فالمسلمون مثل النصارى من بني إسرائيل هم وحدهم يؤمنون بوحدة الوحي والتنزيل في « الكتاب كله » أي في التوراة والإنجيل والقرآن.

فالقرآن، في وحدة الوحي والتنزيل، دعوة « نصرانية » .

*

ثالثاً : « نصرانية » القرآن، في وحدة الدين

يجب أن « يكون الدين لله » (2 : 193)، « ويكون الدين كله لله » (8 : 39). لذلك ينادي : « ألا لله الدين الخالص » (39 : 3)، « مخلصين له الدين » (7 : 28؛ 10 : 22؛ 29 : 65؛ 31 : 32؛ 40 : 14؛ 98 : 5). ويطلب من نبيّه أن يكون « مخلصاً له الدين » (39 : 2 و11)، « أقم وجهك للدين حنيفاً » (10 : 105؛ 30 : 30 و43).

وهذا الإخلاص في الدين، هذه الحنيفية في الدين، **هما دين موسى وعيسى ديناً واحداً** يشرعه للعرب : « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً ـ والذي أوحينا إليك ـ وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه؛ كبر على المشركين ما تدعوهم إليه » (الشورى 13). لا نعرف دين نوح وإبراهيم إلا بالتوراة، وفي تصديق القرآن لها. فالدين الذي يشرعه القرآن للعرب هو دين موسى وعيسى ديناً واحداً، لا دين موسى وحده كما يقول اليهود، ولا دين المسيح وحده كما يقول المسيحيون، بل دين موسى وعيسى معاً كما يقول النصارى من بني إسرائيل. **فالقرآن يشرع للعرب دين « النصرانية »** ، لا دين اليهودية التي تكفر بالمسيح، ولا دين المسيحية التي « تغلو » في المسيح.

« **فالنصرانية » هي الحنيفية** التي تدين بدين موسى وعيسى ديناً واحداً، كما كان المسيحيون يعيّرون النصارى من بني إسرائيل بلقب « حنفاء » لانحرافهم في المسيحية؛ فاعتبروا هذا اللقب شعاراً للدين القيّم، دين الحق؛ وأسموه

« ملـــة إبراهيـــم » تأليفـــاً للعـــرب. وبموجـب هـــذه « النصـــرانية » الحنيفيـــة، أو الحنيفيـــة « النصرانية » يدين القرآن شيَع المشركين والكتابيين.

يقول : « فأقم وجهك للدين حنيفاً : فطرتَ الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله؛ ذلك الدين القيّم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون؛ فَتوبوا إليه، واتقوه، وأقيموا الصلاة؛ ولا تكونوا **من المشركين**، من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون » (الروم 30 - 32). فمحمد يؤمر بالدين حنيفاً، الدين القيّم، وهو دين « النصارى » المسلمين: « وأُمرتُ أن أكون من المسلمين » (النمل 90)؛ « إنا كنا من قبله مسلمين » (القصص 53).

ويقول : « إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لستم منهم في شيء ... قلْ : إني هداني ربي إلى صراط مستقيم، ديناً قيّماً، ملة إبراهيم حنيفاً، وما كان من المشركين. قل : إن صلاتي ونسكي، ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، بذلك أُمرتُ، وأنا أول المسلمين » (الأنعام 153 - 164). هنا قد يقصد المشركين، وقد يقصد الكتابيين. وعلى قصده الكتابيين، الذين افترقوا شيعاً « فآمنت طائفة من بني إسرائيل (بالمسيح) وكفرت طائفة » (الصف 14)، وكان المسيحيون « يغلون في دينهم » ، فقد اهتدى محمد إلى الصراط المستقيم بالإيمان بالكتاب (الشورى 52) على دين « النصرانية » التي تؤمن بموسى وعيسى ديناً واحداً (الشورى 13)، هذه ملة إبراهيم، الدين القيم. جاءه الأمر: « وأُمرت أن أكون من المسلمين » من قبله أي « النصارى » (النمل 90)، والآن يأتيه الأمر أن يكون رئيس النصارى، « أول المسلمين » (الأنعام 136 و14؛ 39 : 12).

فالقرآن، في وحدة الدين، دعوة « نصرانية » .

*

رابعاً : « نصرانية » القرآن، في وحدة الإيمان

يقرن القرآن الإيمان بالكتاب، وهذا هو الصراط المستقيم : « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا، وإنك لَتُهدى إلى صراط مستقيم » (الشورى 52)؛ وهذا الصراط المستقيم،

في الإيمان بالكتاب، لا يكون إلا بالإيمان بموسى وعيسى ديناً واحداً : « وقلْ : آمنت بما أنزل الله من كتاب » (الشورى 13 و15). وهذه هي « النصرانية » .

ويقرن الإيمان « بالعلم » ـ لا العلم على الإطلاق كما يتوهمون ـ بل العلم المنزل بالمسيح في الإنجيل، علم « أولي العلم قائماً بالقسط » (آل عمران 18)؛ فيقول : « وقال الذين أوتوا العلم والإيمان : لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث » (الروم 56). وأهل « العلم والإيمان » بحسب اصطلاحه المتواتر هم النصارى من بني إسرائيل ومن تنصّر معهم من العرب.

وتظهر وحدة الإيمان في أمره : « قولوا : آمنا بالله وما أنزِل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم : لا نفرّق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون » (البقرة 136). فالإيمان المنزل كله ينحصر في التوراة والإنجيل ـ وفي القرآن تصديقاً لهما ـ وهما الإيمان « بما أوتي موسى وعيسى » بلا تفرقة ولا تفريق، كما يفعل اليهود والمسيحيون؛ بل كما يفعل النصارى من بني إسرائيل بالإيمان بهما إيماناً واحداً؛ وهذا هو الإسلام القرآني « النصراني » .

وهذا الأمر بالإسلام « النصراني » ، في الإيمان بموسى وعيسى ديناً واحداً، قد جاء محمداً قبل أمته : « قلْ : آمنا بالله وبما أُنزل علينا، وما أُنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم : لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (آل عمران 85) وذلك حينما أُمر بأن ينضمّ إلى النصارى من بني إسرائيل، المسلمين من قبله (النمل 90).

فالإيمان بكتب الله ورسله إيماناً واحداً هو إيمان « النصرانية » الذي يؤمن به محمد وأمته : « آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه؛ والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرّق بين أحد من رسله » (البقرة 285). وعدم التفريق بين كتب الله ورسله هو ميزة « النصرانية » والقرآن.

فالقرآن، في وحدة الإيمان، دعوة « نصرانية » .

*

خامساً : « نصرانية » القرآن، في وحدة الإسلام

يرددون على الدوام : « إن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران 19)، « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً، فلن يُقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين » (آل عمران 85). وهكذا يحصرونه في أمة محمد. وفاتهم أصله الذي ينتمي إليه القرآن.

فالإسلام بنوع عام هو ما وصى به الله تعالى نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً (الشورى 13)، وهو « ما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم : لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (البقرة 136)، « ما أُوتي موسى وعيسى والنبيّون من ربهم : لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (آل عمران 85).

فهو موضوعاً واسماً من قبل القرآن : « هو سمّاكم المسلمين من قبل، وفي هذا » القرآن (الحج 78). لذلك يقول أهل الكتاب لمحمد : « إنا كنا من قبله مسلمين » (القصص 53).

لكن **الإسلام على التخصيص** هو « النصرانية » ، إسلام أولي العلم المقسطين، لا اليهود الظالمين : « شهد الله أنه لا إله إلا هو، والملائكة، **وأولو العلم قائماً بالقسط**، لا إله إلا هو العزيز الحكيم : إن الدين عند الله الإسلام. وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » (آل عمران 18 و19). فهموا تعبير « أولو العلم قائماً بالقسط » بحسب اللغة، وهو اصطلاح متواتر، مرادف لأهل الذكر، أي لأهل الكتاب؛ والصفة « قائماً بالقسط » تمييز للنصارى من بني إسرائيل من اليهود الذين يصفهم « بالظالمين » (العنكبوت 46؛ البقرة 124). وفهموا « الذين أوتوا الكتاب » على التعميم، وهو أسلوب متواتر في القرآن يقصد التخصيص بحسب القرائن : فأهل الكتاب الذين « يقتلون النبيين بغير حق » هم اليهود (21). وهكذا سلبوا تلك الشهادة القرآنية الجوهرية المحورية حقيقتها. وحقيقتها أن النصارى من بني إسرائيل هم « أولو العلم قائماً بالقسط » الذين يشهدون مع الله وملائكته « أن الدين عند الله الإسلام » . والقرآن يشهد بذلك على شهادتهم : **فالقرآن يدعو للإسلام بدعوة « النصرانية » عينها.**

هذا الإسلام القرآني « النصراني » يرفضه اليهود، ليس بسب التوحيد فيه ـ وهو واحد فيه معهم ـ لكن بسبب إيمانه بالمسيح. هذا ما أعلنه الحواريون، صحابة المسيح، لمعلمهم : « فلمّا أحسّ عيسى منهم (اليهود) الكفر، قال : مَن أنصاري إلى الله؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله! آمنا بالله وأَشهد بأنا مسلمون! ربنا آمنّا بما أنزلت، واتّبعنا **الرسول** (المسيح) فاكتبنا مع الشاهدين » (آل عمران 52 ـ 53). قال الرازي : « قوله (آمنّا بالله) يجري مجرى ذكر العلة في نصرتهم له. (واشهد بأنا مسلمون)، فيه قولان : أشهد بأنا منقادون لما تريد ولأمر الله؛ أو أن ذلك إقرار منهم بأن دينهم الإسلام، وأنه دين كل الأنبياء. واعلم أنهم لما أشهدوا عيسى على إيمانهم وعلى إسلامهم تضرعوا إلى الله (53) مؤمنين بالله ـ وكتب : الله، ورسول الله ـ وعند ذلك طلبوا الزلفى والثواب (فاكتبنا مع الشاهدين) لك بالتوحيد، ولأنبيائك بالنبوّة. وعن ابن عباس : **(واكتبنا) في زمرة الأنبياء**، أو ممن يكون في شهود جلالك مستعدّاً للشهادة بالدم » . نقول : لا مجال للتردد في إعلان إسلامهم بحسب اصطلاح القرآن؛ وتفسيره لغةً، حيث لا قرائن عليه، هو عقدة نفسية عند المفسرين الذين لا يرون الإسلام إلا في القرآن، وهو خير شاهد على فساد تفسيرهم، في الإعلان الضخم الصريح بإسلام النصارى، أولي العلم المقسطين (آل عمران 18 ـ 19).

وعلى مثال الحواريين، أنصار الله وعيسى، يريد القرآن أن يكون « الذين آمنوا » به من العرب : « يا أيها الذين آمنوا، **كونوا أنصار الله**، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين : مَن أنصاري إلى الله؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله! فآمنت طائفة من بني إسرائيل، وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14). فقوله عن جماعته « أنصار الله » هو ترجمة عربية لتعبير « نصارى » : هذا انتساب إلى « النصارى » بالاسم، كما تدلّ القرينة في الاستشهاد. وتأتي النتيجة الحاسمة فيه **التي تكشف سرّ القرآن كله**، بأنه تأييد مطلق للنصارى من بني إسرائيل على « عدوهم » اليهود. فهذه الطائفة

من بني إسرائيل التي آمنت بالمسيح، بناءً على دعوة الحواريين له، هم « أولو العلم قائماً بالقسط » الذين يشهدون مع الله وملائكته « إن الدين عند الله الإسلام » . فالقرآن يعرب اسمهم، ويتبنّى شهادتهم، ويؤيد دعوتهم حتى الظهور المبين : فهو بحق دعوة « نصرانية » في الإسلام الذي يدعو إليه.

ولذلك « اختلف الذين أوتوا الكتاب » من اليهود : وخلافهم الأكبر في دعوة القرآن للمسيح. ففي نظر القرآن، أن الإسلام الحق، والشهادة الحنيفية للإسلام، **إنما في الإيمان بالله والمسيح رسول الله.** هذا هو **إسلام الفطرة والكتاب** « أفغير دين الله يبغون، وله أسلم مَن في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً! قلْ : آمنا بالله وما أُنزل علينا، وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم : لا نفرّق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون! ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً، فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » (آل عمران 83 - 85).

كثيراً ما يفصلون الآية (85) عمّا سبقها ليقوّلوا القرآن ما لا يقول، فيتوهمون ويوهمون **أن الإسلام هو حصراً إسلام القرآن.** إن إسلام القرآن هو **دين موسى وعيسى** الذي يشرعه للعرب ديناً واحداً (الشورى 13). هذا هو في نظر القرآن دين الفطرة والكتاب، دين الله الأوحد. فإسلام القرآن يدعو إلى دين الله، أي **إلى الشهادة لله وللمسيح**؛ وهذا معنى قوله المتواتر : « لا نفرّق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون » (البقرة 136 و253؛ آل عمران 85). وما القرآن ونبيّه إلا تصديق لهذه الشهادة وتفصيل : إنه « تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب » (يونس 37). فالإيمان بموسى وعيسى ديناً واحداً هو الإسلام الأوحد الذي مَن يبتغي غيره ديناً فلن يُقبل منه عند الله.

فالإسلام، **اسماً ودعوةً**، هو « النصرانية » التي يشهد لها القرآن ويمنع أمته

من الجدال فيها، بل بالتسليم مع أهلها أن الإله واحد، والتنزيل واحد، والإسلام واحد، في القرآن و « النصرانية » (العنكبوت 46).

فالقرآن، في وحدة الإسلام، دعوة « نصرانية » .

*

سادساً : « نصرانية » القرآن، في وحدة النبوة والرسالة

تقوم وحدة النبوة والرسالة **على وحدة الكتاب** : « كان الناس أمة واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه » (البقرة 213). فالكتاب واحد مع جميع الأنبياء والرسل، وإن اختلف اسمه، وكان « لكل أجل كتاب » (الرعد 40).

وتقوم وحدة النبوة والرسالة **على وحدة الوحي** لجميع الأنبياء والمرسلين : « إنا أوحينا إليك، كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده » (النساء 162). فالوحي من نوح إلى محمد واحد.

وتقوم وحدة النبوة والرسالة **على وحدة الدين** الذي يشرعه الله للناس، بواسطة جميع الرسل : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ـ والذي أوحينا إليك؛ وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه » (الشورى 13). فالدين من نوح إلى إبراهيم، إلى موسى، إلى عيسى، إلى محمد، واحد.

وتقوم وحدة النبوة والرسالة على وحدة **الإيمان في النبوّة والكتاب :** « قولوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا ... وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم : لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (البقرة 136). كذلك الأمر إلى محمد نفسه : « قلْ : آمنا بالله وما أُنزل علينا ... وما أُوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم : لا نفرّق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون » (آل عمران 85).

وتقوم وحدة النبوة والرسالة **على وحدة الإسلام** من إبراهيم، إلى موسى، إلى عيسى، إلى محمد، كما ينادي بهم جميعهم (آل عمران 83 - 85). وتلك هي شهادة « أولي العلم قائماً بالقسط : إن الدين عند الله الإسلام » وشهادتهم من شهادة الله وملائكته (آل عمران 18 - 19).

والحال، أن تلك الوحدة في النبوة والرسالة، بكل مظاهرها، لا يقول بها اليهود الذين « يؤمنون ببعض، ويكفرون ببعض » (النساء 149)؛ ولا يقول بها المسيحيون الذين يقيمون الإنجيل من دون أحكام التوراة (المائدة 71)؛ إنما يقول بها النصارى من بني إسرائيل وحدهم : فهم وحدهم يجمعون دين موسى وعيسى ديناً واحداً (الشورى 13)؛ وهم وحدهم يقيمون التوراة والإنجيل شرعاً واحداً (المائدة 71). فهم وحدهم يشهدون : « **لا نفرّق بين أحد من رسله ونحن له مسلمون** » (البقرة 285)؛ وهم وحدهم « أولو العلم قائماً بالقسط » الذين يشهدون مع الله وملائكته « أن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران 18 - 19). والقرآن يشهد بشهادتهم، ويؤمن بإيمانهم، ويدعو بدعوتهم : « فآمنوا بالله ورسله » (3 : 179؛ 4 : 151 و179؛ 57 : 19 و21)؛ فقد « آمن الرسول، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرّق بين أحد من رسله » (البقرة 285).

فالقرآن، في وحدة النبوة والرسالة، دعوة « نصرانية » .

*

سابعاً : « نصرانية » القرآن، في وحدة العقيدة

العقيدة في القرآن عقيدتان : التوحيد، والإيمان بالمسيح.

والتوحيد، في القرآن، جاء بالحرف الواحد كما هو في التوراة والإنجيل. ففي التوراة : « اسمع يا إسرائيل : إن الله إلهنا **هو الله أحد** » (التثنية 6 : 4). ووصف الأنبياء مثل أشعيا أن « الله أحد » هو « الله الصبئوت » فعُربت

« الله الصمد » ؛ وأن « الله أحد » هو « الحي القيوم » (أرميا 10 : 10؛ قابل أفسس 4 : 6؛ تيموتاوس الأولى 6 : 15 ـ 17). وذهب شعار التوحيد « الله أحد » عندهم شهادة لهم في توحيدهم، وفاتحة لهم في صلاتهم. ولما ظهر السيد المسيح سأله علماء الشريعة : « أية وصية هي الأولى » ؟ فأجابهم بشهادتهم وبفاتحة صلاتهم : « الأولى هي : اسمع يا إسرائيل : إن الله إلهنا هو الله أحد » (مرقس 12 : 29). فردّد القرآن صيغة التوحيد بحرفها التوراتي والإنجيلي : « قلْ : هو الله أحد، الله الصمد » (سورة الإخلاص). وما كان أهل الكتاب ليكونوا على خلاف مع محمد في دعوته للتوحيد الكتابي بحرفه ومعناه. إنما كان خلافهم معه على دعوته للإيمان بالمسيح.

ودعوة القرآن للمسيح لا يقبل بها اليهود، لذلك كانوا « أول كافر به » ؛ ولا يقول بها المسيحيون من الأمميين، لكن « قالت النصارى : المسيح ابن الله » (التوبة 30). إن عقيدة القرآن في المسيح ـ وهي الموضوع الثاني لدعوته ـ هي عقيدة « النصرانية » .

ففي تعريفه الوافي بالمسيح يقول : « إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » (النساء 170). فهو، وإن كان « عيسى ابن مريم » ، يظل قبل أن يُلقى إليها، وبعد ذلك « كلمته وروحاً منه » أي ذاتاً « صادراً منه » (البيضاوي)، مع ذلك « لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقرّبون » (النساء 171). إنه يجعل المسيح يصفه كونه « كلمته وروحاً منه » أحد الملائكة المقربين. وفي هذا تكمن **الازدواجية القرآنية** في شخصية المسيح، ويؤكد مع ذلك أنه عبد، لا رب. تلك العقيدة القرآنية في المسيح لا يقول بها إلا النصارى من بني إسرائيل؛ بينما المسيحيون أجمعون، بكل طوائفهم، يقولون : « المسيح ابن الله » (التوبة 31).

فالقرآن، في عقيدته بالمسيح، يدعو بدعوة « النصرانية » . فتوحيده « النصراني » يجعله يقول : « قلْ : هو الله أحد، الله الصمد ـ لم يلدْ ولم يولد »

(الإخلاص) أي « ما اتخذ الله من ولد » (23 : 92)، « الذي لم يتّخذ ولداً » (17 : 111)، « وقالوا : اتخذ الرحمان ولداً » (19 : 89 و92 و93؛ 21 : 26) فقضية الولد والولادة أنما هي قضية اتخاذ! وجلَّ الله عن الصاحبة والولد : « ما اتخذ صاحبة ولا ولداً » (72 : 2)، « أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة » (6 : 101). فلا تفهم الولادة والنبوة إلا بالتناسل الجسدي. والله لا جسد له. فإذا ارتفعنا إلى عالم **« الروح » المطلق**، « ويسألونك عن الروح؟ قل : الروح من أمر ربي، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » (الإسراء 102). لذلك فقوله : « لم يلد ولم يولد » يقابله قسمه : « ووالد وما ولد » (90 : 3)؛ ويستدرك : « قل : **إن كان للرحمان ولد فأنا أول العابدين** » (الزخرف 81). أجل ليس للرحمان من ولد، عن طريق التناسل أو الاتخاذ؛ لكن عن طريق النطق الروحي الذاتي، في ذات الله، ألا يكون « كلمته وروح منه » هو بلغة البشر « المسيح ابن الله » ؟ هذا هو **التساؤل الأكبر** الذي لم يجب عليه العلم « القليل » في أمر « الروح » ، عالم الله، في القرآن. فمع الازدواجية في شخصية المسيح، تلك هي **الشبهة القائمة لا تزول في سر المسيح**، انتقلت من « النصرانية » إلى الدعوة القرآنية.

فالقرآن، في وحدة العقيدة، دعوة « نصرانية » .

*

ثامناً : « نصرانية » القرآن، في وحدة الشريعة

إن اليهودية تكفر بالإنجيل، فلا تقيم شريعته؛ والمسيحية تؤمن بالتوراة لكنها تقول بأن الإنجيل نسخ شريعة التوراة، فلا تقيمها.

وحدها « النصرانية » الإسرائيلية، الطائفة من بني إسرائيل التي آمنت بالمسيح (الصف 14)، تقيم أحكام التوراة والإنجيل معاً، وتقول بدين موسى وعيسى ديناً واحداً.

والقرآن يدعو بدعوة « النصرانية » إلى وحدة الشريعة المنزلة في التوراة والإنجيل : « قلْ : يا أهل الكتاب **لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل**، وما أنزل إليكم من ربكم؛ وليزيدنّ كثيراً منهم ما أُنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً » (المائدة 71). فسبب عداوة أهل الكتاب المذكورين للدعوة القرآنية هو « نصرانيتها » في الدعوة لإقامة التوراة والإنجيل معاً شريعةً واحدة.

وفي إقامة التوراة والإنجيل معاً شريعة واحدة، « يريد الله ليبيّن لكم، **ويهديكم سنن الذين من قبلكم** ... يريد الله أن يخفّف عنكم، وخلق الإنسان ضعيفاً » (النساء 25 و27). فما بين التوراة والإنجيل، سلك النصارى من بني إسرائيل طريقاً وسطاً، فكانوا في الشرع أيضاً « أمة وسطاً » . هذا هو التخفيف في التوراة على ضوء الإنجيل.

مثال ذلك في تعدد الزوجات. مابين التعدّد المطلق في التوراة، والوحدانية في الإنجيل، قال النصارى من بني إسرائيل، مع فئة من أهل التلمود، بني قومهم، بالزواج « مثنى وثلاث ورباع؛ وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » ، كما جاء في القرآن نفسه (النساء 3).

فالقرآن، في وحدة الشريعة، دعوة « نصرانية » .

*

تاسعاً : « نصرانية » القرآن، في وحدة الأمة

إن أهل النبوة والكتاب، في عرْف القرآن، أمة واحدة. فهو يذكر أنبياءَ الله من إبراهيم، إلى موسى، إلى يحيى بن زكريا، ويختم بقوله : « والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا، وجعلناها وابنها آية للعالمين : إن هذه أمتكم، **أمة واحدة**، وأنا ربكم فاعبدون » (الأنبياء 91 - 92). فالأمة الواحدة هي الأمة التي تدين بموسى وعيسى ديناً واحداً، وإيماناً واحداً، وهذه هي « النصرانية » ، لا اليهودية، ولا المسيحية، وهذه هي « الأمة الواحدة » التي يدعو إليها القرآن.

ويوجز ذكر الأنبياء بموسى وعيسى : « وآتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون. وجعلنا ابن مريم وأمه آية، وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين. وإن هذه أمتكم، **أمة واحدة**، وأنا ربكم فاتقونِ. فقطّعوا أمرهم بينهم زبراً، كل حزب بما لديهم فرحون » (المؤمنون 51 - 54). إن الله أرسل موسى وعيسى نبوة واحدة، وكتاباً واحداً، وديناً واحداً، فاقتصر اليهود على التوراة، واكتفى المسيحيون بإقامة الإنجيل من دون التوراة، « كل حزب بما لديهم فرحون » . أما النصارى من بني إسرائيل الذين يثني عليهم تلميحاً (المؤمنون 58 - 62) وتصريحاً (الأعراف 157) فقالوا بموسى وعيسى أمة واحدة، والقرآن ينادي بوحدة الأمة معهم.

هذه « الأمة الواحدة » التي تقول بإقامة التوراة والإنجيل ديناً واحداً هي **الأمة المقتصدة** التي ينادي بها : « ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليهم من ربهم، لأكلوا من فوقهم، وتحت أرجلهم! منهم **أمة مقتصدة**، وكثير منهم ساء ما يعملون » (المائدة 66).

وهذه الأمة المتقصدة هي « أمة وسط » بين اليهودية والمسيحية؛ وهي التي على مثالها ينشئ أمته : « وكذلك جعلناكم **أمة وسطاً**، لتكونوا شهداء على الناس » (البقرة 143).

وشعار هذه الأمة الوسط قبلتها في الصلاة، فلا تتجه مثل المسيحية إلى المشرق، ولا مثل اليهودية إلى المغرب، بل إلى بيت المقدس، قبل تحويل القبلة إلى الكعبة الذي تمَّ لإيلاف العرب إلى الدعوة : « ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » (البقرة 177)، « قد نرى تقلّب وجهك في السماء؛ فلنولينّك قبله ترضاها : فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام؛ وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره ! وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم، وما الله بغافل عمّا يعملون. ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك، وما أنت بتابع قبلتهم، وما بعضهم بتابع قبلة بعض ...

الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم؛ وأن **فريقاً منهم** ليكتمون الحق وهم يعلمون ... وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره، لئلا يكون للناس عليكم حجة، **إلا الذين ظلموا منهم** » (البقرة 144 - 150). إن أهل الكتاب يختلفون في القبلة إلى يهود قِبَل المغرب، وإلى مسيحيين قِبَل المشرق، ويخالفون محمداً في قبلته؛ لكن فريقاً منهم يتبعه في قبلته، لأنهم « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » ، فليسوا سوى النصارى من بني إسرائيل، قبلوا بتعريب القبلة لإيلاف العرب للدعوة القرآنية « النصرانية » . وهذه هي « الأمة الوسط » ، أمة « أولي العلم قائماً بالقسط » بين اليهودية والمسيحية. لذلك « يرفع الله الذين آمنوا منكم، والذين أوتوا العلم، درجات » (المجادلة 11).

فالقرآن، في وحدة الأمة، واقتصارها على الأمة الوسط، دعوة « نصرانية » .

*

عاشراً : « نصرانية » القرآن، في وحدة الجدال والقتال

في **وحدة الجدال**، يجادل الناس بهدى وعلم من الكتاب المنير، وليس كما يجادل المشركون : « ومن الناس من يجادل في الله بغير هدى، ولا علم، ولا كتاب منير » (لقمان 20؛ الحج 8)؛ « وإن يكذبوك فقد كذّب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير » (فاطر 25). ففي اصطلاح القرآن، إن « الهدى » على التخصيص هو هدى موسى : « ولقد آتينا موسى الهدى » (المؤمن 53)؛ وإن « العلم » على التخصيص هو العلم الذي نزل بالإنجيل ورفضه اليهود (3 : 19؛ 42 : 14؛ 45 : 16)، وقال به « الراسخون في العلم » (آل عمران 7) أي « أولو العلم قائماً بالقسط » (آل عمران 18). فالعلم، في اصطلاح القرآن، ترجمة « الغنوص » في « علم الكتاب » . وهذا هو أسلوب النصارى من بني إسرائيل، من دون اليهود، ومن دون المسيحيين.

وبجدال « النصارى » يردّ على اليهود « بكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً؛ وقولهم :إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله » (النساء 155 - 156).

وبجدال « النصارى » يحاور وفد نجران في التثليث وفي إلهية المسيح : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم، ولا تقولوا على الله إلا الحق : إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه؛ فآمنوا بالله ورسله، ولا تقولوا : ثلاثة! انتهوا، خيراً لكم! إنما الله إله واحد » (النساء 170)؛ « إذ قال الله، يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس : اتخذوني وأمي إلهين من دون الله » (المائدة 119)، حيث « أمي » كناية عن الروح القدس، أكثر مما هي صفة أمه مريم. فالتوحيد الخالص لا يستقيم مع القول « بالثلاثة » ولا مع القول « المسيح ابن الله » ، ولو أن المسيح « كلمته وروح منه » .

وفي **وحدة الجهاد** يعلن : « فآمنت طائفة من بني إسرائيل (بالمسيح) وكفرت طائفة: **فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين** » (الصف 14). **هذا هو سرّ الجهاد القرآني كله.** لقد فشل القرآن، في تأييد النصارى من بني إسرائيل « بالحكمة والموعظة الحسنة » ، فأيّد « النصرانية » على اليهودية بالجهاد « فأصبحوا ظاهرين » .

ولمّا صفّى اليهودية في الحجاز، ختم جهاده بقتال المسيحيين العرب في مشارف الشام، « لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله، وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم » (الحديد 27). ولمّا جهّز لحملة تبوك، لإخضاع العرب المسيحيين لدولة الإسلام ـ لا لدين الإسلام ـ صرّح : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق، من الذين أوتوا الكتاب، **حتى يدفعوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون** » (التوبة 29).

فهو جاهد الشرك العربي، واليهودية العربية، والمسيحية العربية، كي « لا يبقى في جزيرة العرب دينان » ، بحسب وصيته الأخيرة على فراش الموت، إلا الإسلام « النصراني » الذي يشهد به « النصارى » ، « أولو العلم قائماً بالقسط »

(آل عمران 18)؛ فإن « من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أُنزل إليكم، وما أُنزل إليهم، خاشعين لله، لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً! أولئك لهم أجرهم عند ربهم، إن الله سريع الحساب » (آل عمران 199).

فهو يجاهد جهاد « النصرانية » (الصف 14)، أمة « الهدى ودين الحق » أي التي تؤمن بدين موسى وعيسى ديناً واحداً، وتقيم التوراة والإنجيل شرعاً واحداً؛ وشعاره في الجهاد ضد الشرك العربي (الفتح 28) وضد اليهودية العربية (الصف 9) وضد المسيحية العربية (التوبة 34) ـ **واحد** : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون » !

فالقرآن، في وحدة الجدال، وفي وحدة الجهاد، دعوة « نصرانية » .

فبتلك الميزات العشر تظهر « نصرانية » القرآن في دعوته.

* * *

بحث ثان

« نصرانية » القرآن في ظواهره البارزة

في القرآن بعض ظواهر بارزة، إذا ما « تدبرناها » ـ كما يأمرنا ـ تكشّفت لنا عن صلة صميمة تجعل القرآن دعوة « نصرانية » . منها حصر دعوة المسيح ببني إسرائيل؛ وحصر خطاب القرآن لأهل الكتاب ببني إسرائيل؛ ومعنى « نصارى » في عرْف القرآن وذكر الإنجيل بالمفرد، كأنه ليس للإنجيل سوى حرف واحد؛ وحصر رسالة المسيح في نطاق التوراة، لا تتعدّاها؛ وحصر دعوة المسيح بالتوحيد التوراتي، لا تتخطاه، كأنه ليس في الإنجيل من وحي جديد؛ واقتصار رسالة المسيح على الشهادة، لا على الفداء؛ وانتساب القرآن إلى

الكتاب وأهله؛ وانتساب محمد إلى « المسلمين » من قبله؛ وانتساب الإسلام القرآني إلى « أولي العلم » المقسطين. تلك الظواهر العشر براهين عشرة على « نصرانية » القرآن ونبيّه وإسلامه.

*

الظاهرة الأولى : حصر دعوة المسيح ببني إسرائيل

هذا حصر خاص يقوم على حصر عام.

الحصر العام هو حصر النبوة والكتاب في بني إسرائيل. سنفصله في موضع آخر. نكتفي هنا بشهادته الثلاثية : « الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة » (3 : 79؛ 6 : 89؛ 45 : 15)؛ « ووهبنا له إسحاق ويعقوب، **وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب** » (29 : 27، كذلك 57 : 26)، « وأورثنا بني إسرائيل الكتاب » (40 : 53) كما « آتينا بني إسرائيل الكتاب » (45 : 15).

والحصر الخاص هو اقتصار دعوة المسيح على بني إسرائيل. لقد جعل النصارى من بني إسرائيل السيد المسيح نبيّاً قوميّاً ليتفاضلوا به على المسيحيين من العالمين؛ وتناسوا أن دعوته قام معظمها في الجليل، أي « جليل الأمم » (متى 1 : 15) حيث يختلط الكتابيون بالأمميين فيسمعون مثلهم دعوة الإنجيل. وغفلوا عن رحلاته التبشيرية إلى أرض المشركين شرقاً وغرباً وشمالاً.

والواقع « النصراني » الذي يحصر دعوة المسيح ببني إسرائيل نجده في القرآن.

فقد كان المسيح « رسولاً إلى بني إسرائيل » (آل عمران 49).

وكانت دعوته للتوحيد التوراتي عندهم : « وقال المسيح : يا بني إسرائيل اعبدوا الله، ربي وربكم؛ أنه من يُشرك بالله، فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار » (المائدة 75).

وكانت رسالته لتصديق التوراة عندهم : « وإذ قال عيسى ابن مريم : يا بني

إسرائيل إني رسول الله إليكم، مصدّقاً لما بين يديّ من التوراة ... فلما جاءهم بالبينات قالوا : هذا سحر مبين » (الصف 6).

ولمّا مكروا به ليقتلوه، « كففت بني إسرائيل عنك » (المائدة 113).

والمسيح قد « جعلناه مثلاً لبني إسرائيل » (الزخرف 59).

وقامت دعوة الحواريين للمسيح في بني إسرائيل، « فآمنت طائفة من بني إسرائيل، وكفرت طائفة » (الصف 14). واقتصار دعوة الحواريين، صحابة المسيح، على بني إسرائيل كان من قبل « النصارى » تحريفاً للتاريخ، الذي يجعل دعوتهم واستشهادهم بعيداً عن فلسطين، كما تروي جميع المصادر الإسلامية، على غرار المصادر المسيحية.

والنصارى من بني إسرائيل هم ورثة كتاب موسى، مع الإنجيل، فهو هدى لهم، وبه يهدي أئمتهم : « ولقد آتينا موسى الكتاب، فلا تكن في مرية من لقائه، وجعلناه هدى لبني إسرائيل، وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا، لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » (السجدة 23 - 34). فلا يهتدي محمد في القرآن بهدى اليهود، « أول كافر به » ، بل بهدى النصارى من بني إسرائيل؛ فهم « من قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الأعراف 157)، بل القرآن نفسه « هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » (العنكبوت 49). وعلماء النصارى من بني إسرائيل هم شهود الحق للقرآن في دعوته - لا اليهود - « أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل » (الشعراء 197).

فحصر القرآن لدعوة المسيح ببني إسرائيل، ظاهرة أولى « لنصرانيته » .

*

الظاهرة الثانية : حصر خطاب القرآن لأهل الكتاب ببني إسرائيل

خطاب القرآن لأهل الكتاب، بسبب أسلوب التعميم، عليه ظاهرة الازدواجية. **فهو تارة يكفرهم :** « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء

بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله : فإن تولوا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون » (آل عمران 64)؛ « يا أهل الكتاب لِمَ تحاجون في إبراهيم، وما أنزلت التوراة (والإنجيل) إلا من بعده، أفلا تعقلون » (آل عمران 65)؛ « يا أهل الكتاب لِمَ تكفرون بآيات الله » (آل عمران 70)؛ « يا أهل الكتاب لِمَ تلبسون الحق بالباطل، وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » (آل عمران 71)؛ « قل يا أهل الكتاب لِمَ تصدون عن سبيل الله مَن آمن » ؟ (آل عمران 99)؛ « وقل يا أهل الكتاب لِمَ تكفرون بآيات الله، والله شهيد على ما تعملون » (آل عمران 98)؛ « ليس بأمانيكم، ولا أمانيّ أهل الكتاب : من يعمل سوءاً يُجزَ به » (النساء 122)؛ « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب » (المائدة 16)؛ « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم على فترة من الرسل » (المائدة 21)؛ « قل أيا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أُنزل إلينا، وما أُنزل من قبل » (المائدة 62)؛ « ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفّرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلنا جنات النعيم » (المائدة 68)؛ « لئلا (لكي) يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله » (الحديد 29)؛ « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله، ولا باليوم الآخر، ولا يدينون دين الحق ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله؛ ولا يدينون دين الحق، من الذين أوتوا الكتاب حتى يدفعوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون » (التوبة 30).

وهو تارة يشيد بإيمانهم : والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أُنزل إليك، ومن الأحزاب من يُنكر بعضه » (الرعد 36)؛ « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » (الأنعام 20؛ البقرة 146)؛ « فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك، فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك : لقد جاءك الحق من ربك فلا تكوننَّ من الممترين » (يونس 94).

لكن ظاهرة الازدواجية تزول **أولاً** بتمييز القرآن بين فريق المؤمنين وفريق الكافرين من أهل الكتاب : « الذين كفروا من أهل الكتاب » (98 : 1؛ 59 : 2 و11؛ 2 : 105)؛ « ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفّاراً » (2 : 109)؛ « ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم » (3 : 69)؛ « وقالت طائفة من أهل الكتاب ... ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم » (3 : 72 و77)؛ « ومن أهل الكتاب ... قالوا : ليس علينا في الأميّين سبيل » (3 : 75)؛ « ليسوا سواءً : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ... وأولئك من الصالحين » (3 : 113). ويأتي التمييز تلميحاً : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم » (29 : 46)، أو تصريحاً : « ولتجدنّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا؛ ولتجدنَّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى » (المائدة 85). لذلك عند التعميم يجب الالتفات إلى القرائن القريبة أو البعيدة لاستجلاء التخصيص.

وظاهرة الازدواجية تزول **ثانياً** بحصر خطاب القرآن **لأهل الكتاب ببني إسرائيل. لا يدخل المسيحيون في حوار القرآن إلا في آخر العهد بالمدينة**؛ أما من قبل فهو يحصر خطابه ببني إسرائيل : « إن هذا القرآن ينص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (الزخرف 76). فحوار القرآن لأهل الكتاب هو الفصل بين اليهود والنصارى من بني إسرائيل في قضية المسيح. وفي قضية المسيح يتبنى القرآن العقيدة « النصرانية » ويجاهد في سبيل إعلانها : « فآمنت طائفة من بني إسرائيل (بدعوة الحواريين للمسيح) وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14).

إن القرآن دعوة « نصرانية » بنص تلك الآية القاطع. وعلى ضوئها، وعلى نعت اليهود جملة « ولا تكونوا أول كافر به » (البقرة 41) يجب دفع الشبهات عند التعميم، أو حين الغموض. ففي **استشهاده المتواتر** بأهل الكتاب فهو إنما يستشهد بالنصارى من بني إسرائيل : « مَن عنده علم الكتاب » (الرعد 45)؛

« أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل » النصارى (الشعراء 197)؛ « وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » (الأحقاف 10). كذلك في الأمر إليه : « فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » (يونس 94) أي النصارى من بني إسرائيل. وكذلك في الأمر إليه بالاقتداء بهدى أهل الكتاب : « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ... أولئك الذين هدى الله، فبهداهم اقتده » (الأنعام 90) أي بهدى النصارى من بني إسرائيل؛ فهم الذين « جعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا » (السجدة 23 - 24)؛ وهم أولو العلم المقسطون الذين يشهدون مع الله وملائكته « إن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران 18 - 19)؛ بل القرآن نفسه « هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » (العنكبوت 49).

فحصر خطاب القرآن لأهل الكتاب، ببني إسرائيل، وتأييده « للنصرانية » على اليهودية (الصف 14) ظاهرة ثانية « لنصرانيته » .

*

الظاهرة الثالثة : معنى « النصارى » في اصطلاح القرآن

ظاهرة أولى غريبة أن القرآن لا يسمي أبداً أتباع المسيح « **مسيحيين** » على الإطلاق - مع أنه الاسم الشائع قبله وبعده لهم في الدنيا كلها - وظاهرة ثانية غريبة أن القرآن يسمي أتباع المسيح « **نصارى** » على الإطلاق - مع أنه الاسم الخاص بطائفة من بني إسرائيل آمنت بالمسيح، قبل القرآن، وفي القرآن نفسه (الصف 14).

وإطلاق القرآن اسم « نصارى » على المسيحيين وعلى النصارى من بني إسرائيل يخلق فيه أيضاً ظاهرة الازدواجية. فهو تارة يكفرهم : « وقالت النصارى : المسيح ابن الله » (براءة 31)؛ وطوراً يشهد بمودتهم وإسلامهم : « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ... ربنا آمنا

فاكتبنا من الشاهدين » (المائدة 85). والازدواجية صريحة في الآيتين (المائدة 15 و85).

لكن ظاهرة الازدواجية تزول من القرآن القريبة والبعيدة. فهو في جدال وفد نجران وكفاح أهل مشارف الشام، يطلق اسم نصارى على المسيحيين، أهل البدعة اليعقوبية ـ ولم يتصل بسواهم من المسيحيين على الإطلاق ـ فقوله : « لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح عيسى ابن مريم » (المائدة 19 و75)؛ وقوله : « لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة » (المائدة 76)؛ وقوله : « وقالت **النصارى :** المسيح ابن الله » (براءة 31) ـ فهو يقصد المسيحيين أهل البدعة اليعقوبية. فهو تارة يشير إليهم و لا يسميهم، لأنهم لا يستحقون اسم « نصارى » ؛ وإذا أطلقه عليهم مرتين (المائدة 15؛ براءة 31) فهو من باب التوسع، لا من باب التخصيص.

وهو **يحصر اسم « نصارى » على التخصيص** بأتباع المسيح من بني إسرائيل : « فآمنت **طائفة من بني إسرائيل،** وكفرت طائفة » (الصف 14)؛ « ومن **قوم موسى أمة** يهدون بالحق وبه يعدلون » (الأعراف 158). فهم **الأمة المثالية** من أهل الكتاب « يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » (آل عمران 113)؛ **وهم الأمة المقتصدة** من أهل الكتاب التي تقيم التوراة والإنجيل، بين الكثرة الفاسقين (المائدة 66)؛ وهم **الأمة الخاشعة** من أهل الكتاب الذين « يؤمنون بالله وما أُنزل إليكم وما أُنزل إليهم، خاشعين لله، لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً » (آل عمران 199). **إنهم القلة من بني إسرائيل** الذين أقاموا ميثاق الله : « وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل ... فتوليتم، **إلا قليلاً منكم،** وأنتم معرضون » (البقرة 83). فالقرآن يحصر اسم « **نصارى » وصفتهم المحببة،** بالأمة من قوم موسى، والطائفة من بني إسرائيل، التي آمنت بالمسيح، فيهدون بالحق وبه يعدلون.

فحصر القرآن لاسم « نصارى » بأتباع المسيح من بني إسرائيل، وإطلاقه على سواهم من باب التوسع والتجاوز، ظاهرة ثالثة « لنصرانيته » .

*

الظاهرة الرابعة : لا يذكر القرآن الإنجيل إلا بالمفرد، فهو واحد

إن الإنجيل الذي علمه المسيح واحد.

لكن الإنجيل عند المسيحيين دوّن **بأربعة أحرف :** الإنجيل بحسب متى، والإنجيل بحسب مرقس، والإنجيل بحسب لوقا، والإنجيل بحسب يوحنا. وهذا كما « نزل القرآن على سبعة أحرف » ، على ما جاء في الحديث الصحيح بالإجماع، وذلك « باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني » كما فسره الطبري. وهذا هو الوصف الحق الذي ينطبق على الإنجيل بأحرفه الأربعة. فصحابة المسيح حافظوا على أحرف الإنجيل الأربعة؛ أما صحابة محمد فقد أسقطوا من القرآن ستة أحرف، فلم يسلم إلا حرف عثمان، وهو المصحف الوحيد.

أما النصارى من بني إسرائيل **فلم يقبلوا إلا الإنجيل بحسب متى،** وفي حرفه العبراني ولغته السريانية، لأنه هو الذي دوّن إليهم أولاً، قبل نقله إلى اليونانية. ولذلك أسماه المسيحيون قديماً « الإنجيل بحسب العبرانيين » ، وحديثاً « إنجيل النصارى » . وهو الإنجيل الذي كان يترجمه قس مكة، ورقة بن نوفل، من العبرانية إلى العربية، ومحمد شاهد، كما جاء في حديث عائشة الصحيح، عند الشيخين. لذلك كان النصارى من بني إسرائيل لا يذكرون الإنجيل إلا بالمفرد.

وهذه هي عقيدة القرآن : فهو لا يذكر الإنجيل أيضاً إلا بالمفرد، وكأنه لا وجود إلا لحرف واحد من الإنجيل، هو إنجيل النصارى من بني إسرائيل :

« وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور » (المائدة 46).

« وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل » (الحديد 27).

« ويعلمه الكتاب والحكمة ـ والتوراة والإنجيل » (آل عمران 48).

« وإذ علمتك الكتاب والحكمة ـ والتوراة والإنجيل » (المائدة 110).

« ذلك مثلهم في التوراة ـ ومثلهم في الإنجيل ... » (الفتح 29).

« وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس » (آل عمران 3).

« ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل، وما أنزل إليهم من ربهم » (المائدة 66).

« قل : يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل » (المائدة 71).

« النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل » (الأعراف 155).

« وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن » (التوبة 111).

فالقرآن، مثل النصارى من بني إسرائيل، الذين يقتدي بهداهم (الأنعام 90) والذين « أيدناهم على عدوهم، فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14)، لا يعرف ولا يعترف إلا بالإنجيل مفرداً، « إنجيل النصارى » .

فحصر القرآن لأحرف الإنجيل الأربعة المتواترة عند المسيحيين، بحرف واحد هو إنجيل النصارى من بني إسرائيل، ظاهرة رابعة « لنصرانيته » .

*

الظاهرة الخامسة : حصر رسالة المسيح في نطاق التوراة

كان النصارى من بني إسرائيل يحصرون رسالة المسيح في نطاق التوراة، ويقولون بوجوب إقامة التوراة والإنجيل : « وانحدر من اليهودية (إلى انطاكية) قوم يعلمون الأخوة، قالوا : إنكم إن لم تختتنوا بحسب شريعة موسى، فلا تستطيعون أن تخلصوا » (سفر الأعمال 15 : 1)؛ وفي مجمع الرسل الأساقفة « قام قوم من الذين آمنوا من مذهب الفريسيين وقالوا: عليهم أن يختتنوا

ويؤمروا بحفظ شـريعة موسى » مع الإنجيل (1ع 15 : 5). وكانـوا يـرون فـي الإنجيـل « الحكمة » بالنسبة للكتاب، كتاب موسى؛ فيتعلمون ويعلمون « الكتاب والحكمة » ، أي التوراة والإنجيل.

وجاء القرآن على عقيدتهم وعلى اصطلاحهم. فالإنجيل فيه هو « الحكمة » بالنسبة للكتاب : « ولما جاء عيسى ابن مريم بالبينات قال : **قد جئتكم بالحكمة**[1] » (الزخرف 63). والمسيح فإن الله « يعلمه الكتاب والحكمة، والتوراة والإنجيل » (آل عمران 48)، « وإذ علمتك الكتاب والحكمة، والتوراة والإنجيل » (المائدة 113). كذلك أنزل الله على « آل إبراهيم الكتاب والحكمة » (النساء 53؛ قابل آل عمران 81). « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة » (النساء 112)، « وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة » (البقرة 231). فهو « يعلمهم الكتاب والحكمة » (2 : 129؛ 3 : 164؛ 62 : 2).

ويحصر القرآن رسالة المسيح في نطاق التوراة، « كما أوحينا إلى نوح والنبيّين من بعده » حيث يحشر عيسى في زمرة أنبياء الكتاب، وقد جاء بعدهم جميعاً (النساء 162). فالكتاب نزل على موسى، والمسيح يدعو بدعوته، وما امتاز على سواه إلا بالبينات وتأييد روح القدس : « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل، وآتينا ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » (البقرة 87 كذلك 252). فهو يدخل كغيره في ميثاق النبيين : « وإذ أخذ الله من النبيين ميثاقهم غليظاً، ليسأل الصادقين عن صدقهم » (الأحزاب 7 - 8). وقد أوصاه الله كغيره مثل نوح وإبراهيم وموسى « أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (الشورى 13).

---

(1) تعبير « الحكمة » اصطلاح بالنسبة للمسيح (الزخرف 63)، أما بالنسبة لداود (38 : 20) ولقمان (31 : 12) ولغيره على العموم (2 : 269 و251؛ 54 : 5؛ 16 : 125) فهو تعبير لغوي.

فالإنجيل إنما هو تصديق للتوراة : « وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم، مصدقاً لما بين يديه من التوراة؛ وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور، ومصدقاً لما بين يديه من التوراة » (المائدة 46).

إنه تصديق للتوراة وتفصيل : فقد جاء المسيح « رسولاً إلى بني إسرائيل ... ومصدقاً لما بين يديَّ من التوراة، ولأحلّ لكم بعض الذي حُرّم عليكم » (آل عمران 50)؛ « ولما جاء عيسى بالبينات قال : قد جئتكم بالحكمة، ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه، فاتقوا الله وأَطيعونِ » (الزخرف 63).

فالكتاب الذي نزل على موسى باسم توراة، هو نفسه نزل على عيسى باسم إنجيل : « ولقد آتينا موسى الكتاب » (2 : 87؛ 11 : 111؛ 23 : 50؛ 26 : 35؛ 28 : 43)؛ والمسيح منذ مولده نطق و « قال : إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً » (مريم 29).

والقرآن، مثل النصارى من بني إسرائيل الذين يقيمون التوراة والإنجيل، يتحدى أَهل الكتاب، من يهود ومسيحيين : « قل : يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليكم من ربكم » (المائدة 71)؛ « ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليهم من ربهم، لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم! » (المائدة 69).

فحصر القرآن لرسالة المسيح في نطاق التوراة ظاهرة خاصة « لنصرانيته » .

*

الظاهرة السادسة : حصر دعوة المسيح بالتوحيد التوراتي

لقد رأَينا، في الفصل الأول، أن النصارى من بني إسرائيل، افترقوا شيعةً عن المسيحيين أهل السُنّة، لتشيّعهم للتوراة على حساب الإنجيل، في العقيدة والشريعة. ففي الشريعة كانوا ينادون بإِقامة التوراة والإنجيل (سفر الأعمال 15 : 1 و5)؛ وفي العقيدة فهموا التثليث الإنجيلي على ضوء

التوحيد التوراتي، وكانوا يقولون : « ملاك كلمة الله » ، و « ملاك الروح القدس » فجعلوا روح القدس جبريل، وكلمة الله الملاك ميكال، فكلاهما روح من الله كالملائكة المقربين. وتمسكوا بقول المسيح : « إني ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلى إلهي وإلهكم » (يوحنا 20 : 17) لحصر دعوة المسيح بالتوحيد التوراتي.

هكذا فهم القرآن دعوة المسيح في الإنجيل.

يعلن ذلك في مكة : « ولما جاء عيسى بالبينات قال ... إن الله ربي وربكم فاعبدوه، هذا صراط مستقيم » (الزخرف 63 - 64). ويعلنه في المدينة : « ورسولاً إلى بني إسرائيل ... إن الله ربي وربكم فاعبدوه، هذا صراط مستقيم » (آل عمران 49 - 51).

والمسيح في نظره « كلمته أَلقاها إلى مريم وروح منه : فآمنوا بالله ورسله، ولا تقولوا : ثلاثة. انتهوا خيراً لكم! إنما الله إله واحد، سبحانه أن يكون له ولد ... لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقربون » (النساء 170 - 171). فالمسيح، وإن كان روحاً منه تعالى، فهو مخلوق كالملائكة المقربين.

وروح القدس هو جبريل : « قل : نزّله روح القدس من ربك بالحق » (النحل 102) أي « قل : مَن كان عدوّاً لجبريل، فإنه نزَّله على قلبك بإذن الله » (البقرة 97).

وفي الشريعة، يدعو القرآن إلى إقامة التوراة والإنجيل (المائدة 71) مثل النصارى من بني إسرائيل، في « أمة وسط » بين اليهودية والمسيحية.

وفي الدين يشرع القرآن للعرب دين موسى وعيسى ديناً واحداً : « أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه » (الشورى 13).

فالقرآن، مثل النصارى من بني إسرائيل، يحصر دعوة المسيح بالتوحيد التوراتي.

فحصر القرآن لدعوة المسيح بالتوحيد التوراتي. ظاهرة سادسة « لنصرانيته » .

*

الظاهرة السابعة : اقتصار رسالة المسيح على الشهادة، لا على الفداء

في الرسالة إلى العبرانيين أي إلى بني إسرائيل الفلسطينيين ـ لا في المهاجر ـ نرى صورة عن عقيدتهم في رسالة المسيح، في معرض الردّ عليهم والتحذير لهم من الردة والبدعة. فهم لا يرون في استشهاد المسيح كهنوتاً وفداءً، لذلك أخذ كهنتهم المتنصّرون يحنون إلى الهيكل الموسوي وذبائحه التي بها كانوا يتعبدون، ومنها يعيشون. فتعرض عليهم الرسالة أن المسيح هو كاهن العهد الجديد، الحبر الأعظم الذي قام على طريقة ملكي صادق في أيام إبراهيم الخليل، وأن استشهاده كان ذبيحة العهد الجديد، بدأت على الأرض وتتم في السماء : « ورأس الكلام في هذا الموضوع أن لنا حبراً بمنزلته، قد جلس على يمين عرش الجلال في السماوات، خادماً للأقداس والمقام الحقيقي الذي نصبه الله لا الإنسان (8 : 1 ـ 2) ... فإذ قد جاء المسيح حبراً للخيرات الآتية، دخل المقام الأعظم والأكمل ... وبدمه الخاص، لا بدم تيوس وعجول، دخل الأقداس مرة واحدة بعد أن أحرز فداءً أبدياً. فإنه، إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة يُرش على المنجسين فيقدسهم لتطهير الجسد، فكم بالأحرى دم المسيح، الذي بروح أزلي قرّب لله نفسه بلا عيب، يطهّر ضميرنا من الأعمال الميتة، لنعبد الله الحي » (9 : 11 ـ 14).

وهذا التعليم تفصيل كلمة السيد المسيح : « ابن البشر (أي المسيح) لم يأت ليُخدم بل ليَخدم ويبذل نفسه فداءً عن العالمين » (متى 20 : 28). وفي قربانه تجديد وتخليد فدائه : « هذا هو دمي، دم العهد الجديد، المهراق عنكم وعن العالمين، لغفران الخطايا » (متى 26 : 28). وتستنتج الرسالة : « فلنتمسك إذن بالشهادة، للرجاء، على غير انحراف ... لأنّا إن خطئنا عن قصد، بعد إذ نلنا معرفة الحق، فليس بعد ذبيحة عن الخطايا، بل هناك ما ينتظر من هول الدينونة، وغضب نار تلتهم المرتدين : فلئن كان من يتعدى شريعة موسى يقتل بلا رأفة، على شهادة اثنين أو ثلاثة؛ فكم، ترون، يستوجب عقاباً أشد **من**

يـدوس ابـن الله، ويحتقـر دم العهـد الـذي تقـدس بـه » (10 : 23 - 30). فـردة النصـارى العبرانيين وبدعتهم هي في الكفر بإِلهية المسيح، والكفر بمعنى الفداء في استشهاد المسيح.

وهذا ما نراه أيضاً في رسالة بطرس الثانية : إن ردّة النصارى من بني إسرائيل تقوم على إنكار « الرب المخلص » (1 : 11؛ 2 : 20؛ 3 : 3 و18)، وذلك « بإِنكارهم الرب الذي افتداهم ... فتركوا الصراط المستقيم » (2 : 1 و15) فالنصارى من بني إسرائيل كانوا يرون في رسالة المسيح شهادة، لا فداء.

وهذا هو التعليم القرآني عينه، كما انتهى إليه النصارى من بني إسرائيل. كانت رسالة المسيح شهادة، لا فداء : « إِن هو إِلا عبد أنعمنا عليه، وجعلناه **مثلاً لبنـي إسرائيل** » (الزخرف 59)، لا فداءً للعالمين.

قد تكون آخرة المسيح استشهاداً لشهادته، ضحية مؤامرة عليه من اليهود، **لكن ليس لها معنى الفداء.** لقد مكروا به، فأنقذه الله من مكرهم بالرفع مباشرة إلى السماء، أو بالموت والبعث والرفع حياً إلى السماء : « ومكروا ومكر الله بهم، والله خير الماكرين. إذ قال الله : يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ، ومطهرك من الذين كفروا (اليهود)، وجاعل الذين اتبعوك (النصارى) فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » (آل عمران 54 - 55).

فرسالة المسيح، في عرف « النصارى » والقرآن، شهادة واستشهاد، لا ضحية ولا فداء. فدم المسيح زكى شهادة المسيح، ولا يزكي الإنسان بالغفران من الآثام.

فاقتصار القرآن لرسالة المسيح على الشهادة، لا على الفداء أيضاً، ظاهرة سابعة « لنصرانيته » .

*

الظاهرة الثامنة : انتساب القرآن إلى الكتاب وأهله

إن القرآن ينتسب انتساباً مطلقاً إلى الكتاب وأهله. **فالكتاب إمامه :** « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة » (هود 17)؛ « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة، وهذا كتاب مصدّق لساناً عربياً » (الأحقاف 12)، فليس فيه ما يميزه عن الكتاب الإمام سوى اللسان العربي : فهو ينقل الكتاب إلى العرب.

إن القرآن في الصحف الأولى : « وإن هذا لفي الصحف الأولى » (الأعلى 18)؛ وبالقرآن « أولم تأتهم بيّنة ما في الصحف الأولى » (طه 133). إنه تنزيل رب العالمين، لكن من زبر الأولين، كما يشهد بذلك علماء بني إسرائيل : « وإنه لتنزيل رب العالمين ... وإنه لفي زبر الأولين : أولم تكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل » (الشعراء 193 - 197).

وما القرآن سوى تصديق ما قبله **وتفصيل الكتاب :** « وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله، ولكن تصديق الذي بين يديه، وتفصيل الكتاب، لا ريب فيه، من رب العالمين » (يونس 37). إن القرآن من الله، لأنه من الكتاب، كتاب الله، الذي نزل قبله.

والبرهان على ذلك، أن أهل الكتاب، النصارى من بني إسرائيل، « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » أي معرفة مصدرية (الأنعام 20؛ البقرة 146)؛ « بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » (العنكبوت 49) أي « أولو العلم قائماً بالقسط » (آل عمران 17) وهم « النصارى » : « أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل » (الشعراء 197) المؤمنين المقسطين، لا اليهود « أول كافر به » . وشهادتهم لإسلام القرآن من شهادة الله وملائكته (آل عمران 18)، وهي تكفيه مع شهادة الله : « قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم، ومن عنده علم الكتاب » (الرعد 45).

وهكذا فالقرآن ينتسب إلى الكتاب وأهله، لا على العموم، بل على **التخصيص إلى النصارى من بني إسرائيل :** في الإسلام بحرفه ومعناه، الذي يشهد

به القرآن بشهادة النصارى أُولي العلم قائماً بالقسط « إن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران 18 - 19)؛ في القرآن نفسه الذي « هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » (العنكبوت 49)؛ في الاستشهاد لصحة تنزيل القرآن من زبر الأولين : « أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل » (الشعراء 197)؛ في وجوب الاقتداء بهدى « الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ... أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » (الأنعام 90)، وأهل « الكتاب والحكمة » أي التوراة والإنجيل معاً هم وحدهم النصارى من بني إسرائيل، والقرآن « يعلمهم الكتاب والحكمة » (3 : 119؛ 3 : 164؛ 62 : 2) بتعريب « المثل » النصراني للقرآن : « وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » (الأحقاف 10).

فالقرآن ينتسب انتساباً مطلقاً إلى الكتاب وأهله القائمين بالقسط أي النصارى من بني إسرائيل، ومن « تنصّر » معهم من العرب، مثل ورقة بن نوفل، قس مكة.

فانتساب القرآن إلى الكتاب وأهله، عن طريق « النصارى » أولي العلم المقسطين، وعلى مثال « المثل » النصراني الذي معهم، ظاهرة ثامنة « لنصرانيته » .

*

الظاهرة التاسعة : انتساب النبي العربي إلى « المسلمين » من قبله

إنّ الإسلام الذي يدعو إليه القرآن ونبيّه ليس منهما، إنما وُجد قبلهما، **عند « المسلمين » من قبلهما.** والقول الفصل في إسلام محمد هو : « **وأُمرت أن أكون من المسلمين،** وأن أتلو القرآن » (النمل 90 - 91)، فالمسلمون موجودون من قبله، وهو يُؤمر بأن ينضم إليهم ويتلون معهم « القرآن » أي قرآن الكتاب، في « المثل » النصراني الذي معهم.

وفصل الخطاب في إسلام القرآن بحسب إسلام « المسلمين » من قبله هو التصريح الجوهري والمحوري فيه : « شهد الله أن لا إله إلا هو، والملائكة،

وأولو العلم قائماً بالقسط ... **إن الدين عند الله الإسلام** » (آل عمران 18 - 19). فالنصارى أهل العلم المقسطون هم الذين يشهدون للإسلام، والقرآن يشهد بشهادتهم.

وقد نقل هو نفسه التصريح بإسلامهم من قبله : « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون؛ وإذا يُتلى عليهم قالوا : آمنا به، إنه الحق من ربنا : **إنّا كنّا من قبله مسلمين** » (القصص 52 - 53). فالمسلمون من قبل القرآن، المؤمنون أيضاً بالقرآن لأنه دعوتهم، ليسوا اليهود « أول كافر به » ، ولا المسيحيون الذين يغلون في دينهم، إنما هم وحدهم النصارى من بني إسرائيل ومن « تنصّر » معهم من العرب. هؤلاء هم الذين أُمر محمد بأن ينضم إليهم ويتلو معهم قرآن الكتاب، على حسب « المثل » النصراني الذي به يشهدون (الأحقاف 10).

وبهذا الانتماء إلى « المسلمين » من قبله يفخر نبي القرآن : « ومَن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله، وعمل صالحاً، وقال : إنني من المسلمين » (فصلت 33). فليست الحسنة عند الله في اليهودية (الأعراف 155)، وليست الجنة وقفاً على اليهود كما يدعون في أمانيّهم الباطلة : « وقالوا : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً - (أو نصارى) - تلك أمانيّهم! قل : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين! بلى، من أسلم وجهه لله **وهو محسن**، فله أجره عند ربه، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (البقرة 111 - 112). إن تعبير « أو نصارى » ظاهر الإقحام : إن عنى المسيحيين فليس الخطاب معهم؛ وإن عنى « النصارى » فيتعارض مع الآية التالية (112)؛ ولا يُعقل أن يقبل الفريقان بالجنة لبعضهما البعض. فهو يرد على اليهودية بأن الجنة « لمن أسلم وجهه لله وهو محسن » . وهذه الصفة « وهو محسن » متواترة في القرآن كناية عن « النصارى » بعكس اليهود « الظالمين » .

لذلك يمنع الجدال مع النصارى المحسنين إلا بالحسنى، بخلاف اليهود الظالمين الذين يصح جدالهم بالسيف. والحسنى هي « قولوا : آمنا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل

إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون » (العنكبوت 46). فانتساب النبي العربي إلى « النصارى » المحسنين، المسلمين من قبله، يقوم على وحدة الإله, ووحدة التنزيل، ووحدة الإسلام.

وانتساب النبي العربي إلى « المسلمين » من قبله، حتى صار « أول المسلمين » أي رئيس « النصارى » ، ظاهرة تاسعة « لنصرانيته » .

*

الظاهرة العاشرة : انتساب الإسلام القرآني إلى أولي العلم المقسطين

مصطلح القرآن يكشف لنا عن أسراره. أما تفسير تعابيره تفسيراً لغوياً كما يفعلون، فهو طمس مقصود لحقيقة القرآن والإسلام والنبي العربي.

رأينا معنى « المسلمين » من قبله. هنا نرى معنى « أولي العلم » الذين ينادون بالإسلام في القرآن. إن تعابير أهل الكتاب وأهل الذكر وأولي العلم مترادفة فيه. لا نملّ من تكرار ذلك. وهو يحصر خطابه ـ ما عدا العهد الأخير بالمدينة ـ ببني إسرائيل، فيقص عليهم أكثر الذي هم فيه يختلفون (النمل 76)، ويقسمهم إلى يهود ظالمين لكفرهم بالمسيح ثم بمحمد، وإلى نصارى من بني إسرائيل، المحسنين، المقسطين، المسلمين، لإيمانهم بالمسيح ثم بمحمد : « إنا كنّا من قبله مسلمين : أولئك يُؤتون أجرهم مرتين » (القصص 52 - 53).

قلنا إن فصل الخطاب في القرآن هو **تصريحه الضخم** بأن « أولي العلم قائماً بالقسط، هم الذين يشهدون مع الله وملائكته « أن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران 18 - 19). فالنصارى من بني إسرائيل، ومَن « تنصّر » معهم من العرب هم أولو العلم المقسطون الذين يشهدون للإسلام، وشهادتهم من شهادة الله وملائكته، والقرآن يشهد للإسلام على شهادتهم: **فدعوته هي دعوتهم عينها.** فالإسلام القرآني ينتسب انتساباً مطلقاً إلى الإسلام « النصراني »؛ **بل هو الإسلام « النصراني » عينه**، بنص القرآن القاطع في (آل عمران 18).

ويأتي **التصريح الثاني الضخم** في دعوة المسلمين أن يكونوا أنصار الله كما كان حواريو المسيح أنصار الله؛ وفي هذه الدعوة انتساب ونسب بيّنان؛ ويزول كل إشكال في حقيقة الدعوة القرآنية، بقوله : « **فآمنت طائفة من بني إسرائيل** (بالمسيح) وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم (اليهود) فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14). **إن القرآن يتبنى الإسلام « النصراني »** ويناصره بالجهاد حتى الظهور المبين.

لذلك عندما يكرر **شعار النصر في الجهاد** ضد اليهود (الصف 9) وضد المشركين بمكة (الفتح 28) وضد العرب المسيحيين في مشارف الشام (التوبة 34) في قوله : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون » ، يكون « **دين الحق** » الذي ينصره « النصرانية » ، الإسلام « النصراني » ، الذي به « آمنت طائفة من بني إسرائيل » (الصف 14) هي « من قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الأعراف 158).

إن أولي العلم المقسطين، النصارى من بني إسرائيل، ومن « تنصّر » معهم من العرب، هم مع جماعة محمد الذين آمنوا من العرب « **أمة واحدة** » : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العمل درجات » (المجادلة 11)، هي « الأمة الوسط » بين اليهودية والمسيحية (البقرة 143).

فانتساب الإسلام القرآني إلى الإسلام « النصراني » الذي يشهد به « أولو العلم قائماً بالقسط » (آل عمران 18) ظاهرة عاشرة « لنصرانيته » .

*

تلك الظواهر البارزة العشر، في الدعوة القرآنية، **إذا ما أخذناها مجتمعةً**، كانت البرهان الساطع، بنص القرآن القاطع، على « **نصرانية** » **القرآن ونبيّه وإسلامه.**

لقد ولدت « النصرانية » ـ بعد الله تعالى ـ الإسلام القرآني، وذابت فيه.

* * *

بحث ثالث

« نصرانية » القرآن في أساليبه

إذا ما تجاوزنا ظواهر القرآن البارزة إلى بواطنه الكامنة، رأينا أيضاً أن « نصرانية » القرآن قائمة في أساليبه : أسلوب الكلام في أركان الإسلام؛ أسلوب التعبير في لغته، وما جاء فيه بغير لغة العرب؛ مصطلح القرآن يدل على نسبه؛ أسلوب النبوة بالرؤيا والإسراء؛ أسلوب « التنزيل » في الدعوة؛ أسلوب « العلم » في « تفصيل الكتاب » ؛ أسلوب الجدال؛ أسلوب الدعوة، والبرهان في الإيمان؛ أسلوب القصص في النبوة وفي مولد المسيح؛ أسلوب النظم. تلك عشرة أساليب في القرآن، دلائل حسان على « نصرانيته » في أساليبه.

*

أولاً : أسلوب الكلام في أركان الإسلام

أركان الإسلام خمسة : الشهادة والصلاة والصوم والزكاة والحج. وفي هذه الأركان تبدو « نصرانية » القرآن جلية.

1ـ الشهادة « لا إِله إِلا الله » ترد في هذه الصيغة السلبية مراراً في الأنبياء، خصوصاً أشعيا. وقد رأينا أنها بصيغتها الإيجابية « قلْ : هو الله أحد » (سورة الإخلاص) تأتي بحرف الإنجيل والتوراة.

وتعبير « الشهادة » متواتر في البيئة العبرانية النصرانية، كما نرى من الرسالة إلى العبرانيين : « وإذ لنا الحبر الأعظم الذي اجتاز السماوات، يسوع ابن الله، فلنثبت على الشهادة » (4 : 14)؛ الشهادة « لما نطق به الرب (المسيح) أولاً، ثم ثبّته لنا الذين سمعوه، والله يؤيد شهادتهم بالآيات والخوارق وشتى المعجزات، وبتوزيع مواهب الروح القدس على حسب مشيئته » (2 : 3 - 4)؛ « فلنتمسك

بالشهادة، عربون الرجاء، على غير انحراف، لأن الذي وعد أمين » (10 : 23)؛ وهذه الشهادة « ذبيحة الحمد نقربها لله كل حين به، ثمرة شفاه تشهد لاسمه » (13 : 15). فصيغة الإيمان بالمسيح كانت تسمى في البيئة « النصرانية » منذ البدء : « الشهادة » . وهذه الشهادة كانت لله والمسيح، « **رسول الله**، الحبر الأعظم الذي نشهد له » (3 : 1).

والقرآن يشهد لله، وللمسيح رسول الله، كما قال الحواريون : « ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول، فاكتبنا مع الشاهدين » (آل عمران 53). ويعلن الشهادة له بقوله : « إنما المسيح عيسى ابن مريم، **رسول الله، وكلمته** ألقاها إلى مريم **وروح منه** » (النساء 170). إنها الشهادة « النصرانية » للمسيح، في القرآن.

2- والصلاة، يدل على حرف كتبتها - « **صلوة** » - على مصدرها « النصراني » : « صْلوتا » . وقبلتها الأولى[1] إلى بيت المقدس، بخلاف اليهود إلى المغرب، والمسيحيين إلى المشرق[2] برهان ذلك. وعند تحويل القبلة إلى المسجد الحرام بمكة استخدم التعبير الإنجيلي « البرّ » (متى 6 : 1) الذي ركّز عليه المسيح لتطوير شريعة موسى : « ليس البرّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » (البقرة 177).

وعدد الصلوات الخمس في الإسلام برهان ذلك أيضاً. كان اليهود يصلون مرتين في النهار، بكرةً وعشياً؛ وزاد أتقياؤهم كرهبان قمران « الصلاة الوسطى » . وكان المسيحيون الأوائل يصلون الصلاة الربية « أبانا » ثلاث مرات في النهار كفاتحة لهم ولصلاتهم؛ ولما دخلت الرهبانية صار عدد الصلوات عندهم سبع مرات في اليوم، مع قيام الليل، نافلةً لهم. أما النصارى فسلكوا أمة وسطاً يجعل الصلوات خمساً. لذلك فسرت السنة قوله « حافظوا على الصلوات، والصلاة الوسطى » (البقرة 238) بأنها خمس.

---

(1) قابل السيوطي : أسباب النزول (البقرة 116).
(2) قابل السيوطي : أسباب النزول (البقرة 177).

وقيام الليل عادة « نصرانية » ومسيحية، لا يهوديّة[1] ولا عربية. وهي ميزة « النصارى » في القرآن : « ليسوا سواءً : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » (آل عمران 113)؛ إنهم « عباد الرحمان الذين يبيتون لربّهم سجداً وقياماً » (الفرقان 63 - 65). وكان محمد معهم وعلى مثالهم يقوم « الليل إلا قليلاً » (المزمل 2)؛ ولما ثقل ذلك على جماعته صار قيام الليل « نافلة لك » (الإسراء 79).

فكل مظاهر الصلاة في القرآن دلائل على « نصرانيتها » .

3- وكذلك **الزكاة**، فحرف كتبتها - « زكوة » - يدل على مصدرها « النصراني » : « زكوتا » . وكانت تسمّى عند النصارى والمسيحيين « البركة » من الأملاك والأموال، وكان مقدارها عشر مدخول المؤمنين الصافي. وعليه قاس الفقهاء مقدار الزكاة في الإسلام. وهي غير الصدقة الحرة.

4- **والصوم** يدل تشريعه القرآني على مصدره « النصراني » : « يا أيها الذين آمنوا، كتب عليكم الصيام، كما كتب على الذين من قبلكم، لعلكم تتقون ... شهر رمضان، الذي أُنزل فيه القرآن هدى للناس، وبينات من الهدى والفرقان » (البقرة 183 و185). ونعرف من السيرة أن محمداً، ومن قبله جده عبد المطلب، كانا يصومان رمضان مع ورقة بن نوفل، قس مكة « النصراني » . وكان النصارى والمسيحيون يصومون من الفجر إلى المغرب، قبل أن يحوله المسيحيون من نصف الليل إلى نصف النهار.

فالقرآن والسيرة وواقع الحال تدل كلها على أن صوم رمضان عادة « نصرانية » .

---

(1) إن التلمود في فصل « أبوت » أي الآباء (ك 3 ع 5) ينتقد الذي يقضي ليله في الصلاة وحياته في البتولية. ومن الظاهر أنه انتقاد فريسي من واضعي التلمود لعادة رهبان قمران الذين انقرضوا بعد الحرب السبعينية، أو ذابوا في « النصرانية » .

5ـ **والحج** عادة قائمة في كل الأديان والحج. إلى الكعبة قبل الإسلام لم يكن عادة وثنية كما يتوهمون. فعند تجديد بنائها قبل البعثة بخمس سنوات، اشترك محمد في نقل الحجر الأسود، ورسموا على جدرانها من داخل صور المسيح وأمه والملائكة والأنبياء، ما بين الطير والشجر : وهذه عادة مسيحية. ومحمد مثل جده عبد المطلب، على مثال ورقة بن نوفل، قس مكة، كان يطوف بالكعبة بعد صوم رمضان بغار حراء. وهذه كلها دلائل على أن الكعبة، قبل الإسلام، كانت مقاماً للتوحيد الكتابي الإنجيلي؛ والحج إليها كان من عوائد أهل الإنجيل. فتشريع الحج إلى كعبة مكة، على آثار الحج العربي، كان عملاً قرآنياً « نصرانياً » تغلّب على الصفة المسيحية فيها.

فأسلوب الكلام في أركان الإسلام دليل على « نصرانية » الدعوة القرآنية.

*

ثانياً : أسلوب التعبير في لغته ومفرداته

جمع السيوطي في (الإتقان 1 : 138 - 141) ما ورد في القرآن بغير لغة العرب ـ وإن كان بعضه قد تعرّب من قبله ـ وأكثره من اللغة السريانية أو النبطية التي كان ينطق بها النصارى من بني إسرائيل، مع اللغة العربية التي تبنوها في هجرتهم إلى الحجاز ومكة.

منها : « قوله (أخلد) ركن؛ « إذ قال لأبيه : آزر » أعوج، مخطئ. (أسباط) بلغتهم كالقبائل بلغة العرب. (أسفار) هي الكتب بالسريانية. (إصري) عهدي بالنبطية. (أكواب) الأكواز بالنبطية، وإنها جرار ليس لها عرى. (ال) اسم الله تعالى بالنبطية (وكل اللغات السامية). (الأواه) الدعاء بالعبرية. (بكل بعير) كل ما يحمل عليه بالعبرانية. (فناداها من تحتها) أي بطنها بالنبطية. (جهنم) فارسية (كهنام) بطريق العبرية. (وقولوا : حطّة) أي صواباً بالعبرية. (حواريون) غسالون بالنبطية (والحوار البياض

بالسريانية). (درست) أي قارأت، بلغة اليهود. (راعنا) سبٌّ بلغة اليهود. (راعنا: أرعن). (ربانيون) سريانية. (ربيون) سريانية. (**الرحمان**) ذهب المبرد وثعلب إلى أنه عبراني، وأصله بالخاء المعجمة ـ وفي اليمن نصوص فيها « الرحمان ومسيحه » ـ (رمزاً) تحريك الشفتين بالعبرية. (واترك البحر رهواً) ساكناً بالسريانية. (قد جعل ربك تحتك سرياً) أي نهراً بالسريانية. (سفرة) بالنبطية القراء. (وادخلوا الباب سجداً) أي مقنعي الرؤوس بالسريانية. (طور سينين) الحسن بلسان الحبشة، (سيناء) الحسن بالنبطية. (شهر) بالنبطية. (اهدنا الصراط المستقيم) إنه الطريق بلغة الروم. (صلوات) بالعبرانية ـ والسريانية إلى اليوم ـ كنائس وأصله « صلوتا » . (طور) الجبل بالسريانية. (جنات عدن) جنات كروم وأعناب بالسريانية. (فردوس) بستان بالرومية، عن النبطية والسريانية « فرداسا » . (فوم) الحنطة بالعبرية. (القسط) العدل بالرومية. (القسطاس) العدل بالرومية، أو الميزان. (قطنا) كتابنا بالنبطية. (القمّل) الذباب بلسان العبرية والسريانية. (قنطار) عن الرومية بطريق السريانية. (**الحي القيوم**) هو الذي لا ينام بالسريانية. (كتاب مرقوم) بلسان العبرية. (ملكوت) الملك بلسان النبط والسريان. (مناص) فرار بالنبطية. (يمشون على الأرض هوناً) حكماء بالسريانية. (هيت لك) عن العبرانية « هيتلج » بطريق النبطية والحورانية والسريانية. (وراء) معناها أمام بالنبطية. (يسين) يا رجل بالحبشية ـ (مثل : طه) ـ (اليمّ) البحر بالسريانية » .

نلاحظ أن المفردات العبرية والنبطية دخلت السريانية وريثتهما في اللغة : فأصلها المباشر سرياني. وهذا التعبير في الأسلوب اللغوي دليل على البيئة « النصرانية » الناطقة بالسريانية التي عاش فيها محمد.

واستخدام **تعابير الإسلام،** مثل « الرحمان الرحيم » ، « الحي القيوم » ، « الصراط المستقيم » برهان على أن إسلام القرآن هو بلفظه ومعناه « نصراني » ،

كما أخذه عن أساتذته كورقة بن نوفل الذي كان يعرب الإنجيل من السريانية، بحرفه العبراني.

وهناك بعض التعابير بقيت على **حرفها السرياني دون تعريب.** منها قوله : « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون لكم سكراً ورزقاً حسناً، إن في ذلك لآية لقوم يعقلون » (النحل 67). قال الجلالان : « سكراً أي خمراً يسكر » . وهو الحرف العبراني السرياني نفسه : « شكر » ، نقله بحرفه، ولم يعرّبه. ومنها قوله أيضاً : « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة » (الأنعام 90). فسره الجلالان : « الحكم أي الحكمة » ؛ فقد نقله بحرفه السرياني كما كان ينطبق به النصارى من بني إسرائيل في تعداد أنواع أسفار الكتاب المقدس : فهؤلاء هم الذين أُمر محمد : « فبهداهم اقتده » (الأنعام 90).

فأسلوب التعبير القرآني، في لغته ومفرداته، دليل على « نصرانية » الدعوة القرآنية.

*

ثالثاً : مصطلح القرآن يدل على نسبه

1- إن الذين على محمد أن يقتدي في القرآن العربي بهداهم هم « أولئك الذين آتيناهم **الكتاب والحكم والنبوة ...** أولئك الذين هدى الله، فبهداهم اقتده » (الأنعام 89 - 90). إنهم أهل « الكتاب والحكمة » أي التوراة والإنجيل، ولا يجمع التوراة والإنجيل ديناً واحداً إلا النصارى من بني إسرائيل، لا اليهود، ولا المسيحيون. فعلى محمد أن يقتدي إذن بهدى النصارى من بني إسرائيل في الدعوة القرآنية.

2- تعبير « **الكتاب والحكمة** » يعني التوراة والإنجيل، كما في قوله عن عيسى « ويعلمه الكتاب والحكمة - والتوراة والإنجيل » (آل عمران 48؛ قابل المائدة 113). ففي نظر « النصارى » والقرآن، الإنجيل هو « الحكمة »

بالنسبة للتوراة التي هي الكتاب : « ولما جاء عيسى بالبينات قال : قد جئتكم بالحكمة » (الزخرف 62). فعلى محمد أن يقتدي بهدى أهل « الكتاب والحكمة » لكي « **يعلمهم الكتاب والحكمة** » (2 : 129 و151؛ 3 : 164؛ 62 : 2). فهو بالقرآن العربي يعلّم العرب « الكتاب والحكمة » على طريقة « النصرانية » .

3- كان اليهود يقسمون كتاب الله إلى « **الكتاب والنبيين** » - بالعبرية : نبيّيم - ويقصدون بالكتاب التوراة أي أسفار موسى الخمسة؛ وبتعبير « النبيين » سائر أسفار الكتاب. فتعبير « النبيين » اصطلاح للأسفار، لا اسم جمع للأنبياء. وقد ورث النصارى من بني إسرائيل عنهم الاصطلاح نفسه. فلما « آمنت طائفة من بني إسرائيل » (الصف 14) بالإنجيل، حوّلوا الاصطلاح العبراني إلى « نصراني » وقالوا : « الكتاب والحكم والنبوة » . فأخذه القرآن عنهم بحرفه. وكانوا في صلاتهم يتلون قراءة من الكتاب، وأخرى من النبيين، والثالثة من الإنجيل، ويقولون بالسريانية : « قريانا » من التوراة، كما يقول إلى اليوم رجل الدين المسيحي قبل التلاوة، بحسب النص اليوناني : « **قرآن من الإنجيل بحسب متى** » - وهم يتحاشونه في العربية احتراماً لشعور الآخرين.

4- والقرآن يستخدم **مصطلحات التوحيد** بتعبيرها السرياني، كما نقلنا عن (الإتقان) للسيوطي : فالله هو « الرحمان الرحيم » ، هو « الحي القيوم » الذي يهدي إلى « الصراط المستقيم » الذي تاه عنه الفاسقون، كما في قوله : « لقد **تركوا الصراط المستقيم**، وضلوا مقتفين سبيل بلعام بن بعور » (رسالة بطرس الثانية 2 : 15). فتعابير التوحيد في اصطلاح القرآن تدل على « نصرانيته » .

5ـ كذلك أخذ عنهم اصطلاح « أهل الكتاب » و « أهل الذكر » و « أولي العلم » : مترادفات ثلاثة. وحجته الكبرى في دعوته استشهاده المتواتر « بمن عنده علم الكتاب » (الرعد 45). فهو ينتسب إليهم في تعبيره كما في تعليمه : « أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل » النصارى (الشعراء 197).

ويقسم أهل الكتاب إلى « **مقسطين** » وهم النصارى من بني إسرائيل، وإلى « **ظالمين** » وهم اليهود : فاليهود يصح الجدال معهم بالسيف، أما النصارى من بني إسرائيل فلا يصح جدالهم إلا بالحسنى، والحسنى هي الأمر بالقول إن الله واحد، والتنزيل واحد، والإسلام واحد (العنكبوت 46). فإسلام القرآن هو الإسلام « النصراني » .

6- وقد استخدم القرآن أيضاً تعابير « النصرانية » في **اصطلاح « المسلمين » و« المتقين » :** ليس « المسلمون » في الأصل جماعة محمد، بل « هو سماكم المسلمين من قبل، وفي هذا » القرآن (الحج 78)؛ إن « **المسلمين** » **على التخصيص** هم الذين « قالوا : إنا كنا من قبله مسلمين » (القصص 53)، وهم النصارى من بني إسرائيل، ومن « تنصّر » معهم من العرب، لا اليهود، كما يتضح من مجموع القرائن القرآنية. و « المتقون » هم الذين اهتدوا من الشرك إلى التوحيد الكتابي و « النصراني » ؛ لذلك يطلق القرآن على جماعته من العرب بتواتر اسم وصفة « المتقين » ؛ وما أطلق عليهم اسم « مسلمين » إلا على سبيل الهداية والتبعية. فالمسلمون موجودون قبل محمد والقرآن، ومحمد في هدايته وبعثته ينضم إليهم : « وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن » (النحل 90 - 91). ففي اصطلاح « الإسلام » و « المسلمين » كما في اصطلاح « المتقين » يظهر القرآن دعوة « نصرانية » .

7- إن دعوة القرآن كلها للإسلام هي **دعوة للإسلام « النصراني » عينه :** فالنصارى من بني إسرائيل هم « أولو العلم قائماً بالقسط » ، الذين يشهدون مع الله وملائكته « أن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران 18 - 19). والقرآن يشهد للإسلام بشهادتهم. فالإسلام « النصراني » هو الذي لا إسلام غيره : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين » (آل عمران 85). فالإسلام القرآني في اسمه واصطلاحه ومعناه هو الإسلام « النصراني » عينه : الإله واحد، والتنزيل واحد، والإسلام واحد (العنكبوت 46).

فأسلوب القرآن في اصطلاحه دليل على « نصرانية » الدعوة القرآنية.

*

رابعاً : أسلوب النبوة « بالرؤيا » و « الإسراء »

1ـ انتشر أسلوب الوحي بالرؤيا والإسراء عند بني إسرائيل قبل المسيح بقرنين، وما بعده بقرن. ونزل به الوحي الكتابي في سفر دانيال، والوحي الإنجيلي في سفر « الرؤيا » ليوحنا.

ويذكر بولس الرسول إسراءه إلى الفردوس في السماء الثالثة ـ وكانوا يقسمون الكون إلى ثلاث سموات فقط : سماء الأرض، وسماء النجوم، وسماء الله، الفردوس في « السماء الثالثة » ـ قال : « انتقل إلى رؤى الرب وإيحاءاته. إني أعرف رجلاً في المسيح (بولس نفسه) قد اختطف منذ أربع عشرة سنة، إلى السماء الثالثة ـ أفي الجسد؟ لست أعلم! أم بدون جسد؟ لست أعلم! الله يعلم ـ وأعرف أن هذا الرجل ـ أفي جسده، أم بدون جسده، لست أعلم، الله يعلم ـ قد اختطف إلى الفردوس، وسمع كلمات معجزة لا يحل لإنسان أن ينطق بها » (2 كورنثس 12 : 1 - 5).

2ـ واستخدم النصارى من بني إسرائيل في الدعوة « لنصرانيتهم » **أسلوب الرؤيا والإسراء معاً** في كتبهم التي نحلوها إلى الأنبياء الأولين، مثل (إسراء أشعيا) و (إسراء أخنوخ). ونجد الأسلوب نفسه في (إنجيل بطرس) المنحول، وفي (إنجيل نيقوديم) المنحول، إلى ما هنالك من كتب أخرى مثلها.

والظاهرة الخاصة فيها جميعاً ذكرهم « **السماوات السبع** » و « **الأرضون السبع** » . وهي تعابير مأخوذة عن الغنوص أي « العلم » المقتبس عن أسلوب الحكمة المشرقية. وفي هذا الأسلوب بالتعبير، يتميزون، عن أسلوب المسيحية كما نراه عند بولس الرسول.

3ـ **والواقع القرآني** يستخدم في النبوة أسلوب الإسراء والرؤيا.

لا ذكر في القرآن لإسراء إلا في آية واحدة يتيمة : « سبحان الذي أسرى

بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا، أنه هو السميع البصير » (17 : 1). وهذه الآية اليتيمة لا تمت إلى سورتها بصلة، ولا إلى ما قبلها، لا في النسق الحالي، ولا في ترتيب النزول. وكانت السورة قبل ذلك تسمى « بني إسرائيل » فصارت تسمى « أسرى » أو الإسراء. فلا تقوم النبوة في القرآن على أسلوب الإسراء. ‘نه حدث عارض، وأسلوب « نصراني » .

إن أسلوب النبوة في القرآن هو الرؤيا

ويرجع كله إلى رؤيا وحيدة كانت مبعث الوحي في غار حراء : « إنا أنزلناه في ليلة مباركة » (الدخان)، « إنا أنزلناه في ليلة القدر » (سورة القدر)، من « شهر رمضان **الذي أُنزل فيه القرآن** » (البقرة 185). ويصف هذه الرؤيا في سورة (النجم 1 ـ 18)، ويفسرها في (الشورى 51 - 53) فقد أرسل الله إليه في رؤيا « روحاً من أمرنا » أي روحاً مخلوقاً، ملاكاً، فهداه إلى الإيمان بالكتاب، وقراءته على العرب، كما في الأمر : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » (العلق 1 ـ 5)، « وقل : آمنت بما أنزل الله من كتاب، وأمرت لأعدل بينكم » (الشورى 15). فأخذ يقرأ قرآن الكتاب المقدس على العرب في القرآن العربي، على مثال « المِثْل » الذي عند النصارى من بني إسرائيل.

وجاء الحديث الصحيح عن عائشة، كما عند الشيخين، يصف هذه الرؤيا : « أول ما بدأ به رسول الله ص **الرؤيا الصالحة**. فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حبب إليه الخلاء ... حتى جاءه الحق وهو في غار حراء. **فجاءه الملاك فقال : إقرأ ...** فرجع بها رسول الله ص يرجف فؤاده. فدخل على خديجة وأخبرها الخبر » .

ونقل الطبري عن ابن الزبير قصة الرؤيا : « قال رسول الله ص : فجاءني **وأنا نائم** بنمط من ديباج، فيه كتاب. فقال : اقرأ! فقلت : ماذا أقرأ؟ فغتني حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال : اقرأ! ... (قال) فقرأته، ثم انتهى، ثم انصرف عني. **وهببت من نومي**، وكأنما كتب في قلبي كتاباً » .

فبحسب القرآن والحديث الصحيح **كان أسلوب الوحي القرآني « رؤيا »** في مبعثه؛ حتى الإسراء المذكور (17 : 1) كان هو أيضاً رؤيا : التي أريناك » (17 : 60). كذلك رؤيا النبي لنصر بدر : « إذ يريكهم الله **في منامك** قليلاً » (الأنفال 44)؛ ورؤياه لفتح مكة : « صدق الله رسوله الرؤيا بالحق : لتدخلن المسجد الحرام، إن شاء الله » (الفتح 27).

فالأسلوب القرآني في النبوة، هو الأسلوب « النصراني » في الدعوة بالرؤيا.

إن أسلوب النبوة بالرؤيا دليل على « نصرانية » الدعوة القرآنية.

*

خامساً : أسلوب التنزيل في الدعوة

1- رأينا أن تعابير « الوحي » و « التنزيل » من متشابهات القرآن[1] ، **فلا تقطع بمعنى محدود** يصح الاعتماد عليه لتحديد « الوحي » و « التنزيل » في القرآن. فالأرض في زلزالها تحدّث « بأن ربك أوحى لها » (99 : 5)، « وأوحى ربك إلى النحل » (16 : 68)، وزكريا « أوحى إليهم أن سبحوا » (19 : 10)، « وأن الشياطين ليوحون » (6 : 121). وهكذا فإن الله « أوحى في كل سماء أمرها » (41 : 12). فالوحي كفاعل يشمل الخالق والمخلوقين، وكمفعول يشمل أيضاً الطبيعة والغريزة والفطرة وكلام الله. كذلك التنزيل : فالله « أنزل من السماء ماء » (2 : 22؛ 13 : 19؛ 14 : 32؛ 16 : 65؛ 20 : 53؛ 22 : 63؛ 35 : 27؛ 39 : 21)، « وأنزل لكم من الأنعام » (39 : 6)، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد » (57 : 25)، « ما لم ينزل به سلطاناً » (3 : 151؛ 7 : 32؛ 22 : 71). وتارة « نزّل الملائكة تنزيلاً » (25 : 25)، وطوراً « ينزّل الملائكة بالروح » (16 : 2). حيناً أنزل القرآن جملة « أنزلناه في ليلة مباركة » (الدخان) « إنا أنزلناه في ليلة القدر » (القدر)؛ وحينا « لولا نزّل عليه القرآن

---

(1) كتابنا : مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي ص 392.

جملة » (25 : 32). ويجمع تنزيل الكتاب وتنزيل الحديد في آية واحدة، وعلى حرف واحد : « وأنزلنا معهم الكتاب. وأنزلنا الحديد » (57 : 25). وكما « أنزل الله سكينته، وأنزل جنوداً لم تروها » (9 : 27)، كذلك « أنزلنا عليكم لباساً » (7 : 25). فالمعنى يتطور من الحقيقة إلى المجاز، ومن الأشخاص إلى الأشياء، ويشمل الله والطبيعة والإنسان. فالتعبير متشابه لا يقطع بمعنى محدود.

2ـ وميزة التنزيل القرآني أنه بالواسطة، لا من الله مباشرةً، بل بواسطة « روح من أمرنا » (الشورى 52)، أو « حكيم خبير » (هود 1). فلا نرى في القرآن أن الله كلّم محمداً مباشرة على الإطلاق.

3ـ ميزة أخرى « وأنه لتنزيل رب العالمين » ، لكن « وأنه لفي زبر الأولين » (الشعراء 191 و197). هكذا « أنزلنا إليك الكتاب » (4 : 104؛ 5 : 51؛ 29 : 47؛ 39 : 2)، لكن الله « بعث النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب » (البقرة 213) : فليس إذن في القرآن من كتاب جديد.

4ـ وبينما يصرّح « وأنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم » (الزخرف 4)، « أنه لقرآن كريم، في كتاب مكنون، لا يمسه إلا المطهرون » (الواقعة 77 ـ 79)، « وفي صحف مكرمة، مرفوعة مطهّرة، بأيدي سفرة كرام مبررة » (عبسى 11 ـ 16)، فهو « قرآن مجيد، في لوح محفوظ » (البروج 22) ـ نراه يعلن : « كتاب أُحكمت آياته، ثم فصلت من لدن حكيم خبير » (هود 1)؛ وهذا التفصيل يعني التعريب : « والكتاب المبين إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » (الزخرف 2 ـ 3) : بالقرآن صار الكتاب المبين الذي يقسم به قرآناً عربياً وهو المقسوم عليه. فتنزيل الله في الكتاب الإمام، وتفصيله في القرآن العربي : « تنزيل من الرحمان الرحيم : كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون » (فصلت 2 ـ 3؛ قابل يوسف 2؛ الرعد 37؛ طه 113). والنتيجة المحتومة الحاسمة أن تعبير « التنزيل » للقرآن، يعني « تفصيل الكتاب » فيه :

« تصديق الذي بين يديه، وتفصيل الكتاب » (يونس 37). فتنزيل القرآن يعني تعريب التنزيل في الكتاب. فالكتاب الإمام، والكتاب المنير، هو اللوح المحفوظ، والكتاب المكنون، أي « أم الكتاب » الذي « بأيدي سفرة كرام مبررة » ، ومنهم « حكيم خبير » يفصل آياته قرآناً عربياً. ويقطع كل شبهة **تصريحه الضخم : « وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله »** (الأحقاف 10) : إن « مثل » القرآن عند النصارى من بني إسرائيل، والقرآن العربي إنما هو تفصيل لهذا « المثْل » . هذا هو منطوق ومنطق شهادته بحق نفسه.

5ـ ومترادفاته في صفاته تدل على ذاته : إن تنزيل القرآن هو **تيسيره للعرب :** « فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين » (مريم 87)، « فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون » (الدخان 58)؛ وتنزيله هو **تصريف الآيات** في القرآن للعرب : « ولقد صرفناه بينهم ليذكّروا » (الفرقان 50)، « وكذلك نصرّف الآيات » (الأنعام 105؛ الأعراف 57)؛ فالتصريف للبيان والنبيين، ولا يقطع بمعنى التنزيل : « انظر كيف نصرّف الآيات، ثم هم يصدفون » (الأنعام 46). وتنزيله هو **تبيين كتاب الله** للعرب : « يبيّن لكم الآيات » (2 : 219؛ 266؛ 24 : 18 و58 و61). **وهدف هذا البيان والتبيين صريح فيه :** « وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه » (النحل 64)، « يريد الله ليبيّن لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم » (النساء 25). فالقرآن بيان الكتاب وسنن أهل الكتاب للعرب : هذا هو معنى التنزيل فيه. وتقوم صحة الدعوة القرآنية على كون القرآن **تفصيل الكتاب :** « وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله، ولكن تصديق الذي بين يديه (قبله) وتفصيل الكتاب، لا ريب فيه، من رب العالمين » (يونس 37).

فالتنزيل معناه في القرآن « تفصيل الكتاب » ، وتيسير آياته بلسان عربي مبين، وبيان ما نزّل إليهم من قبل « ليهديكم سنن الذين من قبلكم » (النساء 27).

6ـ وصفات ذاته تدل أيضاً على ذاته : القرآن **تذكرة** بالكتاب : « كلا! إنها تذكرة، فمن شاء ذكره، في صحف موفوعة مطهرة، بأيدي سفرة، كرام بررة » (عبس 11 ـ 16). وهذه التذكرة **بيّنة ما في الصحف** من قبله : « أولم تأتهم بيّنة ما في الصحف الأولى » (ص 133). ويقطع بالمقصود من الصحف المرفوعة المطهرة، ردّه على اليهود المشركين الذين يطلبون البيّنة، « رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة، فيها كتب قيمة » ؛ فيجيب : « وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب (اليهود) إلا من بعد ما جاءتهم البيّنة » المطلوبة (البيّنة 1 ـ 4) : **فمحمد « يتلو صحفاً مطهرة، فيها كتب قيمة »** ، والقرآن العربي تذكرة منها، وبينة لها. لذلك إن كان « تنزيل رب العالمين » ، فهو « في زبر الأولين : أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل » النصارى (الشعراء 193 ـ 197)، وقد « شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » (الأحقاف 10).

فتنزيل القرآن يعني « تفصيل الكتاب » أي تعريب ذلك « المثْل » .

7ـ وهكذا يتضح أن **التنزيل، في لغته واصطلاحه، أسلوب للدعوة** لأجل « تفصيل الكتاب » للعرب؛ وهو **أسلوب « نصراني »** كما يعلم ويشهد علماء « النصرانية » (الأحقاف 10؛ الشعراء 197؛ العنكبوت 49).

والدعوة بأسلوب التنزيل من لوح محفوظ، أو كتاب مكنون، هي أسلوب متواتر عند النصارى من بني إسرائيل، في عهد الفترة كله، ما بين الإنجيل والقرآن. ففي جميع كتب « النصارى » المنحولة إلى الأنبياء الأولين لترويجها، مثل (إسراء أشعيا) و (إسراء أخنوخ) نجد أسلوباً واحداً : ينزل ملاك من السماء فيكلّم الرائي، ثم يُسري به إلى السماء، وهناك بأمر الله يريه ما في الأسفار السماوية من « كتاب الوحي » إلى « كتاب الحياة » ؛ ثم يعطيه قلماً ويملي عليه « من آيات ربه الكبرى » ، فيكون « أوحى إلى عبده ما أوحى » .

نجد أيضاً مثالاً لذلك في (سفر أخنوخ الأول ـ إدريس ـ 81 : 1 ـ 3؛ 103 : 1 ـ 3؛ 106 : 19). و (سفر أخنوخ الثاني) يقول : « دعا الرب

برابيل (جبرائيل؟) أحد الرؤساء الذي يتقن كتابة أعمال الله كلها. وقال الرب لبرابيل : **خذ الكتب المحفوظة، وأعطِ القلم لاخنوخ**، وأملِ عليه الكتب ... فأخذ يملي عليّ جميع أعمال السماء والأرض والبحر » . وهناك، مع أسلوب الإملاء، أسلوب آخر في التنزيل، وهو أن النبي الرائي ينقل بالقلم، عن لوح محفوظ، أو كتاب مكنون، آيات الله في خلقه؛ هذا الأسلوب الثاني نجده في كتاب (الراعي) لهرمس، وفي (رؤيا بطرس) المنحول وفي (رؤيا بولس) المنحول.

فالتنزيل بالإملاء أو النقل، عن لوح محفوظ، أو كتاب مكنون، بالقلم وما يسطرون، كان **أسلوب الدعوة « النصرانية » .** وهذا هو الأسلوب « النصراني » الذي نجده في الدعوة القرآنية.

فأسلوب « التنزيل » في الدعوة، لأجل « تفصيل الكتاب » ، دليل على « نصرانية » الدعوة القرآنية.

*

سادساً : أسلوب « العلم » في « تفصيل الكتاب »

لقد استخدم النصارى من بني إسرائيل **الغنوص** الهلنستية المشرقية ـ أي « **العلم** » ـ في تفصيل الإنجيل. « **فالعلم** » **عندهم أسلوب كلامي** في التعليم « النصراني » .

وكانت الغنوص الهلنستية واليهودية و « النصرانية » الخطر الأكبر على المسيحية في نشأتها، لما بينها من اتصال وانفصال. فكتب بولس الرسول رسائله الثلاث الصوفية إلى الفيلبيين وإلى الكولوسيين وإلى الافسسيين، للردّ على الغنوص، ببيان أن « الغنوص السامية » هي في المسيحية (كولوسي 1 : 9 و10؛ فيلبي 1 : 9؛ أفسس 1 : 9). وهو يحرض تلميذه تيموتاوس على الابتعاد عن « الغنوص الكاذبة التي انتحلها قوم، فزاغوا عن الإيمان » (1 تيموتاوس 6 : 20 - 21).

فأسلوب الغنوص - أي « العلم » - هو الأسلوب الفارق بين النصرانية والمسيحية. والخلاف في الأسلوب جرّ إلى الخلاف في العقيدة بالمسيح. ففي تفسير ظاهرة التثليث في الإنجيل وفي تفسير سرّ المسيح في عيسى ابن مريم، قال أهل الإنجيل كلهم بأن **المسيح هو « كلمة الله »** . لكن النصارى من بني إسرائيل فهموا التعبير على ضوء كلام فيلون، المتكلم الأكبر في عصر المسيح، حيث « كلمة الله » عنده أول الملائكة، أول خلق الله، « روح منه » تعالى، فهو مخلوق لا مولود. فجاء يوحنا الرسول في فاتحة الإنجيل بحسب يوحنا يؤكد أن « كلمة الله » من ذات الله، في ذات الله؛ « والكلمة صار بشراً وسكن في ما بيننا » (1 : 1 و14) وهو يسوع المسيح. إن « علم الكتاب » فصل أهل الإنجيل إلى نصارى ومسيحيين.

ولذلك كان النصارى من بني إسرائيل يتنازعون لقب « أولي العلم » مع اليهود، ويستعلون به على المسيحيين بصفة كونهم « أولي العلم المقسطين » .

وهذا هو الأسلوب والتعليم الذي نجده في القرآن.

إن **تعبير « العلم »** يرد في القرآن أحياناً بحسب اللغة؛ ولكن أحياناً وخصوصاً بحسب اصطلاح قائم فيه. إن « العلم » المذكور في القرآن ليس كل علم على الإطلاق، بل هو « علم » أولي العلم، أي أهل الكتاب.

إن « العلم » فيه **اصطلاح عام** لما هو « علم الكتاب » (الرعد 45)؛ **واصطلاح خاص** لعلم « الراسخين في العلم » (آل عمران 7)، « أولي العلم قائماً بالقسط » (آل عمران 18) أي **العلم الإنجيلي**، على طريقة « **العلم** » « **النصراني** » .

فتعبير « العلم » في القرآن هو اصطلاح خاص « بعلم الكتاب » والعلم « النصراني » في الكتاب. وهذا الاصطلاح يفوت الكثيرين، فيفوتهم فهم القرآن على حقيقته. فمن الجهل والغباء فهم قوله : « هل يستوي الذين يعلمون

والذين لا يعلمون » (الزمر 9) بحسب اللغة؛ لأن « الذين لا يعلمون » (البقرة 113 و119؛ يونس 89؛ الروم 59؛ الجاثية 17) هم المشركون؛ و « الذين يعلمون » هم أهل الكتاب، فهم بحسب تعبيره المتواتر « قوم يعلمون » (2 : 230؛ 6 : 105؛ 27 : 52؛ 41 : 3). فأهل الكتاب، وخصوصاً « النصارى » منهم، هم في اصطلاحه « العلماء » حقاً : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » (فاطر 28).

إن « النصارى » هم « العلماء » ، « أولو العلم قائماً بالقسط » ، أهل « الكتاب والحكم والنبوة » الذين أُمر محمد أن يقتدي بهداهم (الأنعام 90)؛ هم « من قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الأعراف 158)؛ هم الذين « جعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا » إلى هدى الكتاب والإنجيل، « فلا تكن في مرية من لقائه » (السجدة 23 - 24)؛ هم الذين يستشهد بهم دائماً على صحة دعوته وصحة قرآن الكتاب : « أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل » النصارى (الشعراء 197)، بل القرآن نفسه « هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » أي علماء النصارى (العنكبوت 49). لذلك « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة 11).

« **فالعلم** » **المخصوص في القرآن هو العلم** « **النصراني** » ، علم « الذين أوتوا العلم (16 : 27؛ 17 : 107؛ 22 : 74؛ 28 : 80؛ 30 : 56؛ 34 : 6)، علم « الراسخين في العلم » (آل عمران 7؛ النساء 161).

فاليهود ما كفروا بالمسيح ثم بمحمد « إلا من بعد ما جاءهم العلم » (3 : 16؛ 42 : 14؛ 45 : 16). وهذا الكفر اليهودي المزدوج دليل على أن « العلم » القرآني هو العلم « النصراني » .

أما محمد فقد جاءه « **العلم** » الذي مع أولي العلم المقسطين. والقرآن يحذروه بتواتر من الردة أو الشك « بعد الذي جاءك من العلم » (2 : 120)، « من بعد ما جاءك من العلم » (2 : 145؛ 3 : 61)، « بعد ما جاءك من العلم » (13 :

39). بهذا « العلم » النصراني يستعلي على المشركين، « من الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » (لقمان 20؛ الحج 8)، أما هو فإنه يجادل « بالعلم » النصراني في الكتاب المنير.

وهكذا فإنه « يعلمهم الكتاب والحكمة » ، التوراة والإنجيل، بحسب أسلوب « العلم » النصراني؛ ويشهد للإسلام بحسب شهادة « أولي العلم قائماً بالقسط » (آل عمران 18) أي « النصارى » .

فأسلوب القرآن في « علم الكتاب » ، وفي « الكتاب المنير » ؛ كما في تعليم « الكتاب والحكمة » هو أسلوبه في « تفصيل الكتاب » (يونس 37).

فأسلوب « العلم » في « تفصيل الكتاب » دليل على « نصرانية » الدعوة القرآنية.

*

سابعاً : أسلوب القرآن في قصص الأنبياء، وفي قصة مولد المسيح

أسلوب القصص ـ بالعبرية : « هاجدة » ـ ورثه النصارى من بني إسرائيل عن بني قومهم اليهود، الذين كانوا يقسمون تفسير الكتاب إلى « الحلقة » في تفسير الأحكام الشرعية، وإلى « الهاجدة » في رواية قصص الأنبياء، **على أساس النص والحديث**، لا للتاريخ، بل للتقوى والعبرة.

فقصص الأنبياء أسلوب « نصراني » أيضاً استخدمه « النصارى » لنشر الدعوة. وهكذا كان قصص الأنبياء عندهم تلمودياً أكثر منه كتابياً، يرون فيه تأييداً للدعوة الإنجيلية.

ولما رأوا أن **قصة مولد المسيح** موجزة جداً في الإنجيل بأحرفه الأربعة، عمدوا إلى وضع أناجيل منحولة، جاءت فيها قصة المولد مفصّلة تفصيلاً يرضي فضول « المتقين » .

من هذه الأناجيل « النصرانية » **الإنجيل بحسب يعقوب** الذي يدافع برواية

الأحداث عن بتولية مريم في مولدها، ويرد بالأعمال والأقوال المنسوبة إلى المسيح والعاملين معه على شبهات اليهود. وكذلك **الإنجيل بحسب العبرانيين** الذي اعتبره علماء المسيحية الأقدمون الإنجيل بحسب متى، في نصه السرياني، وحرفه العبراني وسموه (إنجيل النصارى). **والإنجيل بحسب متى المنحول** تفصيل منحول للإنجيل بحسب لوقا الصحيح.

فقصص الأنبياء في القرآن لا ينقلها كما في الكتاب، بل كما وردت في التلمود، أي بحسب الحديث المتواتر عن الآباء والأجداد. هذا واقع أول.

والواقع الثاني أن **قصة المولد** في القرآن أقرب إلى قصتها في تلك الأناجيل المنحولة، منها إلى قصة المولد في الإنجيل الصحيح. من ذلك أن حنة امرأة عمران تنذر جنينها لخدمة الرب في هيكله (الإنجيل بحسب يعقوب 4 : 1 قابل آل عمران 35). ومن ذلك ابن مريم الطفلة الرضيعة تقدّم للهيكل، « والرب أنزل نعمته عليها » (الإنجيل بحسب يعقوب 9 : 3) أي « فتقبلها ربها بقبول حسن » (آل عمران 36). وفي الهيكل « كان رزقها يأتيها من الله بواسطة ملاك » (الإنجيل بحسب يعقوب 8 : 1) أي « وكفلها زكريا : كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً؛ قال : يا مريم أنى لك هذا! قالت هو من عند الله » (آل عمران 37). وفي خطوبتها يخاطب زكريا الكاهن بني قومها : « ليأت كل واحد منكم بقلمه؛ ومَن منكم تظهر عليه معجزة الرب يكفل مريم » (الإنجيل بحسب يعقوب 8 : 3) أي « وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم، وما كنت لديهم إذ يختصمون » (آل عمران 44). وفي البشارة بالمسيح، بينما سورة مريم تذكر ملاك البشرى مفرداً، إذا بسورة آل عمران تنص : « إذ قالت الملائكة : يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه » (45) والتعبيران من المصدر « النصراني » ، فإنجيل البشارة يذكر الملاك مفرداً، وليس فيه لقب المسيح « كلمة الله » . وجواب العذراء في إنجيل يعقوب المنحول : « إذ إني أحمل بالرب، إله الحياة، فهل ألد كما تلد كل امرأة » ؟ قريب من قوله : « أنى

يكون لي ولد ولم يمسسني بشر » (آل عمران 47). فالقرآن مثل إنجيل النصارى يؤكد على بتولية مريم في المولد المعجز : موقف واحد ضد اليهود « بكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً » (النساء 155). هذا البهتان العظيم في كفر اليهود نلمسه في ردّ الإنجيل بحسب يعقوب عليهم جملة وتفصيلاً.

فأسلوب القرآن في قصص الأنبياء، وفي قصة مولد المسيح المعجز، هو الأسلوب « النصراني » عينه الذي نراه في أناجيلهم المنحولة.

لذلك فأسلوب القرآن في قصص الأنبياء، وفي قصة مولد المسيح، دليل على « نصرانية » الدعوة القرآنية.

*

ثامناً : أسلوب الدعوة والبرهان على الإيمان

كان النصارى من بني إسرائيل يؤمنون بموسى وعيسى ديناً واحداً؛ ويقيمون التوراة والإنجيل شرعاً واحداً، في أمة وسط بين اليهودية والمسيحية. وهذا بشهادة المصادر « النصرانية » التي تنشر الدعوة، وبشهادة المصادر المسيحية التي تحاربها.

والقرآن صريح في دعوته للإيمان بموسى وعيسى ديناً واحداً (الشورى 13)، الإيمان « بما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (آل عمران 85؛ البقرة 135)، كما هو صريح بإقامة الإنجيل والتوراة شرعاً واحداً : « قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل، وما أُنزل إليكم من ربكم » (المائدة 71).

فأسلوب الدعوة في القرآن هو الأسلوب « النصراني » عينه.

يؤيد ذلك البرهان في الإيمان. فليست حجة القرآن المعجزة كالأنبياء الأولين. إنما حجته الكبرى هي شهادة علماء بني إسرائيل النصارى للدعوة القرآنية. ففي صحة التنزيل من زبر الأولين يقول : « أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني

إسرائيل » (الشعراء 197). وفي مطابقة القرآن للإمام الذي عند النصارى من بني إسرائيل يقول : « وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » (الأحقاف 10).

وفي جداله مع المشركين على صحة النبوة وكيفيتها لا جواب عنده سوى إحالتهم على شهادة أهل الذكر المقسطين : « فاسألوا أهل الذكر، إِن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر » (النحل 43؛ الأنبياء 7).

وعلى صحة القرآن في « تفصيل الكتاب » يعتز بشهادة « النصارى » أولي العلم المقسطين : « بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » (العنكبوت 49). وبهم يتحدى المشركين : « قل : آمنوا به، أو لا تؤمنوا! إن الذين أُوتوا العلم من قبله، إذا يتلى عليهم، يخرون للأذقان سجداً » (الإسراء 107). ويطمئن إلى شهادتهم : « ويرى الذين أوتوا العلم الذي أُنزل إليك من ربك هو الحق، ويهدي إلى صراط العزيز الحميد » (سبأ 6).

وإيمان « النصارى » بالقرآن الذي يشهدون له مطلق : فهم يؤمنون بالمتشابه كما بالمحكم فيه : « والراسخون في العلم يقولون : آمنا به، إنه الحق من ربنا » (آل عمران 7). فهم وجماعة محمد على إيمان واحد : « لكن الراسخون في العلم منهم، والمؤمنون، يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك » (النساء 161).

وشهادة « النصارى » ، أولي العلم المقسطين، للقرآن تدوم إلى يوم الدين : « وقال الذين أوتوا العلم والإيمان : لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث » (الروم 56). فهم أهل العلم والإيمان، وأهل كتاب الله، لذلك فشهادتهم له هي حجته الوحيدة القاطعة للبرهان على الإيمان. ويوم الدين يزكون بشهادتهم حكم الله : « ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول : أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم؟ قال الذين أوتوا العلم : إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين » (النحل 27).

يكفي أنه يشهد للإسلام بشهادة « أولي العلم قائماً بالقسط » : « أن الدين عند

الله الإسلام » (آل عمران 18 - 19). وذلك لأن شهادتهم من شهادة الله : « قل : كفى بالله شهيداً بيني وبينكم، ومن عنده علم الكتاب » (الرعد 45).

فأسلوب القرآن في دعوته، وأسلوبه في البرهان على الإيمان « نصراني » .

لذلك فأسلوب الدعوة والبرهان عنده دليل على « نصرانية » الدعوة القرآنية.

*

تاسعاً : أسلوبه في الجدال

المبدأ عنده أنه لا يصح جدال أهل الكتاب المحسنين، أي النصارى من بني إسرائيل، إلا بالحسنى؛ أما اليهود « الظالمون » فيصح جدالهم بالسيف : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ـ إلا الذين ظلموا منهم ـ وقولوا : آمنا بالذي أنزل إلينا وأُنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون » (العنكبوت 46). فالحسنى في جدال « النصارى » هي الشهادة معهم أن الإله واحد، والتنزيل واحد، والإسلام واحد، بين جماعة محمد و« النصارى » .

بناء عليه فهو **يجادل المشركين** بالعلم « النصراني » للكتاب المنير، وبه يستعلي عليهم : « ومن الناس من يجادل في الله بغير هدى ولا علم ولا كتاب منير » (لقمان 20؛ الحج 8). هذا كان أسلوبه في المدينة كما في مكة. إنه يجادلهم « بعلم الكتاب » على الطريقة « النصرانية » : « قل : كفى بالله شهيداً بيني وبينكم، ومن عنده علم الكتاب » (الرعد 45).

وهو **يجادل اليهود** بجدال « النصرانية » أيضاً. فاليهود يعلنون أنهم يؤمنون بما أُنزل إليهم ويكفرون بما وراءه : « وإذا قيل لهم : آمنوا بما أنزل الله، قالوا : نؤمن بما أُنزل علينا ويكفرون بما وراءه، وهو الحق مصدق لما معهم. قل : فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين » (البقرة 91). لذلك يعلن لهم : « قل : يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل » (المائدة 71). موضوع آخر، الجدال في صحة الانتماء إلى إبراهيم : « يا أهل الكتاب لِمَ

تحاجون في إبراهيم، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده، أفلا تعقلون؟ ... ما كان إبراهيم يهودياً، ولا نصرانياً (أي مسيحياً)، ولكن كان حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين » (آل عمران 65 - 67). إن صفتي « حنيف ومسلم » كانتا صفتي الدعوة « النصرانية » قبل القرآن، كما رأينا، ففي وصف إبراهيم بهما دليل على جدال اليهود بجدال « النصرانية » .

وهو **يجادل وفد نجران** المسيحي اليعقوبي بجدال « النصرانية » أيضاً : لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم! وقال المسيح : يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم! » (المائدة 76). ويجادل أهل مشارف الشام، وكانوا على مذهب وفد نجران، بجدال « النصرانية » في المسيح : « وقالت النصارى (المسيحيون) : المسيح ابن الله » (التوبة 31). فيرد عليهم : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم، ولا تقولوا على الله إلا الحق : إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ... لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقربون » (النساء 170 - 171). فهو وإن كان « كلمته وروحاً منه » أي أول الملائكة المقربين، فإنما هو عبد مخلوق، لا رب.

فالقرآن « أمة وسط » (البقرة 143) بين اليهودية والمسيحية، كما كانت « النصرانية » في عقيدتها وفي شريعتها.

لذلك فأسلوب القرآن في الجدل دليل على « نصرانية » الدعوة القرآنية.

*

عاشراً : أسلوب النظم في القرآن

معجزة القرآن في إعجازه. « والمعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة » . وإعجازه أي « خرقه العادة في أسلوبه وبلاغته واخباره بالمغيبات[1] » . إن الاخبار بالمغيبات سبقه إليها الكتاب والإنجيل، فليست ميزة له. بقي **إن إعجازه في نظمه**، كما يقول الجاحظ.

(1) السيوطي : الإتقان 2 : 116.

بهذا الإعجاز في النظم تحدى العرب : « فأتوا بحديث مثله » (52 : 34)، « فأتوا بعشر سور مثله » (11 : 13)، « فأتوا بسورة مثله » (10 : 38)، « فأتوا بسورة من مثله » (البقرة 23) ـ أجل « لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » (الإسراء 88).

والظاهرة القرآنية الغريبة إن التحدي « بمثله » توقف لمّا انتقل الخطاب من المشركين إلى أهل الكتاب. فما سرّ ذلك ؟ سرّه أن أهل الكتاب، وعلى التخصيص « النصارى » عندهم « مثله » ، وذلك **بنص القرآن القاطع** : « وشهد شاهد من بني إسرائيل **على مثله** ... ومن قبله **كتاب موسى إماماً** ورحمة وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً » (الأحقاف 10 و12). بهذا التصريح يسقط التحدّي بالإعجاز : إن « مثل » القرآن موجود قبله.

فإعجاز القرآن له مثل أعلى في الكتاب، وله مثل خاص في « المثل » النصراني. فإذا كان القرآن خارقاً لعادة العرب في نظمهم، فهو على « مثل » نظم النبيين والزبور والإنجيل في كلمات المسيح. إنه **نظم الرباعيات**. وهو يختلف عن رجز العرب وقصيدهم.

وأسلوب النظم رباعيات هو أسلوب النظم العادي في العبرية والآرامية والسريانية. وما الزجل الشعبي، على أنواعه، سوى أثر من أسلوب النظم الموروث عن الأجداد السوريين. وقوله : « وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » يجعلنا نقول : إن أسلوب النظم القرآني هو أسلوب كتابي « نصراني » ، تعلمه محمد لدى أساتذته، خصوصاً لدى قس مكة، ورقة بن نوفل.

1) هذا شاهد من فاتحة أشعيا (1 : 1 - 9) :

« استمعي أيتها السموات، وانصتي أيتها الأرض، فالله يتكلّم !
ربّيت بنين ومكّنت لهم لكنهم تمرّدوا عليّ !

عرف الثور قانيه والحمار معلف صاحبه
لكن إسرائيل لم يعرف وشعبي لم يفهم !
ويل للأمة الخاطئة للشعب الموقر بالإثم !
ذرية المجرمين، البنين الفجار !
إنهم تركوا الله ، واستهانوا بقدوس إسرائيل
لقد ارتدوا على أعقابهم! أنّى تضربون، وقد تراكمت آثامكم !
الرأس كله مريض! والقلب بجملته سقيم !
من أخمص القدم إلى الرأس لا صحة فيه على الإطلاق!
بل كلوم وحَبَط وجراح مفتوحة ،
لم تعصر ولم تعصب ولم تليّن بدهن !
أرضكم خراب! ومدنكم حريق!
حقلكم أكله الغرباء أمامكم فالكل خراب، كما بعد غزو الغرباء!
وبقيت ابنة صهيون مثل خيمة في كرمة !
وكملجإٍ في مقثئة، ومثل مدينة محاصرة !
ولولا أن ربّ الجنود ترك لنا بقية باقية
لصرنا مثل سدوم وأشبهنا عامورة! »

*

2) **وهذا مثل من الزبور**؛ المزمور الأول :

طوبى للرجل الأمين الذي لا يغشى مجالس الفاسقين
ولا يقوم في طريقة الضالين ولا يقعد مع الماجنين !
بل في شريعة الله هواه يهذّ بها نهاره وليله
كأنه شجرة قائمة حيث المياه جارية !

تؤتي ثمارها في إبَّانها ولن تذوي أوراقها!
أجل أن أعماله كلها بالنجاح والفلاح متسمة!
شتَّان ما بينه وبين الفاسقين الذين تذروهم الرياح كالهشيم!
فلا مقام يوم الدين للفاسقين ولا للضالين في زمرة الصالحين!
فإن الله عليم بصراط الصالحين
أما سبيل الفاسقين فإلى الخسران المبين »

*

3) **أخيراً هذه فاتحة الخطاب التأسيسي للسيد المسيح على الجبل :** « فلما رأى يسوع الجموع صعد إلى الجبل. ولما جلس دنا إليه تلاميذه. ففتح فاه وجعل يعلمهم. قال :

طوبى للمساكين ... فإن لهم ملكوت السماوات!
طوبى للوديعين فإنهم الأرض يرثون!
طوبى للباكين فإنّهم يُعزّون!
طوبى للجائعين ... فإنهم يشبعون!
طوبى للراحمين فإنهم يُرحمون!
طوبى للطاهرين فإنهم الله يعاينون؛
طوبى للمسالمين فإنهم أبناء الله يدعون!
طوبى للمضطهدين ... فإن لهم ملكوت السماوات[1] !

*

أنتم ملح الأرض إذا فسد الملح، بمَ يصلحونه ؟
أنه لا ينفع لشيء بل يطرح بعيداً والناس يدوسونه!

---

(1) لاحظ التصريع بعبارة « ملكوت السماوات » التي بها يفتح ويختم المقطع.

أنتم نور العالمين لا تخفى مدينة على جبل
ولا يوقد سراج تحت مكيال بل على منارة ليضيء لأهل المحل
فليُضيء نوركم للعالمين ليروا أعمالكم الصالحة
وهكذا فهم يحمدون أباكم الذي في السماوات[1] »

هذا هو قرآن الكتاب الذي أُمر محمد في رؤيا حراء أن ينضم إلى المسلمين من قبله وأن يتلوه معهم (النمل 90). وفي قيام الليل، بصحبة قس مكة، ورقة بن نوفل، كان كالمزمل يسمعهم « يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون (آل عمران 113). وأثناء النهار كان « يدرس » الكتاب (68 : 37) بل الكتب المقدسة (34 : 44) التي سيستعلي على المشركين بدراستها. خصوصاً كان يسمع قرآن الكتاب الإمام في « المثْل » النصراني، صورة القرآن العربي (الأحقاف 10). فلا عجب إذا جاء إعجاز القرآن في نظمه على مثال إعجاز « المثل » الذي أمر أن يقتدي به (الأنعام 90).

وفي الاستشهادات التي نقلناها لإثبات صحة « نصرانية » الدعوة القرآنية إثباتات تظهر أن أسلوب القرآن في نظمه، من أسلوب الكتاب والإنجيل، خصوصاً في « المثْل » الذي « **جعلناه** قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » (43 : 25)؛ فهو « كتاب أحكمت آياته، ثم فصلت من لدن حكيم خبير » (11 : 1).

فأسلوب النظم في القرآن، هو أيضاً دليل على « نصرانية » الدعوة القرآنية.

*

فتلك **عشرة أساليب** في الدعوة القرآنية تتناول القرآن من جوانبه كلها. وهي، كما اتضح لنا، أساليب « نصرانيته » .

وهكذا فإن اعتماد القرآن المطرّد لها، برهان ساطع، بنصه القاطع، في واقع الحال، على « نصرانيته » في أساليبه.

* * *

(1) لاحظ أيضاً النظم الفني في الإنجيل، بتكرار التصريع نفسه في خاتمة المقطع الثاني.

بحث رابع

« نصرانية » القرآن في صيغ الإيمان

نقدر أن نوجز **إيمان القرآن** بثلاث آيات منه : إنه يشرع للعرب دين موسى وعيسى ديناً واحداً (الشورى 13)، هذه دعوته العامة؛ ودعوته الخاصة « إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل 76) فينتصر للنصارى منهم في الإيمان بالمسيح على اليهود (الصف 14)؛ وذلك بفرض الإسلام على الجزيرة حتى « لا يبقى في جزيرة العرب دينان » ، وهذا الإسلام هو الذي يشهد به مع الله وملائكته « أولو العلم قائماً بالقسط ... أن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران 18). فالقرآن يشرع للعرب الإسلام « النصراني » .

وصيغ الإيمان، في القرآن، تدل كلها على « نصرانيته » : صيغة الإيمان بالتوحيد؛ صيغة الإيمان بالله واليوم الآخر؛ صيغة الإيمان بالإسلام؛ صيغة الإيمان بالمسيح؛ صيغة الإيمان بالنبوة؛ صيغة الإيمان بالكتاب؛ صيغة الإيمان بالإنجيل؛ صيغة الإيمان بالقرآن؛ صيغة الإيمان بمحمد؛ وختام « النبوة والكتاب » . فصيغ الإيمان، في القرآن، من « أهل العلم والإيمان » .

*

أولاً : صيغة الإيمان بالتوحيد

يتوهم بعضهم أن القرآن يشرع للعرب **توحيداً مستقلاً**؛ كلاّ، بل لسان حاله ومقاله أنه يشرع لهم **التوحيد الكتابي** : « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً ـ والذي أوحينا إليك ـ وما وصى به إبراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه! كبر على المشركين ما تدعوهم إليه » (الشورى 13). دين إبراهيم ونوح في التوراة؛ فهو يشرع لهم **دين موسى وعيسى ديناً واحداً**، وهذه

هي « النصرانية » عينها. فصيغة الإيمان بالتوحيد، في القرآن، هي **التوحيد** « **النصراني** » .

وتصاريحه كلها تدل على ذلك : « هذا ذكر من معي وذكر من قبلي » (الأنبياء 34). وهو لا ينتسب إلى أهل الكتاب جملة، بل على التخصيص، إلى « المسلمين » من قبله (النمل 90) الذين إذا تلى عليهم القرآن « قالوا : آمنا به، إنه الحق من ربنا : إنا كنا من قبله مسلمين » (القصص 53).

وميزة التوحيد القرآني أنه باسم **الرحمان الرحيم :** « وإلهكم إله واحد، لا إله إلا هو، الرحمان الرحيم » (البقرة 163). ونعرف من (الإتقان 1 : 138 - 141) أن اسم « الرحمان » من العبرية، بطريق السريانية، لغة بني إسرائيل على عهده. وفي اليمن كانوا يقولون : « باسم الرحمان ومسيحيه » . وتوحيد القرآن هو باسم الرحمان ومسيحه.

وميزة التوحيد القرآني أيضاً أنه باسم **الحي القيوم :** « الله، لا إله إلا هو، الحي القيوم » (آل عمران 2) أي الحي الذي لا ينام، من اللغة الرومية، عن طريق السريانية ـ بحسب (الإتقان) نفسه ـ وحرف « القيوم » سرياني أكثر مما هو عربي. فصفة إله التوحيد تأتي في القرآن بصيغة « نصرانية » .

وحملته على الشرك حملة « نصرانية » : كان اليهود يتعبدون للملائكة، فتحول العرب من شركهم الوثني إلى هذا الشرك في التوحيد : « وقالوا : اتخذ الرحمان ولداً ـ سبحانه، بل عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون » (الأنبياء 26 - 27). فليس الملائكة بنات الله كما يظنون، فيتهكم بهم : « فاستفتهم : ألربك البنات ولهم البنون؟ أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون! ... أم لكم سلطان مبين : **فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين** » (الصافات 149 - 157). فسلطان محمد المبين هو الكتاب المقدس، وليس فيه أن الله اتخذ الملائكة بنات أو بنين له، بل « عباد مكرمون » ... « هذا ذكر من معي وذكر من قبلي » (الأنبياء 26 و24). ويحرض على التوحيد بقوله :

« فاجتنبوا الرجس من الأوثان، واجتنبوا قول الزور (اتخذ الرحمان ولداً)، **حنفاء لله**، غير مشركين به ... **فإلهكم إله واحد، فله أسلموا :** وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، والصابرين على ما أصابهم، والمقيمي الصلاة، ومما رزقناهم ينفقون » (الحج 30 - 35). فهو يطلب إليهم أن يكونوا « حنفاء لله » وهو لقب « النصارى » عند معيريهم من المسيحيين؛ ويأمرهم « فله أسلموا » ونعلم أنها شهادة النصارى أولي العلم المقسطين (آل عمران 18) الذين بسببها يتعرضون للاضطهاد والقتل من قبل اليهود قاتلي الأنبياء (آل عمران 21) وينفقون من أموالهم في سبيل الدعوة القرآنية لأنها دعوتهم.

فالتوحيد الكتابي الحق، بحسب القرآن، هو التوحيد « النصراني » ، أي الإيمان بدين موسى وعيسى ديناً واحداً. فصيغة الإيمان، بالتوحيد، في القرآن، صيغة « نصرانية » .

ثانياً : صيغة الإيمان بالله واليوم الآخر

3- إن **الإيمان باليوم الآخر** لم تكن دعوة يهودية ولا توراتية؛ إنما هي دعوة الإنجيل. وهذا فاصل أول في إيمان القرآن. لكن هذا الإيمان باليوم الآخر جاء بصيغة « نصرانية » ، لا مسيحية. إن النصارى من بني إسرائيل كانوا يقولون « بقيامة أولى » إلى « جنة أولى » ، جنة عدن، كما في (إسراء أشعيا) المنحول، وفي (إسراء بطرس) المنحول، حيث القيامة إلى جنة عدن تأتي بالصفة القرآنية : « مثل الجنة التي وعد بها المتقون: فيها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، ولهم فيها من كل الثمرات، ومغفرة من ربهم » (محمد 15)؛ حيث « أن المتقين في مقام أمين، في جنات وعيون، يلبسون من سندس واستبرق متقابلين، كذلك وزوجناهم بحور عين، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين »

(الدخان 51 - 52)؛ لأن « الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار » (الزمر 20).

ونعرف أن هذه الأوصاف القرآنية « نصرانية » من الاسم المتواتر فيها : **إنها « جنات عدن يدخلونها »** (13 : 25؛ 16 : 31)، « لهم جنات عدن » (18 : 31)، « طيبة في جنات عدن » (9 : 73؛ 61 : 12؛ 35 : 33)، « جنات عدن تجري من تحتها الأنهار » (20 : 76؛ 98 : 8)، « وأدخلهم جنات عدن » (40 : 8)، « جنات عدن مفتحة » (38 : 50) « جنات عدن التي وعد الرحمان عباده بالغيب » (19 : 61) - فليست هي بعد فردوس الله. ونعرف ذلك من اللذات الحسية التي يتمتعون بها : فقد نقل عنهم بابياس منذ القرن الثاني « ذكْرَ لذات الطعام في يوم القيامة »[1] . ونعرف ذلك أيضاً من لذات الزواج في جنات عدن، فينقل مؤرخ الكنيسة[2] عن لسان أحد النصارى : « يقول : بعد القيامة يكون ملك المسيح أرضيّاً، والجسد الذي يعيش من جديد، في أورشليم الجديدة، سيكون أسير الأهواء واللذات. ويقول، خلافاً لكتب الله، إنه سيكون مدة ألف سنة عيد في عرس دائم » . وفي (إسراء أخنوخ الأول 10 : 17) « يظل الصديقون أحياء حتى يلد واحدهم ألف ولد » ! وهذا هو حكم العلامة جيروم[3] فيهم : « إن اليهود والأبيونيين، النصارى المتهودين، يفهمون بالمعنى الحرفي كل لذات الألف سنة » .

وهذه النظرة الحرفية للذات الحسية في جنات عدن أخذها النصارى من بني إسرائيل عن بني قومهم اليهود. ففي تفسير ملكوت شمعوني على التكوين (ف 20) ينسبون إلى يشوع بن لاوي وصف جنات عدن : « جنة عدن لها بابان من زمردتين، يقف حول كل منها ستون ألف ملاك. وعندما يصل صديق

---

(1) قابل Daniélou : Judéo- christianisme p 346

(2) أوسابيوس : تاريخ الكنيسة ك 3 ف 28 ع 2.

(3) في تفسير إرميا ك 62 ص 20 مجموعة الآباء اللاتين ك 24 ص 823.

يقولون له : اذهب وتناول طعامك ببهجة. ويدخلونه إلى مكان تجري من تحته الأنهار، وعلى جانبيها ثمان مئة نوع من الورود والياسمين. وكل واحد يستقل بغرفة بحسب منزلته. ومن كل غرفة تجري **أربعة أنهار : نهر من لبن، ونهر من خمر، ونهر من عطر، ونهر من عسل.** وستون ملاكاً في خدمة كل صديق ... » .

فأوصاف القرآن للجنة في اليوم الآخر أوصاف « نصرانية » .

2ـ **وصيغة الإيمان بالله** نجدها في سورة الإخلاص : « قل : هو الله أحد، الله الصمد، لم يلدْ ولم يُولد، ولم يكن له كفواً أحد » .

نعرف أن الشعار « هو الله أحد » مأخوذ بحرفه عن التوراة (سفر التثنية 6 : 4) وعن الإنجيل (مرقس 12 : 29). وقوله « هو الله » الذي يحارون في إعرابه إنما هو ترجمة حرفية لاسم الجلالة في العبرانية : « يهوه » . وأن « يهوه أحد » كان شهادة التوحيد، وفاتحة الصلاة عند بني إسرائيل، والنصارى من بني إسرائيل. ونرى أيضاً في قوله « الله الصمد » نقلاً حرفياً للعبرية « يهوه صبئوت » . والحرفية في النقل ظاهرة على تنكير « أَحد » وعلى تعريف « الصمد » . فصيغة الإيمان بالله في القرآن « نصرانية » بحرفها.

وبسبب هذه الشهادة التوراتية في التوحيد، التي نقلها الإنجيل أيضاً، وقف عندها النصارى من بني إسرائيل، وفهموا التثليث الإنجيلي على ضوئها، فأنكروا كل بنوة من الله لاستحالة الولادة عليه تعالى : « لم يلدْ ولم يولد » ؛ ولاستنكار التبني نفسه عليه تعالى : « ما كان لله أن يتّخذ من ولد، سبحانه؛ إذا قضى أمراً فإنما يقول له : كن! فيكون » (مريم 35)؛ « وقالوا : اتخذ الرحمان ولداً! ـ لقد جئتم شيئاً إدّا، تكاد السماوات يتفطرن منه، وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هداً، أن دعوا للرحمان ولداً » (مريم 88 - 91).

والنصارى من بني إسرائيل، وإن قالوا إن المسيح « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » ، فهم يفهمون التعبيرين المترادفين على أنهما يجعلان المسيح أحد

الملائكة المقربين، فيقولون : « ملاك كلمة الله » . ويقولون في الروح القدس إنه « ملاك الروح القدس » وإنه جبريل.

فصيغة الإيمان بالله الواحد الأحد « نصرانية » بحرفها ومعناها.

وصيغة الجمع في الإيمان « بالله واليوم الآخر » شعار « نصراني » رفعه النصارى من بني إسرائيل في وجه اليهود من بني قومهم. ورفعوه تجاه المسيحيين للتركيز على التوحيد من دون التثليث.

فصيغة الإيمان بالله واليوم الآخر، في القرآن، صيغة « نصرانية » .

*

ثالثاً صيغة الإيمان بالإسلام

انها صيغة « نصرانية » بنص القرآن القاطع : « شهد الله أن لا إله إلا هو، والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط ـ لا إله إلا هو العزيز الحكيم ـ **أن الدين عند الله الإسلام** » (آل عمران 18 ـ 19). فالذين يشهدون مع الله وملائكته بذلك هم « أولو العلم قائماً بالقسط » أي النصارى من بني إسرائيل، بحسب اصطلاحه المتواتر، كما بيَّنا مراراً. فصيغة الإيمان بالإسلام « نصرانية » .

يشهد بذلك أن المسلمين موجودون من قبل محمد وقد أُمر بالانضمام إليهم والدعوة معهم للإسلام النصراني : « وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن » (النمل 90).

وبهذا الإسلام النصراني يستعلي القرآن على اليهود : « وقالوا : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ـ أو نصارى ـ تلك أمانيهم! قلْ : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين! بلى، **من أسلم وجهه بالله، وهو محسن،** فله أجره عند ربه، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (البقرة 111 ـ 112). إن سورة البقرة جدال متواصل مع اليهود، ولا دخل فيه للمسيحيين على الإطلاق. لذلك إذا اعتبرنا كلمة « نصارى » بمعنى المسيحيين، فهي مقحمة على النص بلا مسوّغ من

النصّ نفسه؛ وإذا اعتبرناها بمعنى النصارى من بني إسرائيل فهي تتعارض مع الآية (112). فهو يجيب اليهود بأن الجنة « لمن أسلم وجهه لله، وهو محسن » وهذا التعبير « وهو محسن » اصطلاح متواتر فيه كناية عن النصارى من بني إسرائيل. فهو يقسم بني إسرائيل إلى يهود ظالمين ونصارى محسنين : « وباركنا عليه (إبراهيم) وعلى إسحاق؛ **ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين** » (الصافات 113). فإذا قابلناها بقوله : « فآمنت طائفة من بني إسرائيل (بالمسيح) وكفرت طائفة » (الصف 14)، وبقوله : « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الأعراف 157)، ثبت لنا أن « المحسنين » على التخصيص كناية عن النصارى من بني إسرائيل الذين يستشهد بهم على صحة الدعوة القرآنية (الشعراء 197؛ الأحقاف 10). **فالمسلم المحسن، في اصطلاح القرآن، هو « النصراني » .**

وبهذا الشعار عينه يردّ على جماعته وعلى أهل الكتاب عامة : « ومن أحسن ديناً ممن **أسلم وجهه لله وهو محسن**، واتبع ملة إبراهيم حنيفاً، واتخذ الله إبراهيم خليلاً » (آل عمران 125). نعرف أن لقب « حنفاء » أطلقه المسيحيون على النصارى من بني إسرائيل. وهنا لدينا البرهان القرآني، فهو يرادف بين « ملة إبراهيم حنيفاً » ، وبين « من أسلم وجهه لله وهو محسن » . فالإسلام المحسن الحنيف هو الإسلام « النصراني » .

يؤيد ذلك أيضاً قوله : « إن الله مع الذين اتقوا، والذين هم محسنون » (النحل 128) ليس التعبيران لغة، بل اصطلاحاً، كناية عن جماعة محمد « الذين اتقوا » من العرب، وعن جماعة النصارى المحسنين. وهو مثل قوله : « يرفع الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة 11). لذلك فهو يطلق صفة « المحسنين » على « المتقين » من العرب، لاتباعهم في حسنى الإسلام : « إن المتقين في جنات وعيون، آخذين ما آتاهم ربهم، إنهم كانوا قبل ذلك محسنين » (الذاريات 16).

يؤيد ذلك أيضاً مرادفته في أَصل القرآن بين قوله : « وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً، لينذر الذين ظلموا، **وبشرى للمحسنين** » (الأحقاف 13) فهو إنذار لليهود الظالمين، وبشرى للنصارى المحسنين؛ وبين قوله : « نزّله روح القدس من ربك بالحق، ليثبت الذين آمنوا، **وهدى وبشرى للمسلمين** » (النحل 102)، فهو تثبيت لجماعة محمد، و « هدى وبشرى للمسلمين » أي توراة وإنجيل للمسلمين، النصارى من بني إسرائيل. فالإسلام المحسن هو إسلام النصارى المقسطين، المحسنين، المسلمين، من بني إسرائيل، ومن « تنصر » معهم من العرب. لذلك فهو يقرّر : « **ومن يسلم وجهه لله وهو محسن**، فقد استمسك بالعروة الوثقى » (لقمان 22).

فصيغة الإيمان بالإسلام، في القرآن، صيغة « نصرانية » .

*

رابعاً : صيغة الإيمان بالمسيح

في جدال وفد نجران حدّد القرآن صيغة الإيمان بالمسيح. **أولاً** في قصص آل عمران (33 - 64) الذي « نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم » (58)، فهو يتلوه من إنجيل النصارى. ففي البشارة به « قالت الملائكة : يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم، وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين » (46). فتعريف المسيح أنه ابن مريم، « ومن المقربين » أيضاً أي الملائكة. لذلك كان تعليمه « رسولاً إلى بني إسرائيل ... **إن الله ربي وربكم فاعبدوه، هذا صراط مستقيم** » (51). فالمسيح، وإن كان « من المقربين » فهو عبد لا رب.

وحدّده **ثانياً** في التعريف بالمسيح : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم، ولا تقولوا على الله إلا الحق : إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ... لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون » (النساء 170 - 171). أجل إن المسيح « كلمته وروح منه »

تعالى، لكنه عبد مثل « الملائكة المقربين » . إنه « من المقربين » (آل عمران 46)، لذلك كان النصارى من بني إسرائيل يقولون : « ملاك كلمة الله » . فتعريف القرآن بالمسيح « نصراني » لفظاً ومعنى.

وحدّده **ثالثاً** بالتعليق القرآني على جدال وفد نجران : « لقد كفر الذين قالوا : ... إن الله هو المسيح ابن مريم! وقال المسيح : **يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم.** ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، وأمه صديقة، كانا يأكلان الطعام » (المائدة 75 و78). فهو يقول دائماً بخلق المسيح، في كونه « كلمته وروح منه » ، بناء على إعلان المسيح لبني إسرائيل : « إن الله ربي وربكم » (آل عمران 51؛ المائدة 75)؛ وبناءً على كونه « من المقربين » ، « الملائكة المقربين » (آل عمران 46؛ النساء 171). وهذه هي الازدواجية « النصرانية » القرآنية، في شخصية السيد المسيح.

جاء في مجلة (لواء الإسلام)[1] : « روى الشيخان عن عبادة بن الصامت ر قال: (قال رسول الله ص : من شهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله؛ وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه؛ والجنة حق، والنار حق؛ ادخله الله الجنة، على ما كان عليه من عمل). كل كائن قد نشأ بكلمته تعالى وأمره التكويني. لكن نشأة عيسى كانت بمجرد هذه (الكلمة) من غير واسطة الأسباب المألوفة : فهو بشر عجيب الشأن في التكوين، وآية من آيات القدرة العليا التي هي فوق تلك النواميس. والإخبار عن عيسى عليه السلام بأنه (روح) مع أنه مركب ككل إنسان من روح وجسم، **ذلك لأن روحانيته عليه السلام كانت غالبة على جثمانيته،** فكأنه روح بحت. ونفخ الروح في عيسى كان بيد التكوين الإلهية الصرفة، فلم يسبق بالمقدمات البشرية، كما في عامة الناس » .

---

(1) لواء الإسلام صفر 1380 الموافق يوليه 1960 ص 346 - 247.

هذا الحديث الصحيح، برواية الشيخين، صورة للقرآن. فالقرآن والحديث يطلبان **إيماناً واحداً بالمسيح ومحمد**، ولا يدخل الجنة إلا صاحب هذا الإيمان. ويزيدان فضل المسيح على محمد كون المسيح « كلمته وروحاً منه » ، أي كما يفسرون « ذلك لأن روحانيته عليه السلام كانت غالبة على جثمانيته » . وهذا الإيمان الواحد بالمسيح « كلمته وروح منه » برهان على « نصرانية » الدعوة القرآنية.

لكن تعليق المجلة ـ بحسب التعبير المتواتر عندهم ـ على كون المسيح « كلمة الله » بأنه مثل « كل كائن قد نشأ بكلمته تعالى وأمره التكويني » ، هو من تهافت التهافت : ليس المسيح « كلمة الله » لأنه نشأ بكلمة الله الخلاقة التكوينية، إنما هو « كلمة الله » لأنه « روح منه » ، فاللقبان مترادفان، وهذا الترادف يجعل « كلمة الله » **ذاتاً، لا أمراً تكوينيّاً :** فهو ذات نطقية، روحية، منه تعالى، يصدر « روحاً منه » كما يصدر النطق الذاتي عن الذات نفسها. وليس كما يفهمون « لأن روحانيته عليه السلام كانت غالبة على جثمانية، فكأنه روح بحت ». إنه « روح بحت » بصفة كونه نطق الله الذاتي، كلامه النفساني، « كلمة الله » ، قبل أن يلقى إلى مريم، وبعد أن ألقاه إلى مريم، في « روح وجسم » ككل إنسان.

فالخلاف، كل الخلاف، في شخصية السيد المسيح، كان بين شيعة النصارى وسنّة المسيحيين، على **تفسير معنى « كلمته وروح منه »** . والتفسير « النصراني » بأنه « من المقربين » من « الملائكة المقربين » ـ فهو عبد، لا رب ـ جاء صيغة الإيمان بالمسيح، في القرآن.

فصيغة الإيمان بالمسيح في القرآن، صيغة « نصرانية » .

*

خامساً : صيغة الإيمان بالنبوة

سر المسيح في « النصرانية » أنه النبي الأعظم الموعود في آخر الأزمان؛ وبه

يتم ختام « النبوة والكتاب » . لذلك توارت عندهم رسالة الفداء باستشهاده، تجاه رسالة النبوة العظمى. هذا هو موضوع الكتاب « النصراني » المنحول : (**بلاغات بطرس**)[1] .

بحسب هذا الكتاب « النصراني » ، إن المسيح هو « **النبي الحق** » ؛ وهذا « النبي الحق » ظهر على فترات متواترة منذ آدم، **أول صورة « للنبي الحق »** . لذلك كان النصارى من بني إسرائيل، في مقاومتهم لبولس الرسول « المرتد » ينكرون الخطيئة الأصلية في آدم، بسبب عصمة النبوة. في هذا الواقع، الناحية الأولى من « نصرانية » النبوة في القرآن : « وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » (طه 121 - 122)، « فتلقى آدم من ربه كلمات، فتاب عليه، إنه هو التوّاب الرحيم » (البقرة 37). وقصة سجود الملائكة لآدم (2 : 34؛ 7 : 10؛ 17 : 61؛ 18 : 51؛ 20 : 116) برهان على أنه التجسيد الأول « للنبي الحق » . وفي القرآن تبدأ سلسلة النبوة بآدم : « إِن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، ذريةً بعضها من بعض، والله سميع عليم » (آل عمران 33 - 34). لكن ورثة الذرية المصطفاة على العالمين هم النصارى من بني إسرائيل : « أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين : من ذرية آدم، وممن حملنا مع نوح، ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل، وممن هدينا واجتبينا، إذا تتلى عليهم آيات الرحمان خرّوا سجداً وبكياً » (مريم 58 قابل آل عمران 113).

وميثاق الله للنبيين بالإيمان « بالكتاب والحكمة » ومن يدعو لهما، هو صورة ثانية « لنصرانية » النبوة في القرآن : وإذ أَخذ الله ميثاق النبيين : لما أَتيتكم من كتاب وحكمة، ثم جاءكم رسول مصدّق لما معكم، لتؤمنن به، ولتنصرنه » (آل عمران 81). و « الكتاب والحكمة » ، هما التوراة والإنجيل، في اصطلاحه.

---

(1) Cullmann : Christologie du nouveau Testament p. 42 et 127

فمحور ميثاق النبوة هو الإيمان بالتوراة والإنجيل، كما يدعو إليهما النبي العربي، وصحة نبوته في هذه الدعوة إليهما. وهذه هي « نصرانية » القرآن في النبوة.

وحصر « النبوة والكتاب » في بني إسرائيل، صورة ثالثة « لنصرانية » النبوة في القرآن : « ووهبنا له إسحاق ويعقوب، وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب » (العنكبوت 27). فالنبي العربي ينتسب إلى « النبوة والكتاب » في بني إسرائيل : « وأورثنا بني إسرائيل الكتاب » (40 : 53)، لكن إلى المهتدين منهم، لا إلى الفاسقين؛ أي إلى الذين يؤمنون بالتوراة والإنجيل، النصارى من بني إسرائيل (الحديد 26 - 27).

وانتهاء النبوة بالمسيح، صورة رابعة « لنصرانية » النبوة في القرآن : « ولقد آتينا موسى الكتاب، وقفينا من بعده بالرسل، وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » (البقرة 87). فقد « قفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم » (المائدة 49)، لكن لم يقفّ على عيسى بأحد، بحرف « التقفية » . وهذه التقفية استقرت في المهتدين من أهل الإنجيل، لا في الفاسقين منهم، أي استقرت في النصارى من بني إسرائيل (الحديد 27).

وتلك التقفية التي تنتهي بالمسيح في « النبوة والكتاب » تجعله النبي الأعظم الموعود، كما في إنجيل النصارى حيث روح القدس الذي يؤيده يقول له في عماده : « يا بني، في كل الأنبياء انتظرت ظهورك حتى استقر فيك، فأنت ابني البكر المالك إلى الأبد » . وقول القرآن « أيدناه بروح القدس » (البقرة 87 و253) هو قول إنجيل النصارى : « كل ينبوع الروح القدس ينزل ويحل عليه » .

وما النبوة في القرآن إلا من النبوة في الكتاب : « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده » (النساء 162)، لكن على طريقة « الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ... فبهداهم اقتده » (الأنعام 90) أي النصارى من بني إسرائيل.

فصيغة الإيمان بالنبوة، في القرآن، صيغة « نصرانية » .

*

سادساً : صيغة الإيمان بالكتاب

اليهود « يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض » (البقرة 85)؛ والمسيحيون يؤمنون « بالكتاب كله » ، لكنهم يقيمون أحكام الإنجيل من دون التوراة. أما النصارى من بني إسرائيل ومن « تنصّر » معهم من العرب، مثل ورقة بن نوفل، كانوا يؤمنون بالكتاب كله، ويقيمون أحكام التوراة والإنجيل معاً.

وهذه هي صيغة الإيمان بالكتاب، في القرآن، يصرّح لجماعته : « وتؤمنون بالكتاب كله » (آل عمران 119)؛ ويعلن لأهل الكتاب كلهم المبدأ النصراني بضرورة إقامة التوراة والإنجيل : « قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليكم من ربكم » (المائدة 71). فهولا يشرع لهم أحكام القرآن، إنما يدعوهم بالدعوة « النصرانية » إلى إِامة التوراة والإنجيل.

ويشرع للعرب دين الكتاب، دين موسى وعيسى معاً ديناً واحداً (الشورى 13) أي « ما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (البقرة 136 و285). هذه هو الإسلام الذي لا يرضى الله عنه بديلاً (آل عمران 85).

والنبي العربي إنما جاء لكي « يعلمهم الكتاب والحكمة » (2 : 129؛ 3 : 164؛ 62 : 2)، « ويعلمكم الكتاب والحكمة، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » (البقرة 151).

لذلك فهو يسمي التوراة والإنجيل « **كتاب الله** » (2 : 101؛ 3 : 23؛ 5 : 47؛ 8 : 75؛ 9 : 37؛ 30 : 56؛ 33 : 6؛ 35 : 39). وما القرآن العربي سوى « تفصيل الكتاب » (يونس 37) أي قرآن مبين لآيات الكتاب : « تلك آيات الكتاب وقرآن مبين » (الحجر 1؛ قابل 10 : 1؛ 12 : 1؛ 13 : 1؛ 26 : 2؛ 28 : 2؛ 31 : 2). ويقسم بالكتاب أنه أنزله أي جعله قرآناً عربياً :

« والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة » (الدخان 2 - 3)؛ « والكتاب المبين، إنا جعلناه قرآناً عربياً، لعلكم تعقلون » (الزخرف 2 - 3).

وهذا الإيمان بالكتاب يأتي على هدى « الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ... أولئك الذين هدى الله، فبهداهم اقتده » (الأنعام 90) أي على هدى النصارى من بني إسرائيل.

فصيغة الإيمان بالكتاب، في القرآن، صيغة « نصرانية » .

*

سابعاً : صيغة الإيمان بالإنجيل

هذه الصيغة هي التي تجعل صيغ الإيمان كلها في القرآن « نصرانية » .

لقد رأينا أن النصارى من بني إسرائيل ما كانوا يقبلون إلا الإنجيل الوحيد المكتوب بالحرف العبراني. وهذا الإنجيل هو الذي يترجمه قس مكة، ورقة بن نوفل، إلى العربية، بحسب الحديث الصحيح عن عائشة، عند الشيخين؛ وذلك على مشهد ومحضر من محمد. والقرآن لا يعرف إلا الإنجيل على حرف واحد، فيذكره دائماً مفرداً، وعلى العلمية. **فهو لا يعرف إلا إنجيل « النصارى » .**

عند المسيحيين نسخ الإنجيل شريعة التوراة؛ أما عند النصارى فالإنجيل تصديق للتوراة، وتخفيف لأحكامها. وهذا هو موقف القرآن منه : « وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم، مصدّقاً لما بين يديه من التوراة، وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة، وهدى وموعظة للمتقين » (المائدة 46)؛ فالإنجيل، بصفة كونه مصدقاً لما قبله من التوراة، هو « هدى وموعظة للمتقين » من العرب، أي على الطريقة « النصرانية » .

وذلك كله لأن الإنجيل بالنسبة لكتاب موسى الإمام **كان الحكمة :** « ولما جاء عيسى بالبينات قال : قد جئتكم بالحكمة، ولأبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه » (الزخرف 63). وهكذا تواتر التعبير عن التوراة والإنجيل أنهما

« الكتاب والحكمة » (آل عمران 48؛ المائدة 113)، « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة » (النساء 112)، « وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة » (البقرة 231). ومحمد بالقرآن « يعلمهم الكتاب والحكمة » ، « يعلمكم الكتاب والحكمة، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » (2 : 129 و151؛ 3 : 164؛ 62 : 2).

وكان الإنجيل أيضاً الحكمة ـ وبالعبرية والآرامية : الحكم ـ بالنسبة للكتاب والنبوة. والمسيح قد آتاه « الله الكتاب والحكم والنبوة » (آل عمران 79). وأهل « الكتاب والحكم والنبوة » هم النصارى الذين على محمد أن يقتدي بهم (الأنعام 90)، فقد جعله الله « على شريعة من الأمر » أي أمر الدين، التي جعل عليها « من قوم أمة يهدون بالحق وبه يعدلون »، من بني إسرائيل الذين آتيناهم « الكتاب والحكم والنبوة » (الجاثية 15 ـ 17). واحتفاظ القرآن بالحرف النصراني للحكمة ـ « الحكم » ـ برهان آخر على صيغة إيمانه بالإنجيل؛ واحتفاظه بالاصطلاح الجامع للكتاب كله، برهان آخر.

فصيغة الإيمان بالإنجيل، في القرآن، صيغة « نصرانية » .

*

ثامناً : صيغة الإيمان بالقرآن

نجدها جامعة مانعة في قوله : « قل : أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله ... ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة وهذا كتاب مصدّق لساناً عربياً، لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين » (الأحقاف 10 و12). فالقرآن من عند الله لأنه « كتاب مصدّق » للكتاب الإمام، **على صورة « المثل »** الذي يشهد به الشاهد من بني إسرائيل النصارى، ولا يختلف عنه إلا باللسان العربي. وكما كان « المثل » النصراني، جاء القرآن العربي إنذاراً لليهود الظالمين، وبشرى للنصارى المحسنين. فالقرآن في ذاته، وفي مصدره، وفي غايته « تأييد » للطائفة من بني إسرائيل التي آمنت بالمسيح، على الطائفة التي كفرت به (الصف 14)، في الدين الذي يشرعه للعرب

(الشورى 113) وفي الإسلام الذي يشهد به، على شهادة النصارى، وأولي العلم قائماً بالقسط » (آل عمران 18).

فما القرآن سوى « تفصيل الكتاب » (يونس 37) على مثال « المثل » النصراني؛ فهو « بيّنة ما في الصحف الأولى » ، « وإنه لفي زبر الأولين : أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماءُ بني إسرائيل » ، النصارى (الشعراء 197). فالقرآن دعوة « نصرانية » ، « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » ! (2 : 146؛ 6 : 20).

فصيغة الإيمان بالقرآن صيغة « نصرانية » .

*

تاسعاً : صيغة الإيمان بالنبي العربي

يطلق القرآن على محمد صفة النبي، وصفة الرسول، ولا يميز بينهما كما فعل بعض المتكلمين، ولكن بمعنى نذير، كما يدل عليه **الاقتصار والاختصاص** في قوله : « إن أنا إلا نذير مبين » (7 : 183)؛ « إن أنا إلا نذير وبشير » (7 : 187)؛ « إنما أنت نذير » (11 : 12)، « إنما أنا لكم نذير مبين » (22 : 49)؛ « إن أنا إلا نذير مبين » (26 : 115)؛ « وإنما أنا نذير مبين » (29 : 50؛ 38 : 70؛ 67 : 26)؛ « إن هو إلا نذير لكم » (34 : 46؛ 11) « إنْ أنت إلا نذير » (35 : 23)؛ « وما أنا إلا نذير مبين » (46 : 9).

يؤيد ذلك قوله : « أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً » (2 : 119؛ 35 : 24)، « شاهداً ومبشراً ونذيراً » (33 : 45؛ 48 : 8) ـ أي « وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً » (17 : 105؛ 25 : 56). فما هو « إلا نذير من النذر الأولى » (53 : 65)، « **وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** » (35 : 24).

وتفسّره الصفة المتواترة لنبوته : « **صدّق المرسلين** » (27 : 37)، فكان القرآن نفسه « تصديق الذي بين يديه » أي قبله (10 : 37؛ 12 : 111)، « مصدقاً لما معكم » (2 : 41؛ 4 : 46)، « مصدقاً لما معهم » (2 : 91)،

« مصـدّق لمـا بـين يديـه » (2 : 97؛ 3 : 3؛ 5 : 49 و51؛ 35 : 31؛ 46 : 30)؛ فهـو « مصدّق لما معهم » (2 : 89 و101)، « مصدّق لما معكم » (3 : 81) « مصدق الذي بين يديه » (6 : 92). فهو « كتـاب مصدق » (46 : 12) لا يختلف عن « المثل » النصـراني إلا باللسـان العربي (46 : 10 و12).

فالنبي العربي يؤمن بنفسه كما يؤمن به النصارى من بني إسرائيل : « أفمن كـان علـى بيّنة من ربه ـ ويتلوه شاهد منه، ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة ـ أولئك يؤمنون بـه؛ ومـن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده، **فلا تك في مرية منه** » (هود 17). يتلو على محمد قرآن الكتاب « شاهد منه » ، هو نفسه « شـهد شـاهد من بنـي إسرائيل على مثلـه » (الأحقاف 10) : فالنصارى من بنـي إسرائيل « الـذين علـى بينـة مـن ربهم يؤمنـون بـه » بخلاف أحزاب اليهود والمشركين الذين يكفرون بمحمد والقرآن. وبسبب شهادة أهل البينة، النصارى، فما علـى محمد أن يكون في « مرية منه » أي من القرآن، وما عليه أن يكون « في مرية من لقائه » (32 ـ 23) أي من لقاء الكتاب، بواسطة ذلك « المثل » الذي يتلونه عليه. لذلك فالقول الفصل : « قل : كفى بالله شهيداً بيني وبينكم، ومن عنده علم الكتاب » (الرعد 45).

« من عنده علم الكتاب » الذين يكتفي بشهادتهم، وشهادتهم لـه وللقرآن وللإسلام مـن شهادة الله (آل عمران 18)، الذين عليه أن يقتدي بهداهم (الأنعام 90) هم الأمـة المثاليـة مـن أهل الكتاب، « يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » (آل عمران 113)، « عباد الرحمان ... يبيتون إلى ربهم سجداً وقياماً ... (ويقولون) واجعلنا للمتقين إماماً » (الفرقان 74)؛ كما هم إمام لمحمد نفسه : « فلا تكن في مرية من لقائه، وجعلناه هدى لبنـي إسرائيل، وجعلنا منـهم أئمة يهدون بأمرنا » (السجدة 23 ـ 34) وهم النصارى من بني إسرائيل: « أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنو إسرائيل » (الشعراء 157)، النصارى منهم، لا اليهود، « أول كافر به » .

فـالنبي العربـي يـؤمن بنفسـه، ويـؤمن بـالقرآن، بنـاءً علـى شـهادة النصـارى مـن بنـي إسرائيل؛ ويشهد بشهادتهم « أن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران 18).

فصيغة الإيمان بالنبي العربي، في القرآن، صيغة « نصرانية » .

*

عاشراً : صيغة الإيمان بخاتمة النبوة والكتاب

في القرآن صفة يتيمة لا ثاني لها : محمد « **خاتم النبيين** » (الأحزاب 40). فسّروها بمعنى خاتمة الأنبياء: ولا أصل لهذا المعنى في القرآن كلـه. إنمـا المعنـى المتـواتر أنـه « **خاتم** » **بمعنى** « **مصدّق** » ، كما رأينا.

والتعبير القرآني لمعنى الخاتمة هو **التقفية على الرسل لمن لا تقفية عليه**. وهذا المعنى لا يرد في القرآن إلا بالنسبة للمسيح وحده ثلاث مرات : « ولقد آتينا موسى الكتـاب، وقفينـا مـن بعده بالرسل، وآتينا عيسى ابن مريم البينـات وأيدناه بـروح القدس » (البقرة 87)، « **وقفينـا علـى آثـارهم بعيسـى ابـن مـريم** » (المائـدة 49)، « ولقـد أرسـلنا نوحـاً وإبـراهيم وجعلنـا **فـي ذريتهما النبوة والكتاب**، ثم قفينا على آثارهم برسلنا، وقفينا بعيسى ابن مريم **وآتيناه الإنجيل** » (الحديد 27). لقد قفّى الله علـى الرسـل بعيسـى، وعلـى النبـوة والكتـاب اللـذين حصـرهما ببنـي إسرائيل قفى بالإنجيل. ولا يذكر القرآن **تقفية** على الإنجيل، ولا تقفية على المسيح.

ويؤيد ذلك أن فضل المسيح على المرسلين أجمعين هو **تفضيل الله له** « **بالبينات وتأييد روح القدس** » (البقرة 87 و253) لا يفارقه ساعة، ويسير معه حيث سار (الجلالان)؛ فهو تأييد فـي السيرة والرسالة، وعصمة فـي التنزيل والدعوة والسلوك، واستيلاء الـروح القدس علـى المسيح في أحواله وأعماله وأقواله، وهذا ما لا نرى له صورة لغيره، فـي القرآن، حتـى لمحمد نفسه. ففي اصطلاح القرآن

ووصفة للمسيح والإنجيل، يجعل السيد المسيح بالإنجيل خاتمة النبوة والكتاب وما القرآن سوى « تفصيل الكتاب » على صورة « المثل » النصراني.

فصيغة الإيمان بخاتمة النبوة والكتاب، في القرآن، صيغة « نصرانية » .

*

تلك صيغ عشر للإيمان، في محور تعليم القرآن.

وهو ينتمي فيها صريحاً إلى « من عنده علم الكتاب » (الرعد 45)، إلى « علماء بني إسرائيل » (الشعراء 197)، المقسطين منهم، لا الظالمين، أي النصارى من بني إسرائيل، لا اليهود. فهم « أهل العلم والإيمان » الذين تدوم شهادتهم إلى يوم الدين (الروم 56)، « الراسخون في العلم » الذين يعتمد عليهم للإيمان بمتشابه القرآن كما بمحكمه (آل عمران 7)، « لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أُنزل إليك، وما أُنزل من قبلك » (النساء 161)؛ فالعلم والإيمان واحد بين جماعة محمد والنصارى من بني إسرائيل، الطائفة التي آمنت بالمسيح فنصرها القرآن على عدوهم اليهود (الصف 14). لذلك « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة 11)، لأن القرآن وأهله يشهدون بشهادتهم « أن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران 18)؛ بل القرآن نفسه « هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » (العنكبوت 49)، فهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » ، معرفة الوالد لوليده (الأنعام 20؛ البقرة 146)؛ وقد « شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » (الأحقاف 10) : فليس هو سوى « تفصيل الكتاب » (يونس 37) أي تعريب « المثل » النصراني.

بسبب هذا الانتماء المطلق، ظهرت « نصرانية » القرآن في صيغ الإيمان.

* * *

بحث خامس

« نصرانية » القرآن في عقيدته

لقد رأينا (ص 46) أن « النصرانية » عند بني إسرائيل، كانت بعد عهد الرسل الحواريين ردّة عن « حقيقة الإنجيل » ، في تشيعها للتوحيد التوراتي وشريعته. فنتج عن ذلك في الكلام « النصراني » الكفر بالتثليث الإنجيلي؛ والكفر بإِلهية المسيح، وتجسد كلمة الله مسيحاً في عيسى ابن مريم، والكفر بمعنى الفداء في استشهاده.

وهذه هي العقيدة « النصرانية » التي تفصلها الدعوة القرآنية.

وليس بين القرآن و « النصرانية » **مطابقة في العقيدة** فحسب؛ إنما القرآن ينتسب **انتساباً مطلقاً** إلى « النصرانية » في التوحيد المنزل بحرفه ومعناه، سلباً : « لا إِله إِلا الله » ، وإيجاباً : « قل : هو الله أحد » (الإخلاص، قابل مرقس 12 : 29، التثنية 6 : 4) : وفي الإسلام، دين الله الأوحد الذي يشهد به القرآن بشهادة « أولي العلم قائماً بالقسط » (آل عمران 18 و85)؛ وفي الدعوة والجهاد الذين بهما يؤيد القرآن الطائفة من بني إسرائيل التي آمنت بالمسيح، حتى ظهورها على اليهودية في الجزيرة (الصف 14). فالقرآن هو الدعوة « النصرانية » عينها، يقوم بها النبي العربي بصفة كونه « **أول المسلمين** » أي « **رئيس النصارى** » بمكة.

لذلك فالقرآن يقف في عقيدته، من اليهودية ومن المسيحية، موقف « النصرانية » ذاته.

*

أولاً : عقيدة القرآن في « الروح »

إن عقيدة القرآن في « الروح » **متشابهة**، كما كانت في « النصرانية » طوال

عهد الفترة. لقد عبّرت « النصرانية » في العقيدة الإنجيلية، من تثليث وتجسد وتنزيل، بلغة ملائكية، لغة « الروح » . وفي ذلك حدودها وقيودها التي جعلتها شيعة، بالنسبة إلى السنة المسيحية في فرقها كلها.

يطلق القرآن اسم « روح » على الإنسان والملاك والجن، وعلى المسيح، كلمة الله، وعلى روح القدس أي جبريل في عرفه كما في عقيدة النصارى. فالله « روح » والملائكة « أرواح » ، لكن شتان ما بين « الروح » الخالق و « الروح » المخلوق. والأرواح الملائكية لم تتجرّد من الجثمانية إلا في المسيحية التي وصفتها بالأرواح « التي لا جسد لها » ، بينما ظلت « النصرانية » في كلامها على تراث اليهودية المشوب بالتشبيه.

1ـ فالإنسان روح : « ثم سواه ونفخ فيه من روحه » (السجدة 9)؛ « فإذا سويته ونفخت فيه من روحي ... » (ص 51). وروح الإنسان لها مرادف، النفس: « خلقكم من نفس واحدة » (النساء 1؛ الأعراف 189؛ الزمر 6؛ الأنعام 98). ففي الإنسان « روح » كما الملاك، ولو « بدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين » (السجدة 7). لذلك « كل نفس ذائقة الموت » (آل عمران 185).

2- والإيمان بالملائكة من أركان الإسلام (البقرة 177). فهم أرواح مخلوقة، حتى « الملائكة المقربون » منهم (النساء 171). فهم ليسوا أبناء الله، أو بنات الله، بل « عباد مكرمون » (الأنبياء 26). وللملائكة، في نظر القرآن، **جثمانية غامضة**، فالله هو « جاعل الملائكة رسلاً **أولي أجنحة**، مثنى وثلاث ورباع، يزيد في الخلق ما يشاء » (فاطر 1). وهو يجسم الملائكة وعرش الله : « ويحمل عرش ربك من فوقهم يومئذٍ ثمانية » (الحاقة 17)، « الذين يحملون العرش، ومن حوله، يسبحون بحمد ربهم » (غافر 7).

فللأرواح الملائكية وظائف عند الله ووظائف في خلقه : « وهو القاهر فوق

عباده، ويرسل عليكم حفظة » (الأنعام 61)؛ والإنسان « له معقبات من بين يديه ومن خلفه، يحفظونه من أمر الله » (الرعد 11)، « يتلقى المتلقيان، عن اليمين وعن الشمال قعيد » (ق 17)، ملاك للخير، وقرين للشر، « إن رسلنا يكتبون ما تمكرون » (يوسف 20). ومن وظائفهم وفاة البشر، « الذين تتوفاهم الملائكة » (النحل 28)، « حتى إذا جاءت رسلنا يتوفونهم » (الأعراف 7)؛ ومنهم ملاك الموت: « قل: يتوفاكم **ملاك الموت** الذي وُكل بكم » (السجدة 11). ومن وظائفهم حراسة جهنم : « عليها تسعة عشر! وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة » (المدثر 30). لكن وظيفتهم الخاصة تنزيل الوحي : « ينزّل الملائكة بالروح على من يشاء من عباده » (النحل 2)، فهم رسل الله للبشر؛ « والله يصطفي من الملائكة رسلاً، ومن الناس » (الحج 75). وهذا التعليم نجده في المصادر النصرانية[1].

3ـ وفي عالم الملائكة نجد « **الروح** » . هو سيدهم في التنزيل : « ينزّل الملائكة، بالروح، على من يشاء من عباده » (النحل 2)، كأن « الروح » منهم وليس منهم. ويتزعم الملائكة في يوم الدين، « يوم يقوم الروح والملائكة صفاً » (النبأ 38)، « تعرج الملائكة والروح في يوم ... » (المعارج 4).

4ـ وهناك روح الله الذي بشر مريم، « فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً » (مريم 16). وروح الله الذي نفخه في مريم : « فنفخنا فيها من روحنا » (الأنبياء 91)، « فنفخنا فيه من روحنا » (التحريم 12). وروح القدس الذي أيد به المسيح : « وأيدناه بروح القدس » (البقرة 87 و253). وروح القدس الذي أنزل القرآن : « قل : نزّله روح القدس من ربك بالحق » (النمل 102). والمسيح نفسه هو « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » (النساء 170).

(1) قابل رسالة برنابا (18 : 1) هرمس : الراعي، فصل الأحكام (ك 2 ف 2 ع 2 - 5).

5- أخيراً هناك **الروح المطلق** : « ويسألونك عن الروح؟ قل : الروح من أمر ربي. وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » (الإسراء 85). فليس في القرآن إلا القليل من العلم « بالروح » . وهذا التشابه الذي يخيم على تعابير « الروح » في لغته واصطلاحه موروث عن « النصرانية » التي يدعو بها[1] . وهذا التشابه عينه هو أصل الخلاف بين النصرانية والمسيحية في العقائد المختلف فيها. وقد انتقل هذا التشابه عينه إلى القرآن نفسه. وفي الحوار، في هذا الخلاف، علينا ألا ننسى تقرير القرآن عن نفسه : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً »: « فاسألوا أهل الذكر، إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر » .

فعقيدة « الروح » المتشابهة واحدة ما بين القرآن و « النصرانية » .

*

ثانياً : عقيدة القرآن في « كلمة الله »

إن تعبير « كلمة الله » كذات عبر من الهلنستية إلى الغنوص إلى الكلام الإسرائيلي. أَما المعنى في « كلمة الله » كذات فهو من أصل كتابي، من **كلمة الله الخلاقة** في بدء التكوين، إلى **حكمة الله** الخالقة والعاملة في الكون، والمنزلة والنازلة في الوحي الإلهي.

لذلك فالتعبير كان شائعاً في كل الأوساط، في عصر المسيح، كما نجده عند معاصر المسيح، فيلون اليهودي الاسكندري، شيخ متكلميهم حينئذٍ.

والمسيح، وإن لم يصف نفسه بهذا التعبير، فقد وجد تلاميذه وصحابته أنه أفضل وصف لسرّ شخصيته، فأخذوا يطلقونه عليه. وبسبب الانحرافات التي بدأت تتسرّب إلى العقيدة في المسيح، « كلمة الله » ، افتتح الإنجيل بحسب يوحنا تعريف المسيح وصفته بقوله :

---

(1) قابل هرمس : الراعي : المتشابهات (6 : 2 - 5)؛ عهد لاوي (3 : 5 - 7)؛ إسراء بطرس (في مواطن مختلفة).

« في البـدء كان الكلمة والكلمـة كـان في الله
والله كـان الكلمـة فهـو منذ البدء في الله »

وهـذا إعـلان صـريح بإلهيـة المسـيح، بصـفة كونـه « كلمـة الله » . والترجمـة العربيـة والسامية للتعبير اليوناني تدخل عليه شبهة بين « كلمة الله » وكلام الله. أما الحـرف اليونـاني « لوغس » فيعني « **نطق الله » الذاتي**. فالمسيح في سره، قبل إلقائه إلى مريم، هو نطق الله، من ذات الله، في ذات الله. بهذا التعريف قطع الإنجيل كل انحراف في تأويل التعبير الكريم.

لكـن النصـارى مـن بنـي إسـرائيل، المتمسـكين بحـرف التوحيـد وظـاهره، فهمـوا اللقـب السامي على ضوء الكـلام الفيلوني. إن « كلمة الله » ، عند فيلون، هـو « **أول خلـق الله** » ، و « **واسطة خلق الله** » . فهو ذاته « **ملاك كلمـة الله** »[1] ، « **أقدم الملائكة وأول الملائكة** »[2] . وبهـذا المعنى انتقل إلى الكلام « النصراني » .

جاء عنـد هرمس، فـي كتابـه (الراعـي 8 : 2) : « إن الله، لمّا أراد أن يخلـق الملائكـة المقربين، من نار، على عدد سبعة، قضى أن يجعل أحدهم ابنه ». فالمسيح، بصـفة كونـه « ابـن الله » هو أحد الملائكة السبعة المقربين، وبنوته لله مجازية، وغارقـة فـي التشـبيه: « مـن نـار » . فهو في كلامهم المتواتر : « **ملاك كلمة الله** » أي أن « أول الملائكة » اسمه « كلمـة الله » : فهـو « **روح منـه** » تعالى.

وهذا ما يؤكده علماء المسيحية فيهم. يقول ترتليان[3] : « انهم يجعلون المسيح بشراً بحتاً، لكنه أعظم من الأنبياء، من حيث فيـه مـلاك كمـا يقولـون » . ابيفـان [4] يصـرّح : « **ينكـرون بـأن الكلمة مولود من الآب**، لكنهم يقولون

---

(1) فيلون : كتاب « الأرواح » 1 : 239.
(2) فيلون : « في بلبلة الألسن » ص 146 - 147.
(3) في جسد المسيح ك 14 ف 5.
(4) الشامل في الهرطقات ك 30 ف 16.

بأنه خلق من رؤساء الملائكة، وهو يملك على الملائكة وعلى كل ما صنع القدير » ، فهو ميكال، رئيس الملائكة.

وهذه هي عقيدة القرآن في المسيح « كلمة الله » .

إن القرآن يعرّف دائماً بالمسيح أنه « كلمة الله » . وهذا يرفعه عن كونه « ابن مريم » فقط. بهذا اللقب العظيم آمن يحيى المعمدان : « إن الله يبشرك بيحيى، **مصدقاً بكلمة من الله** » (آل عمران 39). كذلك « قالت الملائكة : يا مريم إن الله **يبشرك بكلمة منه**، اسمه المسيح، عيسى، ابن مريم، وجيهاً في الدنيا والآخرة **ومن المقربين** » (آل عمران 45). هذه هي العقيدة « النصرانية » بحرفها : إن المسيح، وإن كان « عيسى ابن مريم » ، فهو أيضاً « من المقربين » بين الملائكة.

فالمسيح في ذاته السامية هو إذن **« روح » أي ملاك.** هذا ما يؤكده قوله : « والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا، وجعلناها وابنها آية للعالمين » (الأنبياء 91). وقوله « من روحنا » يعني، على الفاعل، الملاك النافخ؛ وعلى المفعول، الروح المنفوخ الملقى إلى مريم. وفي آية أخرى يجمع الصفة والموصوف : « ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها، فنفخنا فيها **من روحنا**، وصدّقت **بكلمة ربها** وكتابه، وكانت من القانتين » (التحريم 12). هذه القراءة أصح من قراءة « كلمات ربها وكتبه » . فمريم صدقت بالمسيح « كلمة الله » وبكتابه الإنجيل. والمسيح، « كلمة الله » هو روح من الله أُلقي إليها.

ويأتي التعريف الجامع المانع في قوله : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق : إنما المسيح، عيسى، ابن مريم : رسول الله، **وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ...** لن يستنكف المسيح أن يكون **عبداً لله**، ولا الملائكة المقربون » (النساء 170 - 171). إن المسيح بصفة كونه « كلمة الله » هو « روح منه » تعالى، ومن « الملائكة المقربين » ، لذلك فهو « عبد » لا رب. فالقرآن يردّ على وفد نجران المسيحي بالعقيدة « النصرانية » .

ففي القرآن، كما في « النصرانية » ، إن المسيح، بصفة كونه «كلمة الله » هو « **روح منه** » . إنه « **الملاك المجيد** » ، « **الملاك الحميد** » ، « **الملاك القدوس** »[1] . وتطور الكلام النصراني فصار «كلمة الله » : « **ميكائيل رئيس الملائكة العظيم** »[2] . وهذا هو دوره عندهم : « فتقربوا من الله، ومن الملاك الذي يشفع فيكم، بما أنه الوسيط بين الله والناس »[3]. إنه «ملاك الله » ، « الملاك العظيم » ، ميكائيل »[4].

فعقيدة القرآن في سر المسيح، «كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » هي العقيدة « النصرانية » بحرفها ومعناها.

*

ثالثاً : عقيدة القرآن في « روح القدس »

هنا تتجلى « نصرانية » القرآن، في عقيدته، بأجلى مظاهرها.

في علم الكلام « النصراني » ، الروح القدس، أو روح القدس، هو « **ملاك القدس**[5] ». وصار اسمه **جبرائيل**، وهو معدود ومسمى بين الملائكة السبعة المقربين[6] .

ويصفه (إسراء أشعيا) المنحول واقفاً عن شمال الله : « قلت : من هذا؟ قال لي الملاك (المرافق له) : اسجد له، أنه ملاك الروح القدس، الذي نزل عليك، والذي نطق بسائر الصديقين » (ك 9 ف 27 ع 36).

---

(1) هرمس : الراعي 5 : 2؛ 7 : 1؛ 5 : 1، 7.
(2) أخنوخ الثاني ك 12 ف 11 ع 16؛ هرمس : الراعي ك 8 ف 3 ع 3.
(3) عهود الأسباط الاثني عشر : عهد دان (6 : 2)، عهد لاوي (5 : 6).
(4) إسراء أشعيا ك 9 ف 39.
(5) إسراء أشعيا ك 9 ف 27 ع 36.
(6) هرمس : الراعي ك 9 ف 7 ع 12.

وفي سفر (أخنوخ الثاني) المنحول نقرأ في إسرائه إلى الله : ‹‹ أرسل الله جبريل، أحد الأمجاد، الذي قال لي : تشجّع يا أخنوخ، قم وتعال معي وقف في حضرة الرب ... وحملني جبريل وأقامني في حضرة الرب ›› (ك 11 ف 15؛ ك 12 : ف 13). ووقف جبريل عن شمال الرب. وناداني الرب وأقامني عن شماله، قرب جبريل، وأخذت أعبد الرب ›› (ك 14 ف 3 ع 4).

ففي الكلام ‹‹ النصراني ›› ، إن جبريل هو ‹‹ ملاك الروح القدس ›› .

وهذه هي عقيدة القرآن : جبريل هو روح القدس الذي نزَّل القرآن على محمد. يقول : ‹‹ قل : نزّله روح القدس من ربك بالحق ›› (النحل 102)؛ ‹‹ نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المرسلين ›› (الشعراء 194 - 195)؛ ‹‹ قل : من كان عدواً لجبريل! فإنه نزَّله على قلبك بإذن الله، مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ›› (البقرة 97).

إن ‹‹ نصرانية ›› القرآن في ‹‹ الروح القدس ›› تظهر أولاً من اسمه : جبريل؛ ثانياً من دوره في التنزيل : هو نزل القرآن على محمد، كما أسرى بأشعيا وأخنوخ، وأوحى إليهما. فيظهر أن الوحي بواسطة روح القدس، جبريل، إنما هو أسلوب للدعوة.

فعقيدة القرآن في اسم ‹‹ روح القدس ›› جبريل، وفي صفته ‹‹ روح القدس ›› وفي دوره بالإسراء والوحي والتنزيل، هي العقيدة ‹‹ النصرانية ›› بحرفها ومعناها.

وفي ذلك كشف الغطاء عن تسمية القرآن لروح القدس بأنه جبريل، ملاك الوحي. إنها العقيدة ‹‹ النصرانية ›› التي بها يدعو القرآن.

*

رابعاً : ما بين التوحيد والتثليث في عقيدة القرآن

التثليث الإنجيلي من صلب التوحيد. إنه تفسير منزل في الإنجيل لحياة الحي القيوم في ذاته الصمدانية. يقول المسيحيون المؤمنون به إن ‹‹ كلمة الله ›› كما

حدّده الإنجيل بحسب يوحنا هو « اللوغس » نطق الله الذاتي، من ذاته، في ذاته، لذاته. فليس هو كلام الله الصادر عنه في الخلق أو في الوحي والتنزيل. ونطق الله الذاتي ذات في ذات الله، يصدر عن الله صدور النطق عن العقل في المخلوق، وهو يتسلسل من ذات الله، في ذات الله، كما يصدر الابن عن والده في عالم المخلوق، مع كامل التجريد والتنزيه.

وروح القدس، على الإضافة، إلى « القدس » الذي هو الله؛ أو الروح القدس على الصفة حيث « القدس » كناية عن التجريد والتنزيه والتشبيه، به يتميز روح الله عن كل روح مخلوق.

فالله ونطقه الذاتي وروحه أو حبه الذاتي، في تثليث صفات ذاتية، أو صلات كيانية، لا هي عين الذات، ولا هي غيرها، وهو ما يسمونه بلغة شعبية : الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد الأحد.

والخلاف الجوهري بين المسيحية والنصرانية الإسرائيلية هو في فهم شخصية « كلمة الله » وشخصية « الروح القدس » . لقد فهمتها المسيحية بأنهما صفتان ذاتيان كيانيتان في الله، لا هما عين الذات ولا هما غيرها؛ وهذا عندهم سر التثليث في التوحيد المنزل. أما النصارى من بني إسرائيل، فبتأثير التوحيد التوراتي والكلام الفيلوني في صفة « كلمة الله » وفي صفة « الروح القدس » ، قد فهموها بلغة ملائكية. فكان « كلمة الله » عندهم « ملاك كلمة الله » ، والروح القدس « ملاك روح القدس » : فهما روحان من الملائكة المقربين.

وقد رأينا أن « ملاك كلمة الله » صار عندهم ميكائيل، أو ميكال، و « ملاك روح القدس » ، جبريل. وهذه هي عقيدة القرآن في « كلمة الله » ، وفي « روح القدس » : إنها العقيدة « النصرانية » بحرفها ومعناها.

كان المسيحيون في الأجيال الأولى يوجزون عقيدتهم في المسيح، ويرمزون إليها بتعبير « **إِخثيس** » . والكلمة تعني لغة « السمكة » ، واصطلاحاً بحسب أسلوب الحروف المتقطّعة، حيث كل حرف مقطوع من بدء الاسم المرموز

إليه. فكان تعبير « إِخثيس » يعني عندهم : « يسوع المسيح، ابن الله، المخلص » . وأسلوب الأحرف المتقطعة الرمزية يهودي، نصراني مسيحي، وصل إلى القرآن، كما في مطلع بعض سوره، لكن لم يحفظ أحد معناها فضاعت مع كتبة القرآن.

وعبر اسم « إِخثيس » إلى « النصرانية » من المسيحية، فحشروه بحسب عقيدتهم بين الملائكة المقربين الستّة فصاروا سبعة، وبينما أسماء الستة عبرية، بقي اسم « إِخثيس » على حرفه اليوناني. وهذه هي أسماء الملائكة المقربين السبعة بحسب هرمس في كتابه (الراعي ك 9 ف 7 ع 12) :

« غفريل، رئيل، أوريل ـ إِخثيس ـ ميكائيل، جبرائيل، عزرائيل » .

فالمسيح، إِخثيس، هو أحد الملائكة المقربين، يتوسطهم كزعيمهم، وينفرد عليهم باسمه. وأضاف (الراعي 8 : 2) : « إن الله، لما أراد أن يخلق الملائكة المقربين، من نار، على عدد سبعة، قضى أن يجعل أحدهم ابنه » . فالمسيح هو « من المقربين » ، وصار « ابن الله » على الأخذ والاصطفاء. فصارت بنوة « إِخثيس » الإلهية، عند النصارى، بنوة مخلوقة. وبسبب هذه الشبهة، فقد نقضها الكلام « النصراني » فيما بعد.

وبما أن الكلام « النصراني » مجمع على أن « روح القدس » هو جبريل، كان أيضاً أحد الملائكة السبعة المقربين.

وهذه العقيدة « النصرانية » هي عقيدة القرآن في المسيح « كلمته وروح منه » وفي روح القدس، جبريل.

إن القرآن، مثل « النصارى » يجعل « روح القدس » الذي نزّل القرآن (النحل 102)، الروح الأمين الذي جاء محمداً بتنزيل رب العالمين (الشعراء 194)، الملاك جبريل (البقرة 97). فاسمه عينه يدل على أنه « روح » ، ونسبته إلى « القدس » أي الله ترفعه فوق الأرواح الملائكية جميعها. وبهذا الجمع القرآني بين « روح القدس » وجبريل تظهر « نصرانية » القرآن في أجلى مظاهرها.

والقرآن يحدّد أيضاً أن المسيح، « كلمة الله » هو أيضاً « روح منه » تعالى (النساء 170). قال الرازي : « قوله (روح) أدخل التنكير ليفيد التعظيم. فكان المعنى : **روح من الأرواح الشريفة القدسية العالية.** وقوله (منه) إضافة لذلك الروح إلى نفسه تعالى لأجل التشريف والتعظيم » . فالمسيح في ذاته السامية **هو ملاك متجسد**. يؤيد ذلك قوله : « ونفخنا فيها (فيه) من روحنا » (الأنبياء 91؛ التحريم 12). إن التعبير يحمل معنى الفاعل والمفعول على السواء : فالله نفخ في مريم، أو « ألقى إلى مريم » « روحاً منه » هو المسيح. وهكذا تظل الثنائية « النصرانية » ، لشخصية المسيح، في القرآن نفسه. وتعبير « روح منه » أي « ذو روح صدر منه تعالى » (البيضاوي) لا مثل له في القرآن، مما يرفع المسيح على سائر الأرواح الملائكية، حتى « من المقربين » .

ونرى أثراً لذلك في قوله : « من كان عدواً لله وملائكته ورسله، **وجبريل** وميكال، فإن الله عدو للكافرين » (البقرة 98). فالقرآن يكفر اليهود لكفرهم بجبريل وميكال بحسب عقيدة « النصارى » فيهم، مع أنه يكفرهم على عبادة الملائكة عموماً (آل عمران 80). وهذا التمييز لميكال وجبريل، مع الله، أثر من التفسير « النصراني » للتثليث الإنجيلي.

وهناك آية أخرى كان يردّ بها النصارى من بني إسرائيل على تفسير المسيحيين للتثليث الإنجيلي : « وإذ قال الله : يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله! » (المائدة 119). يفهمونها عادة بأن المقصود المسيح وأمه مريم العذراء، بحسب الآية (78) من السورة عينها. ولكن إذا رجعنا إلى المصادر « النصرانية »[1] وجدنا أن « روح القدس » مؤنث عندهم؛ وإنجيل

---

(1) روح القدس، عند جميع « النصارى » أنثى، لأن « الروح » في العبرية والسريانية مؤنث. نقل هيبوليت (الإشارات 9 : 13) عن رؤيا الكسائي لله في جلاله، وعن يمينه ملاك كلمة الله، وروح القدس. قال : « وكان (المسيح) مصحوباً بكائن أنثى مقياسه كذلك كما ذكرنا (أي سما على جميع الأرواح بطوله سمواً لا حد له). فالكائن الذكر هو ابن الله (على المجاز)، والكائن الأنثى هو روح القدس » .

النصارى يسميه صراحة « أمي » . فيكون المقصود بذاك السؤال الاستنكاري **المسيح وروح القدس،** في قوله « اتخذوني وأمي إلهين[1] » . فالقرآن يستنكر مع « النصارى » وبلغتهم أن يكون المسيح وروح القدس « إلهين من دون الله » . فهو يجادل وفد نجران « النصرانية » عينها.

وقول القرآن « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » ، مع قوله « روح القدس » ، **بهذه الإضافة الخاصة إلى ذاته تعالى** ولا مثيل لها بحق أي روح من الملائكة في القرآن هما موضع الشبهة التي انتقلت من « النصرانية » إلى القرآن.

والقرآن يجعلهما من الملائكة المقربين، على مثال النصارى من بني إسرائيل، فينكر مثلهم التثليث الإنجيلي، في الله الواحد الأحد؛ لكن التعبيرين « روح منه » و « روح القدس » يحملان شبهة لا تزول، في سر شخصيتهما. وبما أن القرآن في عقيدة « الروح » لم يؤت إلا « العلم » القليل (الإسراء 85)، فعلى أهل القرآن، عملاً بأمره، أن يسألوا أهل الذكر (النحل 43؛ الأنبياء 7) لكشف الغطاء، عن سرّ شخصيتهما.

إن تعريف القرآن بالمسيح أنه « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » ، يعني، في أدنى معانيه، **تجسد ملاك أو سكنى ملاك** في « المسيح عيسى ابن مريم، رسول الله » (النساء 170). وهذه هي العقيدة « النصرانية » عينها، كما نقلها عنهم معاصرهم العلامة ترتليان[2] : « إن المسيح، في نظرهم، بشر بحتٌ، لكنه أعظم من الأنبياء أجمعين، **لأن فيه روحاً ملائكياً** » .

هذه هي **الازدواجية المشبوهة** في شخصية المسيح، والتي كانت سبب اعتزال النصارى من بني إسرائيل إلى شيعة، بالنسبة لأهل السنة المسيحيين في كل

---

(1) وهذا التفسير أصح من التفسير المتواتر، لأن اتهام القرآن بأنه يقوّل المسيحيين في إلهية مريم ما لم يقل به أحد منهم، أمر لا تزول غرابته.
(2) ترتليان : جسد المسيح 14 : 5.

فرقهم. وقد انتقلت هذه الازدواجية إلى القرآن نفسه، وهذه شهادة على « نصرانيته » في عقيدته. وإذا سألنا أهل الذكر، حسب الأمر المكرّر، لفهم عالم « الروح » المطلق، أحالونا إلى فاتحة الإنجيل بحسب يوحنا، التي كانت رداً على الهلنستية واليهودية و « النصرانية » الإسرائيلية، في إعلان حقيقة « كلمة الله » في ذات الله، من ذات الله، في وحدانية الواحد الصمد، الذي « لم يلدْ ولم يولد » على طريقة البشر، بل يتسلسل نطقه الذاتي من ذاته، في ذاته، تسلسل الابن عن أبيه في عالم الإنسان، مع فارق التنزيه والتجريد. فالأبوة والبنوة، النطقية الروحية، استعارة للمخلوق لفهم سر الخالق، الحي القيوم.

فالتوحيد الخالص في التوراة والإنجيل والقرآن، « الله أحد » ، لا يتنافى جوهرياً مع التثليث الإنجيلي، لأن التثليث، عندهم، تفسير منزل لحياة الحي القيوم في ذاته الصمدية، حيث صفاته الكيانية الثلاث، الأبوة والبنوة والروحانية، صفات ذاتية، **لا هي عين الذات ولا هي** غيرها، بحسب لغة الأشعرية السنية في الإسلام.

ومن بلغ إلى « العلم » الكامل في عالم « الروح » المطلق، يقول مع القرآن : « قل : لو كان للرحمان ولد، فأنا أول العابدين، (الزخرف 81). وهذا ليس افتراض المستحيل، فإن القرآن نفسه يقسم « بوالد وما ولد » (البلد 3).

فالقرآن يكفر القول « بالثلاثة » أي التعدّد الإلهي، لا التثليث الذاتي في التوحيد الإلهي، تثليث صفات كيانية، لا هي عين الذات ولا هي غيرها. ويظل « العلم » القرآني بعالم « الروح » المطلق قليلاً، بنصه القاطع (الإسراء 85). فالقرآن لا يكفر التثليث الصحيح، ولا يأتي على ذكره.

فما بين التوحيد الكتابي والقرآني تعابير هي جسور قائمة لفهم التثليث

الإنجيلي حق فهمه، وإن كان ظاهر القرآن ينفي، مثل « النصرانية » ، إلهية « كلمة الله وروح منه » وإلهية « روح القدس » .

وعلى هذا النفي الظاهري تقوم « نصرانية » القرآن في عقيدته.

*

خامساً :عقيدة القرآن في نزول « كلمة الله » إلى مريم

كان المسيحيون، على أثر فاتحة الإنجيل بحسب يوحنا يسمون إلقاء « كلمة الله » إلى مريم « تجسداً » أو « تأنساً » .

لكن التعبير عنه في البيئة الإسرائيلية كان « نزولاً » كما عند بولس نفسه : « وكونه (ارتفع) ألا يعني أنه (نزل) أولاً » (أفسس 4 : 9). وهذان هما التعبيران اللذان ظلاّ في « النصرانية » لبداية المسيح على الأرض وآخرته في السماء.

جاء في الكلام « النصراني »[1] : نزل إلى مريم، ليخلص جنس النفوس البشرية من الضلال. فظهوره « نزول » ، ورسالته تعليم، لا فداء.

ونزوله حجب « روحانيته » في بشريته : « لقد خفي على السماوات وعلى السلاطين. ورأيت، فإذا هو في الناصرة كطفل، بحسب السنة الطبيعية، كي لا يُعرف »[2] . وهنا تظهر قصة الشبه، ليس فقط في آخرة المسيح، بل في سيرته كلها. وقصة الشبه في سيرة المسيح إن هي إلا نفي « نصراني » لحقيقة التجسد أو التأنس في المسيحية.

وهذه هي عقيدة القرآن. نجد فيه **ثلاثة تعابير** عن ظهور المسيح في عيسى ابن مريم. الأول **الإلقاء :** « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » (النساء 170)؛

---

(1) إسراء أشعيا 11 : 16.
(2) إسراء أشعيا 11 : 17.

وهذا تعبير كلامي. والثاني النفخ : « فنفخنا فيها من روحنا » (الأنبياء 91)، « فنفخنا فيه من روحنا » (التحريم 12)؛ وهذه صورة شعبية. والثالث التأييد : « وأيدناه بروح القدس » (البقرة 87 و253) على حدّ أحد تفاسير الرازي لهذه الآية.

وكلها صور للحدث المعجز الذي يصفه بقوله : « قالت : أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر؟ قال : كذلك! الله يخلق ما يشاء، إذا قضى أمراً فإنما يقول له : كن! فيكون » (آل عمران 47). فنزول « كلمة الله » إلى مريم كان بأمر الله الخلاق.

فالحدث، وأوصافه الثلاثة، تدل جميعها على أنه « نزول » إلى مريم، لا « تجسد » منها أو « تأنس » . وتفسير هذا « النزول » بالخلق يدفع عن المسيح صفة الألوهية والبنوة.

فنزول أو إلقاء « كلمته وروح منه » إلى مريم، في عيسى، هي عقيدة « النصرانية » في القرآن نفسه.

*

سادساً : عقيدة القرآن في قصة مولد المسيح.

إن الأناجيل القانونية تنصّ على الحبل المعجز بالمسيح، ولا تصرّح بالمولد المعجز. ويتضح من الإنجيل بحسب لوقا أن مدّة الحمل كانت طبيعية : « وفيما كانا هناك (في بيت لحم) تمت الأيام لوضعها. فولدت ابنها البكر، فقمّطته وأضجعته في مذود » (2 : 6 - 8).

وفي الأناجيل القانونية لا تحضر الملائكة المولد المعجز، بل تنشد له من العلاء : فقد هبط ملاك من السماء وبشر الرعاة الذين في مرج المغارة بمولد المسيح، « وانضم بغتة إلى الملاك جمهور من جند السماء يسبحون بحمد الله ويقولون :

« والحمد لله في العلى والسلام على الأرض لأهل الرضى »
(لوقا 2 : 6 - 7)

لكن في القصص « النصراني » يظهر المولد معجزاً كالحبل المعجز : « وحدث أنه بينما كانا (يوسف ومريم) وحدهما أن مريم رنت بعينها فرأت طفلاً في حضنها، فدهشت (لأنها لم تشعر بولادة). ولما زال عنها الذهول، وُجد رحمها كما كان قبل الحبل. فسألها يوسف : ماذا أدهشك؟ وللحال انفتحت عيناه فرأى الطفل يسوع وحمد الله ... وكثيرون قالوا : **ولدت ولم تلد!** فلم تحضرها قابلة، ولم يُسمع لها أنين مخاض »[1] .

وتتناقل كتب « النصارى » في الكلام والقصص هذه الكلمة : « ولدت ولم تلد » ، دليلاً على المعجزة في الولادة. وفي (إنجيل يعقوب) المنحول (ف 13)، كما في (إنجيل متى) المنحول (ف 19 ع 20)، قابلتان تتأكدان حسياً من بتولية مريم بعد مولد المسيح.

ويظهر من القصص « النصراني » ، أيضاً أن الحبل والحمل والمولد تمت في وقت واحد. ففي (أناشيد سليمان) المنحول نقرأ : « بسط الروح أجنحة على بطن مريم **فحملت وولدت**، فكانت أماً وعذراء معاً، من فيض الرحمة والحنان. لقد حملت وولدت بدون مخاض. ودليل ذلك أنها لم تطلب قابلة « تحضرها » (النشيد 19 : 6 - 8).

وفي (إنجيل يعقوب) المنحول، نجد **قصة المولد** المتداولة بين « النصارى » : مريم العذراء تنتبذ من أهلها إلى خلوة تعتكف فيها. فيأتيها ملاك الله بشراً سوياً. فتحمل بإشارة منه. وتشعر للحال بالمخاض. فتلجأ على جذع نخلة، وتضع طفلها. وللحال تنفجر من دونها عين ماء ترتوي منها، وتثمر نخلة يابسة كانت قربها، فتأكل منها. ثم تحمل وليدها إلى قومها، فيستنكرون منها أن عذراء تصير أماً، ويتهمونها بالزنى. وللحال ينطق الطفل الوليد، ويبرئ أمه.

هذا هو القصص « النصراني » الذي ورد بحرفه في القرآن (مريم 15 - 33).

---

(1) إسراء أشعيا ك 11 ف 7 ع 14.

لقد أجمع المفسرون أن الحبل والحمل والولادة قد تمت في وقت واحد، نقلاً عن ابن عباس، ترجمان القرآن. قال الجلالان : « **الحمل والتصوير والولادة في ساعة واحدة** » . قال الزمخشري : « وعن ابن عباس : كانت مدة الحمل ساعة واحدة. وكما حملته نبذته. وقيل ثلاث ساعات. وقيل : حملته في ساعة، وصور في ساعة، ووضعته في ساعة، حين زالت الشمس من يومها » . وقوله : « كما حملته نبذته » يعني حملت بمعجزة، ولم تزل بتولاً عذراءً. قال البيضاوي : « وكانت مدة حملها سبعة أشهر. وقيل : ستة. وقيل : ثمانية، ولم يعش مولود وُضع لثمانية غيره. وقيل : ساعة » . أخيراً تتكاثر الأقوال، ضمن حدود المعجزة، ليقتربوا من المولد الطبيعي, فيأبى عليهم الحديث المتواتر عن ابن عباس. وزاد الزمخشري : « وما من مولود إلا يستهل، غيره » أي يبكي عند ولادته : فعدم البكاء في مولد المسيح دليل آخر على المولد المعجز.

فقصة المولد في القرآن هي القصص « النصراني » عينه في (إنجيل يعقوب). ونطق المسيح منذ مولده يذكره أيضاً (إنجيل الطفولة) النصراني. ومعجزتا النهر السري والنخلة المثمرة يذكرهما أيضاً (إنجيل متى) النصراني. وظل النصارى من بني إسرائيل المحافظون يقولون بالمولد المعجز، ضدّ المتكلمين المتهودين منهم، حتى القرآن.

فعقيدة القرآن في قصة مولد المسيح عقيدة « نصرانية » بحرفها ومعناها.

*

سابعاً : عقيدة القرآن في رسالة المسيح

إن الكلام الأبيوني في « النصرانية » زادها تهويداً، فأمست لا ترى في رسالة المسيح إلا الشهادة لدين الله، لا الاستشهاد لفداء الإنسان من الآثام. فالنصارى من بني إسرائيل « **ينكرون نظرية الفداء كلها في المسيحية** »[1] .

---

(1) Daniélou : théologie du Judéo- christianisme : ils rejettent également tout aspect sotériologique du christianisme p 75.

فالمسيح هو المخلص **من الضلال، لا من الخطيئة**؛ إِنه منذ (بلاغات بطرس) المنحول « النبي الأوحد المولود[1] » ، « النبي الحق الأوحد »[2] .

فالصفة الأولى في رسالة المسيح، عند النصارى من بني إسرائيل، أنه ليس لها صفة الفداء باستشهاده، كما نقل عنهم ايريناوس[3] : إنه النبي الأعظم، لكن ليس له صفة المخلص والفادي. وسنرى سبب ذلك بعد حين.

وبهذه الصفة عرفه القرآن : إن المسيح هو النبي، رسول الله : « عيسى ابن مريم رسول الله » (النساء 156)، « إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله » (النساء 170)، « ما المسيح ابن مريم إِلا رسول قد خلت من قبله الرسل » (المائدة 74). فبحسب « النصرانية » والقرآن تقتصر رسالة المسيح على الدعوة والتعليم. هذا اقتصار أول لرسالة المسيح.

يؤيد ذلك قوله : ويعلمه الكتاب والحكمة، والتوراة والإنجيل؛ ورسولاً إلى بني إسرائيل » (آل عمران 48 ـ 49)، لكي يعلمهم « الكتاب والحكمة » أي « التوراة والإنجيل » (قابل المائدة 113) مع (2 : 151؛ 3 : 164؛ 62 : 2).

وفي هذه الشهادة المزدوجة اقتصار ثان : المسيح تعلم من الله، ويعلم الناس « التوراة والإنجيل » فتظل دعوته مرتبطة بكتاب موسى؛ وما الإنجيل منها سوى « الحكمة » بالنسبة للكتاب الإمام. فيظل كتاب موسى إِماماً للإنجيل؛ فما الإنجيل سوى تصديق له، وتفصيل: « مصدقاً لما بين يدي من التوراة » (آل عمران 50)؛ مع تخفيف : « ولأحلَّ لكم بعض الذي حرّم عليكم » (آل عمران 50).

وفيها اقتصار ثالث : لقد جاء المسيح « رسولاً إلى بني إسرائيل » (آل

---

(1) عهود الأسباط الاثني عشر، عهد لاوي 9 : 12 . μονογενὴς προφήτης
(2) الرسائل الكلمنتية المنحولة 3 : 112 ع 1.
(3) الرد على الهرطقات ك 4 ف 33؛ ك 5 ف 8.

عمران 49). وقد فصلنا هذه الظاهرة الغريبة في رسالة المسيح. وهنا تظهر « نصرانية » القرآن في عقيدته برسالة المسيح : لقد اقتصرها النصارى من بني إسرائيل عليهم، كأنهم أهلها من دون العالمين! وما كانوا في زمن البعثة المحمدية إلا نقطة من بحر، انحصرت في رمال الحجاز.

مع ذلك فرسالة المسيح هي ختام « النبوة والكتاب » اللذين جعلهما الله في ذرية إبراهيم من يعقوب وإسحاق أي إسرائيل (29 : 27؛ 57 : 26). وقد رأينا أن الله قفّى بالمسيح على سائر الرسل، ولم يقفّ على المسيح بأحد، في تعبير التقفية (2 : 87؛ 5 : 49): « ثم قفينا على آثارهم برسلنا، وقفينا بعيسى ابن مريم » (57 : 27). وهذه أيضاً نظرة « نصرانية » لرسالة المسيح.

وبرهان ختام « النبوة والكتاب » بالمسيح أنه، من دون الرسل أجمعين، اختصه الله بالبيّنات وتأييد روح القدس له، يسير معه حيث سار، لا يفارقه ساعة. وهذا فضله على الرسل، في القرآن، في باب المفاضلة بين الرسل (البقرة 253). وهو تأييد في السيرة والشخصية كما في الرسالة.

وبرهان آخر، استجماع المسيح للمعجزات كلها على أنواعها، مما لم يذكر القرآن بعضها لأئمة الرسل إبراهيم وموسى ومحمد. وقد فصلها على أربعة أنواع : الابراء، والإنباء بالغيب، وإحياء الموتى، وخلق الطير بنفخة منه في طين (آل عمران 49؛ المائدة 113). وهذا النوع الأخير من المعجزات، خلق الطير، مذكور في المصادر « النصرانية » وحدها، مما يدل على « نصرانية » القرآن في عقيدته بمعجزات المسيح. وفي قوله : « إِني **أخلق** لكم من الطين كهيئة الطير، فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله » (آل عمران 49؛ المائدة 113)، يستخدم القرآن فعل « خلق » بحق المسيح، وهو لا يستعمله إلا بحق الخالق وحده.

فعقيدة القرآن، في رسالة المسيح، « نصرانية » في كل نواحيها، خصوصاً باقتصارها على النبوة والشهادة، لا على الضحية والفداء.

*

ثامناً : عقيدة القرآن في آخرة المسيح

في شخصية السيد المسيح، بحسب القرآن، ثنائية ظاهرة : إنه عيسى ابن مريم، وهو بالوقت ذاته « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » (النساء 170). وبما أنه « كلمة الله » فهو « روح منه » تعالى « كالملائكة المقربين » (النساء 171) بل هو « من المقربين » (آل عمران 45). فليس هو « الله » (المائدة 19 و75)، وليس هو « ثالث ثلاثة » (المائدة 172)، وليس هو « ابن الله » (براءة 31). فالمسيح هو عيسى ابن مريم، وفيه « روح منه » تعالى أي « يسكنه ملاك » كما يقول « النصارى » .

من هذه الازدواجية في الشخصية، تنجم الازدواجية في آخرة المسيح.

فكل مرة يذكر القرآن آخرة المسيح يشهد بموته : « والسلام علي يوم ولدت، ويوم أموت، يوم أُبعث حياً » (مريم 32)؛ « إذ قال الله : يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ، ومطهّرك من الذين كفروا » (آل عمران 55)؛ « وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم؛ فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم » (المائدة 120). لا تشذّ إلا آية (النساء 156): « وقولهم : إنا قتلنا المسيح، عيسى ابن مريم ـ وما قتلوه وما صلبوه، ولكن شُبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن؛ وما قتلوه يقيناً، بل رفعه الله إليه، وكان الله عزيزاً حكيماً » .

ظاهر الآية يتعارض مع سائر القرآن. وقد رأينا في غير كتاب تهافت **أسطورة الشبه** ونقلنا (إشكالات) الرازي عليها التي تقتلها قتلاً. وفسّرنا حقيقة الآية بأنها أسلوب بياني للرد على اليهود في كفرهم، وهو الإثبات في معرض النفي. بذلك تزول شبهة التعارض.

لكن هناك **عقيدة** « **نصرانية** » تفسر موقف القرآن وانسجامه تفسيراً كاملاً. كان الكلام الأبيوني في « النصرانية » يقول بارتفاع المسيح عن عيسى ابن مريم قبل قبض اليهود عليه، **فقتل اليهود عيسى، لا المسيح**؛ وبعد الاستشهاد عاد المسيح إلى عيسى فبُعث وارتفع إلى السماء. جاء في (أعمال يوحنا) أحد كتب

النصارى المنحول، حيث يقول المسيح للرائي : « ذاك الصليب المنير (في السماء) ليس هو بصليب الخشب الذي ستراه عندما تنزل من هنا (من السماء). فأنا لست على هذا الصليب الخشبي، أنا من تسمعني الآن ولا تراني : **لقد أخذوني من لست إِياه، فإنني لم أبق من كنت بين الناس** » . وقد تسربت « النصرانية » إلى النسطورية، وكان نسطور زعيمها يقول: « إن المسيح لما جاء إلى الصلب، انفصل عنه كلمة الله، فكان المصلوب إنساناً بحتاً، هو يسوع » .

فقصة الشبه الحقيقية إن المسيح، كلمة الله، فارق عيسى ابن مريم، قبل استشهاده، فصلي عيسى وقتل، لكن المسيح نفسه، كلمة الله، « ما قتلوه وما صلبوه **ولكن شبه لهم** » **أنهم فعلوا**. وهكذا « مكروا ومكر الله بهم والله خير الماكرين » (آل عمران 54). بهذا التفسير « النصراني » تنسجم عقيدة القرآن في آخرة المسيح، بكل نصوصها.

فعقيدة القرآن، في آخرة المسيح، عقيدة « نصرانية » .

*

تاسعاً : عقيدة القرآن في رجعة المسيح

يمتاز المسيح عن الأنبياء والمرسلين، بدوره في يوم الدين : « وأنه لعلم للساعة فلا تمترنّ بها. هذا صراط مستقيم » (الزخرف 61). الضمير يعود لابن مريم المذكور في الحديث كله (57 - 61). ولفظ « علم » له قراءتان : « عِلـْم » و « عَلـَم » . فالمسيح « علـْم » للساعة أي « شرط من أشراطها تُعلم به، فسمي الشرط علماً لحصول العلم له » (الزمخشري). والمسيح أيضاً « علـَم » للساعة أي علامة (الزمخشري). فالمسيح هو رسول اليوم الآخر، وخاتمة النبوة والكتاب على الإطلاق. إنه العلامة ليوم الدين، والمعرفة به. وهذا من الصراط المستقيم.

وهذا هو الدور الذي تجعله « النصرانية » للمسيح في اليوم الآخر، حيث يملك مع الصديقين، مدة ألف سنة، في **جنات عدن**، قبل القيامة الثانية إلى

السماء. وقد رأينا أن أوصاف القرآن لجنات عدن هي أوصاف « النصرانية » لها، بكل ماديتها.

وإن المسيحية تجعل المسيح **ملك يوم الدين** (متى 25 : 31 - 34). وهذه صفة إلهية تستنكرها « النصرانية » وتحولها إلى **شفاعة** لأمته. وهذا هو الدور الثاني الذي يقوم به المسيح في يوم الدين: « وجيهاً في الدنيا والآخرة، ومن المقربين » (آل عمران 45). وقد أجمع المفسرون على أن الوجاهة في الآخرة هي الشفاعة. ويدل على ذلك كونه « من المقربين » أي الملائكة الذين لهم وحدهم في القرآن حق الشفاعة في يوم الدين، بعد إذن من الله بها. ونرى المسيح يمارس الشفاعة « يوم يجمع الله الرسل » للحساب؛ فبعد أن يستنكر إلهيته، يستغفر لأمته التي قالت بها : « إن تعذبهم فإنهم عبادك، وأن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » (المائدة 121).

فعقيدة القرآن، في رجعة المسيح، عقيدة « نصرانية » .

*

عاشراً : جدال القرآن في عقيدته

إن القرآن يجادل في عقيدة الشرك العربي واليهودية والمسيحية، بجدال « النصرانية » لها جميعاً.

1- يجادل الشرك العربي بهدى وعلم الكتاب المنير الذي به يستعلي على المشركين : « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » (الحج 8؛ لقمان 20). ونعرف أن تعبير « العلم » المقسط هو في اصطلاحه كناية عن « النصرانية » . وحجته الدائمة في هذا الجدال هي شهادة « من عنده علم الكتاب » (الرعد 45) : « أوَلم تكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل » من النصارى (الشعراء 197).

2- ويجادل اليهود أيضاً بجدال « النصرانية » ، ويعلن سر القرآن بقوله :

« فآمنت طائفة من بني إسرائيل (بالمسيح) وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14). لقد ظهرت « النصرانية » الإسرائيلية على اليهودية بالدعوة القرآنية وجدالها وجهادها.

وخلاف بني إسرائيل إلى يهود ونصارى كان **في الإيمان بالمسيح.** فلا يصح إسلام إلا بالإيمان « بما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم : لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (البقرة 135؛ آل عمران 85). فالتوحيد الكتابي الذي لا تفريق فيه هو دين موسى وعيسى ديناً واحداً (الشورى 13). وهذا الإسلام يشهد به القرآن بشهادة النصارى « أولي العلم قائماً بالقسط » : « أن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران 18 - 19).

والخلاف الثاني عند بني إسرائيل على الإيمان « **بالكتاب كله** » أي التوراة والإنجيل (آل عمران 119). كان اليهود يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض (البقرة 85)، فتحداهم : « قل : يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم. وليزيدنَّ كثيراً منهم (اليهود) ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً (المائدة 71). دعوة القرآن ستزيد اليهود كفراً بالمسيح وبمحمد، لكنها ستزيد النصارى فرحاً : « والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أُنزل إليك. ومن الأحزاب (اليهود) من ينكر بعضه » (الرعد 38).

والخلاف الثالث كان على **تلاوة الكتاب حق تلاوته.** كان اليهود يتلون الكتاب و« يحرّفون الكلم عن مواضعه » بالتأويل الفاسد (النساء 44؛ المائدة 14)، لئلا يفسّر بأنه نبوءة في المسيح : أو « يكتمون الحق وهم يعلمون » (البقرة 146 - 147) ويجعلون الكتاب قراطيس، « تبدونها وتخفون كثيراً » (الأنعام 91) من المواضيع الصريحة بحق المسيح. فيدعوهم إلى تلاوة الكتاب حق تلاوته، مثل النصارى : « الذين آتيناهم الكتاب، يتلونه حق تلاوته، أولئك يؤمنون به. ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون » (البقرة 121). وهكذا

فإن « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم؛ الذين خسروا أنفسهم (اليهود) فهم لا يؤمنون » بالمسيح، ولا بمحمد، (الأنعام 20).

3- والقرآن يجادل المسيحية بجدال « النصرانية » أيضاً.

كان الخلاف الأكبر بينهما في تأويل معنى المسيح « كلمة الله » . فقالت المسيحية بأن معنى « كلمة الله » نطقه الذاتي، وهذه عقيدتهم في إلهيته وأزليته. فقالت « النصرانية » إن « كلمة الله » هو « روح منه » تعالى أي ملاك من المقربين سكن في عيسى ابن مريم. وهذا هو تعريف القرآن للمسيح : « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » (النساء 170).

وبهذه العقيدة « النصرانية » كفر وفد نجران اليعقوبي :

« لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم » (المائدة 19 و75).

« لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة » (المائدة 76).

وما قال المسيح : « اتخذوني وأمي إلهين من دون الله » (المائدة 119).

مع ذلك فهو لا يسمي ذلك كفراً على الإطلاق، بل « غلواً » في الدين : « يا أهل الكتاب **لا تغلوا في دينكم**، ولا تقولوا على الله إلا الحق » (النساء 170)؛ « قل يا أهل الكتاب **لا تغلوا في دينكم** غير الحق، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً، وضلوا عن سواء السبيل » (المائدة 80).

وكان الخلاف الثاني بين « النصرانية » والمسيحية على إقامة التوراة والإنجيل ديناً واحداً وشرعاً واحداً. فاستقل المسيحيون، بحسب السنة الرسولية، بإقامة أحكام الإنجيل من دون شرع التوراة. أما النصارى من بني إسرائيل فأقاموا التوراة والإنجيل شرعاً واحداً في « أمة وسط » . فتحدى القرآن اليهودية والمسيحية بإعلانه : « قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل » (المائدة 71).

وكان الخلاف الثالث في آخرة المسيح. قالت المسيحية بأن المسيح قتل وصلب وبعث وارتفع حيّاً إلى السماء. وأما النصارى فجاؤوا بقصة الشبه، وقالوا بأن المسيح، كلمة الله، لا يموت؛ لذلك فالمسيح فارق عيسى قبل استشهاده، وعيسى هو الذي قتل وصلب؛ ولما رجع إليه المسيح بُعث حياً وارتفع إلى السماء. وجاء القرآن يقول مقالة « النصرانية » في آخرة المسيح (النساء 156 - 157).

وهكذا نرى أن القرآن يجادل الشرك العربي واليهودية والمسيحية، الممثلة بوفد نجران، بجدال « النصرانية » ، دين « العلم والإيمان » (الروم 56).

فالقرآن كله دعوة « نصرانية » ، في عقيدته.

* * *

خاتمة الفصل

الإسلام « أمة وسط » نصرانية، بين اليهودية والمسيحية.

يعلن القرآن عن أمته : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لكي تكونوا شهداء على الناس » (البقرة 143). وفي هذا الفصل قد رأينا أن الدعوة القرآنية « أمة وسط » بين اليهودية والمسيحية، في « نصرانيتها » .

فتلك **خمسون من الدلائل الحسان** على « نصرانية » القرآن. فهي شهادة واحدة جامعة مانعة، بنص القرآن القاطع، لا سبيل لردّها؛ ولا عبرة بالمفردات والجزئيات، التي قد تقوم عليها شبهات وفي القسم الأول دلائل غيرها.

أربعة تصاريح قرآنية توجز دعوته وعقيدته وسره :

« إِن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل 76). فغاية القرآن أن يفصل بين اليهود والنصارى من بني إسرائيل. فدعوته محصورة محدودة.

وهو يدعو جماعته أن يكونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار الله في دعوتهم للمسيح : ((فآمنت طائفة من بني إسرائيل، وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم، فأصبحوا ظاهرين)) (الصف 14). فالقرآن دعوة تؤيد النصرانية على اليهودية حتى الظهور المبين. فالقرآن دعوة للمسيح، على طريقة ((النصرانية)) ، وجهاد ((النصرانية)) لليهودية.

وهذا هو الإسلام ((النصراني)) الذي يشهد به، على شهادة ((أولي العلم قائماً بالقسط)) : ((أن الدين عند الله الإسلام)) (آل عمران 18 - 19)، وشهادتهم من شهادة الله وملائكته.

لذلك لا يصح جدال النصارى إلا بالحسنى، وهذه الحسنى هي ((قولوا : آمنا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون)) (العنكبوت 46). فالله واحد، والتنزيل واحد، والإسلام واحد بين القرآن و ((النصرانية)) .

ولذلك أيضاً فهما ((**أمة واحدة**)) (الأنبياء 92؛ المؤمنون 53)، في ((**أمة وسط**)) (البقرة 143) بين اليهودية والمسيحية.

فبكل حق يصح القول، بنص القرآن القاطع نفسه، **إن الدعوة القرآنية هي ((النصرانية)) عينها :** ((وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله)) (الأحقاف 10).

تقول العرب : ((إن للكلام طيّاً ونشراً)) . وفي هذا الفصل، ((الدلائل الحسان على ((نصرانية)) القرآن)) ، نشرنا ما كان مطويّاً في القرآن. وفي الفصل التالي ننشر ما هو مطوي في المصادر الإسلامية من ((مفاجآت تاريخية)) .

الفصل السَادِس

مفاجآت تاريخية حول الدعوة القرآنية

توطئة : « النصرانية » غير المسيحية

بحث أول : « النصارى » في مكة والحجاز

بحث ثان : « نصرانية » محمد

بحث ثالث : « نصرانية » القرآن

خاتمة : « الأمة الوسط » في القرآن هي « النصرانية »

[Blank Page]

توطئة

« النصرانية » غير المسيحية

فصل الخطاب، في هذا الكتاب، إن « النصرانية » التي يذكرها القرآن هي غير المسيحية : وإن الدعوة القرآنية هي تلك « النصرانية » عينها، كما ثبت لنا من الوثائق القرآنية نفسها.

سأفاجئ المسلمين والمسيحيين، في هذا الكتاب، بأنهم أخوة، على دين واحد، وهم لا يشعرون، وأن افترقوا إلى سُنّة وشيعة، ما بين مسيحية وإسلام.

لا أقصد فقط وحدة التوحيد بينهم، وهي على حرف واحد في التوراة والإنجيل والقرآن : « هو الله أحد » . إنما أقصد **الوحدة المصدرية** التي تجمع الإسلام والمسيحية في الإيمان بالإنجيل، « فيه هدى ونور ... وهدى وموعظة للمتقين » من العرب (المائدة 49)؛ وفي الإيمان بالمسيح، « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » (النساء 170)؛ في جامع واحد مشترك هو « النصرانية » القرآنية.

أبداً بتبديد **وهم شائع**، يقع فيه الجميع حتى اليوم، وهو أن النصرانية والمسيحية شيء واحد؛ فهما في الرأي العام الموهوم اسمان لعقيدة واحدة. مع أن الحقيقة والواقع غير ذلك.

وهذا الوهم المتواتر يستند إلى **واقع قرآني**. فالقرآن لا يذكر **اسم « مسيحيين »** على الإطلاق، بل يشملهم باسم « نصارى » ، مما يخلق تعارضاً في تصاريحه، تزيله القرائن. ونعرف أن اسم « مسيحيين » كان الشامل في الجزيرة العربية وفي العالم كله، مع تخصيص اسم « نصارى » بأتباع المسيح من بني إسرائيل (الصف 14)؛ كما نعرف من علماء المسيحية في عهد الفترة، أمثال جيروم وأبيفان.

وتلك **الظاهرة القرآنية الكبرى** ليست مسألة لغة فحسب؛ إنما هي مسألة عقيدة. والخلط بين اللغة والعقيدة كان سبب تواتر الفهم الخاطئ للقرآن والإسلام.

وهذا الفهم المشبوه كان سبب **سوء التفاهم** المتواتر ما بين الإسلام والمسيحية، ومصدر **الصراع الأليم الأثيم** فيما بينهما عبر التاريخ.

وقد آن لنا أن نعرف الحقيقة القرآنية التي تجمع بين الإسلام والمسيحية في **أصل واحد** هو « نصرانية » **محمد والقرآن،** لتقييم المفاهيم، وتحسين الصلات الأخوية، لفتح **حوار أخوي جديد** ما بين الإسلام والمسيحية، **طليعة عهد جديد** من الإخاء الأصيل والولاء النبيل، لأمد طويل.

إن الدلائل الحسان على « نصرانية » محمد والقرآن، تكشف لنا هذه المفاجآت التاريخية في الدعوة القرآنية.

* * *

بحث أول

النصارى من بني إسرائيل في مكة والحجاز
بيئة محمد والقرآن « النصرانية »

إِن هجرة النصارى من بني إسرائيل إلى مكة والحجاز، هرباً من دين الدولة، المسيحية، عند الروم، تكشف لنا هذه المفاجآت التاريخية، ما بين الأوهام السائدة والحقائق المستورة؛ وتكشف أيضاً أن بيئة محمد والقرآن كانت « النصرانية » .

المفاجأة الأولى : هجرة « النصارى » إلى مكة والحجاز

لقد أجمع المؤرخون على اختفاء النصارى من بني إسرائيل منذ منتصف القرن الخامس. وظل انحسارهم لغزاً تاريخيّاً إلى اليوم. وفات المؤرخين الاطلاع

على حقيقة القرآن. فهو المصدر التاريخي الأكبر على وجود النصارى من بني إسرائيل في مكة والمدينة والحجاز.

يعلن بأن هدفه، بعد فرض التوحيد الكتابي على العرب (الشورى 13)، « إن هذا القرآن يقصّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل 76)؛ وهم يختلفون إلى نصارى ويهود بشأن المسيح وأمه (النساء 156). فجاءت الدعوة القرآنية انتصاراً للنصارى على اليهود : « فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة (بالمسيح) : فأيدنا الذين آمنوا على عدوّهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14). لقد انتصرت « النصرانية » على اليهودية، في الجزيرة العربية، بفضل الدعوة القرآنية. هذا هو الواقع القرآني الذي يشهد بوجود النصارى من بني إسرائيل عند ظهور الإسلام. فهم لم يختفوا ولم يذوبوا في غيرهم، بل هاجروا إلى مكة والحجاز، لما صارت المسيحية دين الدولة عند الروم، في الدستور التيوضوسي، وكان اليهود قد سبقوهم إلى فارس.

ولنا في السيرة النبوية خير شاهد على انسحاب « النصارى » من دولة الروم إلى الحجاز في خبر سلمان الفارسي الذي يتتلمذ على يد آخر قس أو أسقف « انتهى إليه علم النصرانية » في دمشق، والموصل، وعمورية ـ وكانت سوريا والعراق والأناضول كلها على المسيحية حينئذٍ ـ فنصحه قس عمورية باللحاق بالجماعة إلى الحجاز فقد أظلّ زمان النبي العربي الذي ينتظرون. فهاجر إلى المدينة وكان من صحابة النبي. فخبر سلمان شاهد على هجرة آخر النصارى من بني إسرائيل إلى الحجاز.

ويأتي الحديث الصحيح، عند الشيخين، فيؤكد لنا أن ورقة بن نوفل، قس مكة، كان يترجم الإنجيل من العبرانية إلى العربية، أي يترجم (إنجيل النصارى) للنصارى من بني إسرائيل، والمتنصرين معهم مثله من العرب.

فالقرآن والحديث والسيرة تشهد كلها بهجرة « النصارى » إلى مكة والحجاز، ووجودهم هناك واشتراكهم في الدعوة القرآنية، لأنها كانت دعوتهم.

تلك هي المفاجأة الأولى التاريخية والقرآنية.

*

المفاجأة الثانية : سرّ النهضة الجاهلية

مصادر الأدب العربي تحكي كلها قصة النهضة الجاهلية التي سبقت الإسلام بنحو ماية وخمسين سنة. ولكنها لا تروي سبباً وافياً لقيام تلك النهضة الجاهلية في الأدب والدين والتجارة.

ونحن نرى أنها تبدأ مع بدء هجرة « النصارى » إلى مكة والحجاز. وليس ذلك صدفة تاريخية. فقد سبقت المسيحية إلى مكة، كما تشهد صور الملائكة والأنبياء والمسيح وأمه على جدارن الكعبة؛ واليهودية إلى المدينة كما يشهد القرآن والسيرة. ومع ذلك لا تبدأ النهضة الجاهلية إلا مع قدوم « النصارى » : وهذا يدل على أنهم كانوا على أساس تلك النهضة الجاهلية في الحجاز.

ولنا خير شاهد على ذلك خبر ورقة بن نوفل، قس مكة، وزعيم الحركة الحنيفية، فقد تحنّف مع عبد المطلب، جد محمد، ومع حفيده الكبير. وكانت ابنة عمه السيدة خديجة، سيدة تجار قريش، وكانت تجارتها تعدل تجارة قريش كلها، بشهادة السيرة. والنبي العربي تهيّأ لدعوته في كنف خديجة، وبجوار ورقة.

ونرى أن « النصارى » هم الذين جعلوا أهل الحجاز يقفون على الحياد بين دولة الفرس التي تدعم اليهود، ودولة الروم التي تدعم المسيحيين، بين العرب. وكان جواب أهل مكة على دعوة القرآن : « إنْ نتّبع الهدى معك نتخطّف من أرضنا » (القصص 57)؛ بينما كان جواب « النصارى » : « إنا كنّا من قبله مسلمين » (القصص 53).

فالقرائن التاريخية والقرآنية تدل على أن « النصارى » كانوا على أساس

النهضة الجاهلية في القومية العربية المحايدة بين الدولتين الجبارتين، كما في التجارة والأدب والدين.

تلك هي المفاجأة الثانية التاريخية والقرآنية.

*

المفاجأة الثالثة : سرّ الحركة الحنيفية قبل الإسلام

يتخبط المفسرون والعلماء في سرّ الحركة الحنيفية قبل الإسلام. وقد يجمعون على أنها حركة توحيدية مستقلة بين اليهودية والمسيحية.

والواقع القرآني يُقرن الحنيفية بالإسلام. فهي القنوت لله : « قانتاً لله حنيفاً » (النحل 120)، بالابتعاد عن الشرك: « حنفاء لله غير مشركين » (الحج 31)، وإخلاص الدين لله : « مخلصين له الدين حنفاء » (البينة 5).

وتلك الحنيفية اسمها « **ملة إبراهيم** » (2 : 135؛ 3 : 95؛ 4 : 124؛ 6 : 162؛ 16 : 123). لكن إبراهيم « كان حنيفاً مسلماً » (آل عمران 67)، لا يهوديّاً ولا مسيحيّاً، كما ينتسب إليه اليهود والمسيحيون. فذلك الجمع بين الإسلام والحنيفية يكشف لنا سرَّها.

فقوله : « أقم وجهك للدين حنيفاً » (يونس 105؛ الروم 30)، يقابل قوله : « وأمرت أن أكون من المسلمين » (النمل 91). ونعرف أن اصطلاح « المسلمين » كناية عن « النصارى » ، أولي العلم المقسطين الذين يشهدون مع الله وملائكته « أن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران 18 - 19).

فالحنيفية هي الدعوة « النصرانية » الأولى في مكة والحجاز. ونعرف أن المسيحيين كانوا يلقبون النصارى « الحنفاء » أي المنحرفين عن دين الأمة؛ فحملوه معهم إلى الحجاز وجعلوه عنواناً لدعوتهم بين العرب، إلى « النصرانية » ، دين الحق.

يقول الطبري على (البقرة 135) : « وكان الناس من مضر يحجون البيت، في الجاهلية، يسمون حنفاء » . وهذا دليل على اتساع الحركة الحنيفية النصرانية

قبل الإسلام. فالنصارى سمّوا الحنيفية، « ملة إبراهيم » لتأليف العرب، من ولد إسماعيل، إليها؛ ونسبوا إمامة البيت العتيق ومناسك الحج لإبراهيم وإسماعيل، كما نزل في القرآن. ونرى عبد المطلب، ثم حفيده محمد، يطوفون بالكعبة، مع ورقة بن نوفل، قس مكة « النصراني » ، قبل القرآن.

فآثار القرآن، وأخبار السيرة، تدل على أن الحنيفية المسلمة هي « النصرانية » ؛ **وأن الحنيفية قبل القرآن تورية « للنصرانية » .** هذا هو سرّ الحركة الحنيفية قبل الإسلام.

تلك هي المفاجأة الثالثة التاريخية القرآنية.

*

المفاجأة الرابعة : الدعوة إلى الإسلام قبل القرآن

إنها لمفاجأة ضخمة أن يشهد القرآن بوجود الإسلام من قبله : « هو سمّاكم المسلمين من قبلُ، وفي هذا » القرآن (الحج 78).

وأَهل الكتاب يشهدون، لدى تلاوة القرآن عليهم : « إنّا كنّا من قبله مسلمين » (القصص 53). فليس اليهود، ولا المسيحيون، يشهدون تلك الشهادة. فلو شهدوا بها لما حمل عليهم القرآن. إنما يشهد بها « النصارى » وحدهم : فهم « المسلمون » من قبل القرآن. إنهم « أولو العلم قائماً بالقسط » الذين يشهدون مع الله وملائكته « أن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران 18 - 19). يقول البيضاوي على (القصص 53) : « إنّا كنّا من قبله مسلمين : بيان ما أوجب إيمانهم بالقرآن ... **وكونهم على دين الإسلام قبل نزول القرآن » .**

والمفاجأة الضخمة الأخرى أن محمداً أُمر أن ينضم إلى هؤلاء « المسلمين » من قبله وأن يتلو معهم قرآن الكتاب : « وأُمرت أن أكون من المسلمين، وأن أتلو القرآن » (النمل 91 - 92).

فالإسلام موجود قبل القرآن العربي، وهو يشهد للإسلام بشهادة « المسلمين » من قبله، أي « النصارى » ، « أولي العلم قائماً بالقسط » (آل عمران 18).

فالنصــارى مــن بنــي إسـرائيل فــي مرحلـة ثانيـة مــن دعوتهـم دعـوا العـرب إلـى « النصرانية » باسم الإسلام. ومع النبي العربي، في مرحلة ثالثة، دعوا إلى الإسلام بالدعوة القرآنية : « لكن الراسخون في العلم منهم، والمؤمنون، يؤمنون بما أُنزل إليك، وما أُنزل من قبلك » (النساء 161)؛ كما يؤمنون بمتشابه القرآن، مثل محكمه (آل عمران 7). لذلك « يرفع الله الذين آمنوا منكم، والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة 11).

فالدعوة للإسلام كانت قائمة قبل القرآن؛ وجاء القرآن ففوض هذا الإسلام « بالحكمة والموعظة الحسنة » ثم بالجهاد. وهكذا « فأيدنا الذين آمنوا على عدوّهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14).

تلك هي **المفاجأة الرابعة التاريخية القرآنية**

*

المفاجأة الخامسة : رمضان صيام « نصراني » قبل القرآن

هذا نص القرآن القاطع : « يا أيها الذين آمنوا، كُتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ... شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » (البقرة 182 و184). فسره البيضاوي. « وقيل : معناه صومكم كصومهم في عدد الأيام، لما روي أن **رمضان كتب على النصارى**، فوقع في برد أو حرّ شديد، فحوّلوه إلى الربيع، وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله » .

إن المسيحيين يتبعون الحساب الشمسي، فلا يتنقل الصيام عندهم ما بين القرّ والحرّ. وهو إنما يتنقل عند أهل الحساب القمري، مثل النصارى من بني إسرائيل. وكان الصيام عندهم شهر رمضان. فإطلاق اسم « نصارى » على المسيحيين هو الذي خلق تلك الفذلكة لتفسير زيادة « عشرين كفارة لتحويله » .

ونرى من السيرة أيضاً أن **رمضان كان شهر الصيام عند النصارى** قبل القرآن. فالإجماع في السيرة على أن عبد المطلب، جد محمد، كان أول من تحنّف

من قريش، مع ورقة بن نوفل. ثم جاء محمد فتحنّف أيضاً في رمضان مع ورقة بن نوفل. وجعْل حركة التحنّف والصيام تدور حول قس مكة، شهادة متواترة على أن صيام رمضان دخل قريشاً مع عبد المطلب، جد محمد؛ وكان يتزعم الحركة الحنيفية ورقة بن نوفل، قس مكة « النصراني » .

فالقرآن والسيرة يشهدان بأن رمضان كان صيام « النصارى » قبل القرآن. ولما نزل القرآن فرض على أمته رمضان « النصارى » .

تلك هي المفاجأة الخامسة التاريخية القرآنية.

*

المفاجأة السادسة : الكعبة مسجد مسيحي قبل القرآن

يكاد هذا التصريح أن يكون كفراً بالدين والتاريخ. مع ذلك هذا هو الواقع الذي توحي به الآثار والأخبار. فلو كان الكعبة بيت شرك وأوثان، لما كان ورقة بن نوفل قس مكة، ومحمد قبل بعثته، وبعد تحنفهما في غار حراء، يطوّفان بالكعبة قبل الدخول إلى بيتهما. وهذا خبر عليه إِجماع في السيرة، بالنسبة لمحمد نفسه.

والحوادث التاريخية تدل على تحول الكعبة إلى مسجد مسيحي، قبل الإسلام. مهّد لذلك تحويل الوثنية العربية إلى ما يسميه القرآن « الشرك » ، بفضل الدعوات الكتابية، من يهودية ومسيحية ونصرانية؛ وكان توحيدهم التوحيد الإسلامي، أو قريباً من التوحيد الإسلامي[1] .

جاء في (الأغاني 13 : 109) إن سادس ملوك جرهم كان عبد المسيح بن باقية، ابن جرهم، وكانت سدانة البيت العتيق « لأسقف عليه » . وهذه الشهادة تقطع بأن الكعبة كانت مسجداً مسيحياً على زمن بني جرهم ـ وهل كان الأحابيش بمكة، أولئك الجنود المرتزقة من الحبشة، لحماية مسيحية الكعبة؟

يؤيد ذلك ما رواه الأزرقي، وإجماع الاخباريين عليه، أن أهل مكة لمّا

---

(1) الدكتور جواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام ج 5 ص 428.

جدّدوا بناء الكعبة، خمس سنوات قبل مبعث محمد، رسموا على جدرانها صور الملائكة والأنبياء مع صورة السيد المسيح وأمه. وهذه ليست عادة عربية، ولا يهودية، ولا نصرانية : إنما هي عادة مسيحية. وعند فتح مكة أمر محمد بمسح جميع الصور، ما عدا صورة المسيح وأمه. وهذا عمل « نصراني » من رواسب اليهودية في « النصرانية » .

والوضع السياسي العام يؤيد ذلك أيضاً. فقد كان الحجاز تحت إمرة آل كندة المسيحيين في نجد، التابعين للتبابعة المسيحيين في اليمن. وقد قُتل والد امرئ القيس، فقام سيد شعراء الجاهلية يستنصر قيصر في دم أبيه. ومنذ هذه الحادثة قام الصراع بين المسيحية واليهودية، وزاده تأججاً هجرة « النصارى » إلى مكة، للاستيلاء على البيت العتيق، وبه على الحجاز والعرب. وتجديد بناء الكعبة مع الصور على جدرانها يظهر بأن السيطرة ظلت للمسيحية حتى الدعوة القرآنية. وبفتح مكة تمت الغلبة « للنصرانية » بتأييد الدعوة القرآنية (الصف 14).

فتلك الآثار والأخبار تشهد بأن الكعبة كانت مسجداً مسيحياً قبل الإسلام.

وهذه هي المفاجأة السادسة التاريخية القرآنية.

*

المفاجأة السابعة : « النصرانية » في بيت محمد قبل مولده

جاء في تاريخ اليعقوبي (1 : 298) : « وأما من تنصّر من أحياء العرب فقوم من قريش ». ونعرف من السيرة أن عبد المطلب، جد محمد، كان « **أول من تحنّف من قريش** ». وكان تحنفه مع ورقة بن نوفل، قس مكة « النصراني » ، وعلى مثاله. وقد سلك محمد طريقة جدّه، بتحنّفه مع ورقة وعلى مثاله، قبل مبعثه.

وتلك الحنيفية على مثال ورقة، قس مكة، يجعلها حركة « نصرانية » .

وهكذا تكون « النصرانية » قد دخلت بيت محمد قبل مولده. فولد محمد في بيت « نصراني » . وقد رأينا أن قرائن السيرة النبوية، قبل البعثة، تؤيد ذلك. فلا تزيد.

تلك هي المفاجأة السابعة التاريخية القرآنية.

فتلك الحقائق السبع تبدّد الأوهام السائدة حول الدعوة القرآنية. وهي مفاجئات تاريخية سبع ناتجة عن هجرة النصارى من بني إسرائيل إلى مكة والحجاز.

تلك هي بيئة محمد والقرآن « النصرانية » .

* * *

بحث ثان

« نصرانية » محمد قبل مبعثه وفي دعوته

وهذه سلسلة أخرى من المفاجآت التاريخية والقرآنية تبدّد ما ترسّب من الأوهام في عقول الناس، حول الدعوة القرآنية. إنها نتائج حاسمة لما فصّلناه في هذا الكتاب.

المفاجأة الأولى : « النصارى » إِمام « المتقين » من العرب

تعبير « المتقين » صفة متواترة في القرآن، كناية عن جماعة محمد « الذين آمنوا » من العرب بالدعوة القرآنية. وهو تعبير متواتر في اليهودية و « النصرانية » للمهتدين إلى التوحيد الكتابي من « الأميّين » ، أو الأمميين.

يقول : « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الأعراف 157).

وهذه الأمة المهدية الهادية من قوم موسى يسميها أيضاً « الطائفة من بني إسرائيل » التي آمنت بالمسيح، وجاءت الدعوة القرآنية تأييداً لها على اليهودية حتى النصر المبين (الصف 14).

فتلك الأمة الهادية « النصرانية » من بني إسرائيل، هي الأمة المثالية التي يعطيها القرآن مثالاً للعرب على الدين الحق الذي يشرعه لهم (الشورى 13) بقوله : « ليسوا سواءً: من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون. يؤمنون بالله واليوم الآخر. ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. ويسارعون في الخيرات. وأولئك من الصالحين. وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين » (آل عمران 113 - 115). فمن ميزاتهم قيام الليل للصلاة وتلاوة آيات الله. وهذه عادة مسيحية ونصرانية، لا يهودية ولا عربية. وبما أن القرآن انتهى إلى القول بقتال المسيحيين العرب في مشارف الشام، لأنه « قالت النصارى : المسيح ابن الله » (التوبة 31)، فالأمة المثالية هي « النصرانية » .

فالنصارى هم « **عباد الرحمان** » ، « الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً » (الفرقان 63 - 64). فقيام الليل ميزتهم المتواترة التي تميزهم عن سائر أهل الكتاب. والنصارى، عباد الرحمان، هم الذين يجعلهم القرآن إماماً « للمتقين » من العرب، كما يطلبون من ربهم: « واجعلنا **للمتقين إماماً** » (الفرقان 74). إنهم « من الصالحين ... والله عليم بالمتقين » الذين يتبعونهم (آل عمران 115).

إنهم « إمام » جماعة محمد، و « إمام » لمحمد نفسه : « ولقد آتينا موسى الكتاب، فلا تكن في مرية من لقائه. وجعلناه هدى لبني إسرائيل. وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا » (السجدة 23 - 24). فما على محمد أن يشك من لقائه بالكتاب بواسطة أئمته من بني إسرائيل، النصارى، لا اليهود « أول كافر به » . لذلك « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ... **أولئك الذين هدى الله، فبهداهم اقتده** » (الأنعام 90).

فالنصارى هم إمام المتقين من العرب، والأئمة الذين على محمد نفسه أن

يقتدي بهداهم. لذلك جاءه الأمر « وأمرت أن أكون من المسلمين » (النمل 91)، أي « النصارى » .

تلك هي المفاجأة الأولى في « نصرانية » محمد.

*

المفاجأة الثانية : « نصرانية » محمد قبل مبعثه

يقطع بها قوله : « وأمرت أن أَكون من المسلمين » من قبله (النمل 90) أي من « النصارى » الذي وحدهم يتصفون بهذا اللقب الكريم في القرآن؛ وقد امتد إلى جماعة محمد على التبعية : « هو سماكم المسلمين من قبل، وفي هذا » القرآن (الحج 78). فالمسلمون قبل القرآن هم حصراً « النصارى » الذين انضم إليهم محمد.

ليس في القرآن على نشأة محمد سوى هذه الآيات الثلاث : « ألم يجدك يتيماً **فآوى؟ ووجدك ضالاً فهدى.** ووجدك عائلاً فأغنى » (الضحى 6 - 8). إن « الهدى » في اصطلاح القرآن كناية عن هدى التوراة والإنجيل : « ولقد آتينا موسى الهدى » (غافر 53)؛ « وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ... وهدى وموعظة للمتقين » من العرب (المائدة 49). فالهدى والنور هما في التوراة والإنجيل (المائدة 47 و97). فما معنى « الهدى » في الصبا عند محمد؟ لقد رأينا من قرائن الحديث والسيرة أن الهدى في الصبا عند محمد يعني « تنصّره » بعماده. وهذه حقيقة تاريخية قرآنية مطموسة.

ورأينا أن زيارة محمد لبحيرى في بصرى، لما بلغ الثانية عشرة، أي سنّ التكليف، كانت حجاً إلى الذي « انتهى إليه علم النصرانية » ، « وصي عيسى على دينه » ، كما تقول السيرة. يرون في تلك السفرة تجارة، وما شأن فتى بالتجارة؟ إنها حج « النصراني » إلى رئيس دينه، عند بلوغ سن التكليف، كما جرى للمسيح نفسه بحجه إلى أورشليم، « لما بلغ اثنتي عشرة سنة » (لوقا 2 : 42).

وتواتر على لسان بحيرى أن محمداً سيكون « نبي هذه الأمة » . وهذه هي

الكلمة التي بها جابه ورقة، قس مكة، السيدة خديجة ابنة عمه، لما شاورته في زواجها من محمد : « إن كان هذا حقاً، يا خديجة، فإن محمداً نبي هذه الأمة »[1] . يقول القس الحكيم ذلك قبل الزواج وقبل مبعث محمد بخمسة عشر عاماً.

وما كان ورقة ليسمح لثرية مكة التي تعدل تجارتها تجارة قريش بزواجها من محمد، لولا « نصرانيته » . وقضى محمد في كنف خديجة، وبجوار ورقة، خمسة عشر عاماً يتدرب في « التحنف » معه، وفي حضور ترجمة (إنجيل النصارى) إلى العربية، على الدعوة والنبوة.

علّق الأستاذ دروزة[2] على آيات (الضحى 6 - 8) التي تقرر « **أنه كان فقيراً فأغناه الله.** وأخبار السيرة التي لا اختلاف في جوهرها ولا تناقض تذكر ظروف ذلك ما هو معروف من صلة السيدة خديجة بن خويلد ر. عن طريق عمله لها في التجارة، واقترانه بها لهذه الصلة ... وأن هذه الصلة كانت **فاتحة عهد جديد،** بل **حادثاً حاسماً** في حياة السيد الرسول ص كان له أكبر الأثر في **الاتجاه النهائي** الذي اتجه إليه، وتهيأت به نفسه وقواه الروحية، لتلقي الرسالة العظمى والنهوض بها ... أما الآية (ووجدك ضالاً فهدى) فإنها تقرّر، فيما نعتقد **حالة ذات خطورة ودلالة كبيرتين** في صدد نشأة النبي ص الروحية » . ويرى الأستاذ أن تلك الهداية كانت إلى الحنيفية، على مثال ورقة بن نوفل. وهنا بيت القصيد. لقد كان ورقة « نصرانياً » وقس النصارى بمكة، أي الأسقف أو المطران، بلغة الروم. فهداية محمد في صباه، ثم في زواجه كانت إلى « نصرانية » ورقة بن نوفل وخديجة، ابنة عمه. يدورون جميعهم حول الحقيقة التاريخية ولا يجرأون على الجهر بها. وهي الحقيقة التاريخية الضخمة التي تبدّد أوهاماً كثيرة في سر الدعوة القرآنية.

تلك هي المفاجأة التاريخية الثانية في « نصرانية » محمد.

*

(1) السيرة المكية، بهامش الحلبية ص 121.
(2) سيرة الرسول 1 : 29 - 32.

المفاجأة الثالثة : محمد يدرس « النصرانية » على يد ورقة، قس مكة

من الثابت تاريخياً، بحسب كل السير النبوية، أن محمداً قضى خمسة عشر عاماً قبل مبعثه، في بيت خديجة، وعلى رأس تجارتها، في جوار القس العظيم ورقة بن نوفل، مترجم الكتاب العبراني والإنجيل « النصراني » إلى العربية، بحسب شهادة الصحيحين. وليس من المعقول، ولا من المقبول، أن لا يتأثر محمد بهذا الجوار الطيب، في درس « نصرانية » المعلم، رئيس النصارى بمكة، وولي نعمته في زواجه الذي جلب له الغنى والهدى.

وكلمة القس ورقة لخديجة، في تحريضها على الزواج من محمد، بأن محمداً « سيكون نبي هذه الأمة » ـ وذلك قبل مبعثه بخمسة عشر عاماً ـ تكشف لنا أن قس مكة، تنفيذاً لإشارة بحيرى، « وصي عيسى على دينه » ، قصد من زواج محمد بخديجة، تهيأة محمد لخلافته، وخلافة بحيرى على « النصرانية » . فقام محمد « يدرس » النصرانية على يد ورقة، قبل الدعوة لها.

في القرآن يستعلي النبي على المشركين **بدرس الكتاب :** « أم لكم كتاب فيه تدرسون ... أم عندهم الغيب فهم يكتبون » (القلم 37 و42)، وهذا يشير بأنه هو يدرس الكتاب ويكتب من الغيب الذي فيه. ويرد على تحدّي المشركين « وقالوا : ما هذا إلا إفك مفترى! وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم : إنْ هذا إلا سحر مبين! **ـ وما آتيناهم من كتب يدرسونها!** وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير! » (سبأ 43 ـ 44)؛ فالبرهان عنده أن القرآن ليس بمفترى، وحقه ليس بسحر مبين، أن محمداً عنده كتب يدرسها، ويأتي بالقرآن منها، فهو « تفصيل الكتاب » (يونس 37). فقد درس الكتب لكي « يعلمهم الكتاب والحكمة » أي التوراة والإنجيل (2 : 129 و151؛ 3 : 164؛ 62 : 2). وأهل مكة يتهمونه بالدرس، فلا يردّ التهمة، بل يبيّن غايته من الدرس : « وكذلك نصرّف الآيات ـ وليقولوا : درست! ـ ولنبيّنه لقوم يعلمون » (الأنعام 105)، لأن أهل مكة غفلوا عن دراسة الكتاب الذي نزل على طائفتين من قبلهم، اليهود والنصارى (الأنعام 156). فشهادة القرآن بدرس محمد للكتاب والإنجيل قاطعة.

ونعرف أن محمداً درس الكتاب كله على يد ابن عمه، قس مكة، ورقة بن نوفل، من يأس محمد عند وفاة ورقة، ومحاولته الانتحار، كما جاء في الصحيحين : إنه يأس التلميذ من وفاة أستاذه الأوحد!

وهذا الواقع القرآني يقضي على **أسطورة أمية محمد** التي بنوا عليها إعجاز القرآن، معتمدين على تفسير خاطئ مفضوح لصفة محمد أنه « **النبي الأمي** » (الأعراف 156 - 157). و « الأمي » الذي يفسرونه لغة بما يهوون، إنما هو اصطلاح في القرآن، كناية عن الذي أو الذين ليس لهم كتاب منزل، كما يقابل القرآن بين أهل الكتاب والأميين : « وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين : أأسلمتم؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا » (آل عمران 20). فمحمد نبي من العرب الأميين : « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم ... يعلمهم الكتاب والحكمة » (الجمعة 2).

فمحمد كان يقرأ ويكتب، بنص القرآن القاطع، في أول ما نزل عليه : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ... الذي علم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم » (العلق 1 - 5). فقد علم الله محمداً بالقلم ما لم يعلم، بواسطة أستاذه ورقة؛ وكان يكتب الغيب من الكتاب المقدس الذي يدرسه، كما في شهادة السورة الثانية (القلم 37 و42).

ولا يردّ على ذلك قوله : « نحن نقصّ عليك أحسن القصص، بما أوحينا إليك هذا القرآن، وإن كنت من قبله لمن الغافلين » (يونس 7)؛ أو قوله : « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة، **وعلمك ما لم تكن تعلم**، وكان فضل الله عليك عظيماً » (النساء 113)؛ أو قوله : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون! بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون » (العنكبوت 48 - 49).

إن اليهود الظالمين يجحدون بالقرآن؛ أما الذين أوتوا العلم مقسطين أي النصارى فالقرآن نفسه آيات بينات في صدورهم؛ وهذا هو القول الفصل بأن

الله علم محمداً ما لم يكن يعلم بواسطة أولي العلم المقسطين، الذين القرآن نفسه آيات بينات في صدورهم؛ وهو يشهد للإسلام بشهادتهم (آل عمران 18). فتلك الآيات لا تنفي عن محمد الاكتساب العلمي، كما لا تنفيه غيرها عن موسى.

قال دروزة (سيرة الرسول 1 : 37 - 48) : « هذه الآيات وأمثالها قد حملت على ما يبدو بعض علماء المسلمين على **نفي الاكتساب العلمي عن النبي ص**. ونحن لا نرى حكمة، أو ضرورة تحمل هؤلاء على نفي الاكتساب العلمي عن النبي ص قبل بعثته، وبذل الجهد في هذا النفي. كما أننا لا نرى هذه الآيات تتعارض مع صحة القول بأن **النبي قد اكتسب معارف كثيرة مما كانت تحويه الكتاب الدينية وغيرها** من مبادئ وأسس وتشريعات وقصص، مما كان يدور على ألسنة الناس من مثل ذلك، كتابيين أو غير كتابيين، بسبب تلك **الاتصالات** التي تلهم وقوعها الآيات القرآنية، وبسبب **الرحلات** التي أجمعت الروايات على أن النبي ص قام بها، وبسبب طبيعة **وجوده في بيئة** تلم إلماماً غير يسير بهذه المعارف. فإن أهل بيئة النبي ص كانوا على **اتصال دائم بالأمم الكتابية** وغير الكتابية، عن طريق المستقرين منهم بالحجاز، وعن طريق الرحلات المستمرة إلى البلاد المجاورة. وإن كثيراً من أخبارهم ومعارفهم وعقائدهم وأحوالهم قد تسربت إلى العرب، وشاهدوا مشاهدها التاريخية والمعاصرة. وليس من الطبيعي، ولا من المعقول، أن يبقى النبي في غفلة عن هذا كله » .

بيئة محمد العائلية، بعد زواجه من خديجة، دليل على سعة الاطلاع والمعرفة! فإن **محمداً أصبح على رأس تجارة دولية**، في رحلتي الشتاء والصيف، إلى اليمن ثم إلى الشام، هي أضخم تجارة في قريش ومكة والحجاز؛ وقيادة تجارة كبيرة دولية ناجحة مدة خمس عشرة سنة تقتضي من صاحبها اطلاعاً وافراً، واستطلاعاً كبيراً. وجوار العالم الكبير، نسيبه قس مكة، يكفي ليؤكد لنا ما يوحي به القرآن، أن محمداً كان بحّاثة دينياً واسع الاستطلاع، شامل الاطلاع، كما كان يستعلي على بني قومه : « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير »

(22 : 8؛ 31 : 20)، فقد كان خبيراً « بالبينات والزبر والكتاب المنير » (فاطر 25). وهو يستعلي بقوله : « وما آتيناهم من كتب يدرسونها » (34 : 44)؛ « أم لكم كتاب فيه تدرسون » (18 : 37).

وفي السيرة حادثان يدلان على أن محمداً كان يكتب. ففي معاهدة الحديبية التي كتبها علي بن أبي طالب، شطب بذاته على كلمات منها. وقد أجمعت الآثار[1] على أن النبي، وهو على فراش الموت، قال : « **إِيتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً** » .

وقد رأينا شهادة القرآن بدراسة محمد للكتاب، وكتابة الغيب عنه (القلم 37 و42). ويؤيد هذه الشهادة اطلاع أهل مكة على ذلك : « ولقد نعلم أنهم يقولون : إِنما يعلمه بشراً! ـ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي، وهذا لسان عربي مبين » (النمل 103). إن الآية تنفي تأليف الأعجمي المذكور للقرآن، ولكن لا تنفي التعلم منه. قال دروزة (سيرة الرسول 1 : 36) : « الآية تنفي التعليم الذي أراد ناسبوه في ادعائهم جحود نزول الوحي الرباني بالقرآن على النبي ص. غير أنها لا تنفي اتصالاً ما بينه وبين أحد أفراد الجالية الأجنبية كما هو ظاهر. والمتبادر أن الجاحدين لم يكونوا ليقولوا ما قالوه، لو لم يروا ويعرفوا أن النبي ص كان **يتردّد على شخص من أفراد هذه الجالية في مكة، هو أهل علم وتعليم ديني**، وله وقوف على الكتب الدينية السماوية » .

وجدّدوا التهمة وتوسعوا فيها : « وقال الذين كفروا؛ إِنْ هذا إِلا إفك افتراه، وأعانه عليه قوم آخرون! فقد جاؤوا ظلماً وزوراً » (الفرقان 4). فسّرها دروزة (سيرة الرسول 1 : 37) : « الآية إنما تنفي كذلك دعوة الاستعانة، ولا تنفي اتصالاً أو صحبة بين النبي ص وفريق من الناس. كما أن تعبير « قوم آخرون » يلهم **أن المنسوب إليهم أكثر من واحد**. وبالتالي يسوغ القول إنه غير الشخص الأعجمي المعني في آية النحل. والذي يتبادر إلى الذهن

---

(1) صحيح البخاري 1 : 23؛ 2 : 62؛ 4 : 5؛ و139؛ طبقات ابن سعد 2 : 36 - 38؛ أبو الفداء في تاريخه (1 : 152).

أن الكفار لم يكونوا ليقولوا ما حكته الآية، لو لم يروا ويعرفوا **أنه كان للنبي ص حلقة أو رفاق** يجتمعون إليهم، ويجتمع إليهم، ويتحدثون في الأمور الدينية. وليس من المستبعد ـ إن لم نقل من المرجح ـ **أنّ هذا كان قبل البعثة، ثم امتدّ إلى ما بعدها،** وأن يكون من هؤلاء الرفاق أفراد من الجالية الكتابية » .

وكيف ينسون دائماً القس العلامة نسيبه ورقة بن نوفل؟ أو استشهاده « بمن عنده علم الكتاب » (الرعد 45)؟ أو قوله : « أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل » (الشعراء 197)، بل « هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » أي « النصارى » (العنكبوت 49)؛ فقد أُمر « بهداهم اقتده » (الأنعام 90). وكيف ينسون أن « مثل » القرآن موجود عندهم : « وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » (الأحقاف 10)، وما كان القرآن سوى « تفصيل الكتاب » (يونس 37) على مثال ذلك « المثل » النصراني : « إنا جعلناه قرآناً عربياً » (43 : 3)؛ « فإنما يسّرناه بلسانك » (19 : 97؛ 44 : 58).

والحديث يشهد بأن محمداً كاد ينتحر لما توفي قس مكة، ورقة بن نوفل، في مطلع الدعوة القرآنية. فالتلميذ يكاد ينتحر لوفاة أستاذه ووليّ نعمته.

فكل تلك الدلائل من القرآن والحديث والسيرة شهادة قائمة على أن محمداً « درس » « النصرانية » وكتابها و « علمها » على يدي ولي نعمته في زواجه من السيدة خديجة، ورقة بن نوفل، قس مكة. فتهيأت نفسه بالدرس، وقيام الليل للصلاة وترتيل قرآن الكتاب المنير (المزمل 1 ـ 4)، والتحنّف السنوي في رمضان « النصراني » مع الإمام أستاذه، لتقبل رسالة السماء.

تلك هي المفاجأة التاريخية القرآنية الثالثة في « نصرانية » محمد.

*

المفاجأة الرابعة : بعثة محمد للدعوة للكتاب، على طريقة « النصرانية »

ظل محمد يدرس ويتأمل، مدة خمسة عشر عاماً، في جوار نسيبه العلاّمة،

قس مكة، ورقة بن نوفل، حتى تلك الليلة المباركة (الدخان)، ليلة القدر (القدر) من شهر رمضان (البقرة 185)، حيث جاءه في « رؤيا » « روح من أمره » تعالى (الشورى 52)، فأراه الكتاب وأمره ثلاثاً « اقرأ » (العلق 1 - 5)؛ ثم أمره بالدرس (القلم 1 و35)؛ ثم بترتيل « القرآن » في قيام الليل على عادة رهبان النصارى (المزمل 1 - 7)، أخيراً بالدعوة والتبشير : « يا أيها المدّثر قم فأنذر » (المدثر 1 - 2).

وقد فسّر القرآن العربي تلك « الرؤيا » و « القرآن » الذي أُوحي إلى محمد فيها بقوله : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء، إنه علي حكيم. وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا : ما كنت تدري **ما الكتاب ولا الإيمان!** ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا، وأنك لتُهدى إلى صراط مستقيم » (الشورى 52). فالوحي المنزل على محمد في رؤيا حراء **هو الإيمان بالكتاب**، بنص القرآن القاطع، والدعوة له : « وقل : آمنت بما أنزل الله من كتاب، وأُمرت لأعدل بينكم » (الشورى 15). فرؤيا محمد كلها : « اقرأ » « تفصيل الكتاب » على العرب.

وقد أوجز القرآن نفسه الرؤيا وموضوعها بقوله : « **وأمرت أن أكون من المسلمين**، وأن أتلو القرآن » ، قرآن الكتاب (النمل 91 - 92)، على مثال « المثْل » الذي يشهد به شاهد من بني إسرائيل، النصارى (الأحقاف 10). فالرؤيا كانت أمراً بانضمام محمد إلى النصارى، المسلمين من قبله، والدعوة « للكتاب المنير » على طريقتهم.

فالقرآن الذي نزل على محمد في غار حراء كان بعثة محمد للدعوة للكتاب، على طريقة « النصرانية » . هذا هو الواقع القرآني، مهما بدا لنا مذهلاً. ويؤيد ذلك تصريحه الضخم بأنه يدعو للإسلام الذي يشهد به « أولو العلم قائماً بالقسط » مع الله وملائكته « أن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران 18 - 19)، وهم النصارى من بني إسرائيل، ومن تنصّر معهم من العرب، مثل قس مكة، ورقة.

تلك رواية القرآن، التي تؤيدها رواية السيرة.

وما أفاق محمد من رؤياه بغار حراء حتى أقبل على خديجة ترجف بوادره. فقال : زملوني! زملوني! فزملوه حتى ذهب عنه الروع. ثم قال لخديجة : أي خديجة ما لي؟ وأخبرها الخبر. ثم قال : « لقد خشيت على نفسي » . قالت له خديجة : « كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً : إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق » . هذا عن السيرة الهاشمية. وتضيف السيرة الحلبية[1] : « فقالت : أبشر يا ابن عمي واثبت فوالذي نفسي بيده، **إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة » .** فإجماع الرواية على أن محمداً لا يشعر من نفسه بالنبوة في رؤياه. لكن السيدة خديجة تردّد له ما سمعته منذ خمسة عشر عاماً من ابن عمها القس، لما نصحها بالزواج من محمد : « سيكون نبي هذه الأمة » .

وتضيف السيرة الحلبية[2] ، تعليقاً على الهاشمية : « ثم قامت فجمعت ثيابها. ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ص. فقال ورقة : قدوس ، قدوس، قدوس، والذي نفسي بيده، لئن صدقتني يا خديجة، لقد جاءه الناموس الأكبر، **وإنه نبي هذه الأمة!** فقولي له : ليثبت! » - إن « الناموس » في كتب النصارى، اسم من أسماء المسيح الحسنى : فقد جاء محمداً الوحي الإنجيلي! ويظهر من إجماع الرواية أن قس مكة، ورقة، يقول لمحمد منذ زواجه حتى رؤياه في غار حراء : « إنه نبي هذه الأمة » ! ويعلنها ورقة وخديجة قبل أن يشرع بها صاحبها محمد!

ولقي ورقة محمداً يطوف بالكعبة، بعد رجوعه من غار الرؤيا، فقال له : « يا ابن أخي، أخبرني بما رأيت وسمعت. فأخبره رسول الله. فقال له ورقة : والذي نفسي بيده، **انك لنبي هذه الأمة!** وقد جاءك الناموس الأكبر » .

---

(1) السيرة الحلبية 262 - 263.
(2) السيرة الحلبية 268.

ويظهر أن خديجة استفتت ورقة ثلاث مرات، بالواسطة ثم بنفسها. وتضيف السيرة المكية[1] : « وفي بعض الروايات أن خديجة ر. قبل أن تذهب به إلى ورقة، **ذهبت به إلى عداس وكان نصرانياً**، من أهل نينوى، قرية سيدنا يونس عليه السلام ... وعداس هذا **كان راهباً**، وكان شيخاً كبير السن، وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر » ...

وتضيف : « وذكر ابن دحية أنه ص لما أخبرها بجبريل، **كتبت إلى بحيرى الراهب**، وقيل سافرت إليها بنفسها، فسألته ... والحاصل أن خديجة ر. كانت في بدء الوحي تتردّد بين ورقة وعداس وغيرهما، ممن له علم بالكتاب، لتتثبت في الأمر، لشدة اعتنائها وتثبتها في أمره ص ولتقوّي قلبه وتعينه على الحق : فنعم الوزير كانت له » .

هذا هو واقع السيرة بالإجماع. فنتساءل : لماذا تستفتي السيدة خديجة، في أمر محمد، رؤساء « النصرانية » ، حتى الإمام الأكبر بحيرى في بصرى، « وصي عيسى على دينه » ، ولا تستفتي أحداً من أبناء عمومتها، صناديد قريش وعلمائهم؟ أليس أن خديجة كانت « نصرانية » مثل ابن عمها ورقة، وتسلك في أمر الدين كما يسلك جميع النصارى، في استفتاء رؤساء دينهم!

ثمّ لِمَ هذا التسرّع من رؤساء « النصرانية » في إعلان نبوءة محمد، قبل أن يعلنها هو، ويمضي فيها؟ أليس أنهم أتموا إعداد محمد للرسالة، **وقد أتته إشارة السماء للبدء بها؟**

إن اطمئنان محمد وخديجة إلى فتاوي رؤساء « النصرانية » دليل على أن « روحاً من أمرنا » **قد بعثه للدعوة للإسلام « النصراني »** ، بنص القرآن القاطع، ووحي السيرة: « وأمرت أن أكون من المسلمين، وأن أتلو القرآن » (النمل 91 - 92)؛ فكانت الدعوة القرآنية شهادة للإسلام « النصراني » (آل عمران

---

(1) السيرة المكية، بهامش الحلبية 182 - 184.

18 - 19)، وتأييداً للنصرانية على اليهودية (الصف 14)؛ ثم على المسيحية : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون » (61 : 9؛ 48 : 28؛ 9 : 34).

تلك هي المفاجأة التاريخية القرآنية الرابعة في « نصرانية » محمد.

*

المفاجأة الخامسة : محمد في دعوته يقتدي بهدى « النصارى »

القول الفصل في تصريحه : « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم (الحكمة) والنبوة ... أولئك الذين هدى الله، **فبهداهم اقتده** » (الأنعام 89 - 90). فعلى النبي العربي أن يقتدي في دعوته بهدى أهل الكتاب والحكمة أي التوراة والإنجيل، وهم الذين يقيمون التوراة والإنجيل معاً أي النصارى، لا التوراة وحدها كاليهود، ولا الإنجيل وحده مثل المسيحيين : « قلْ يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم » (المائدة 71). فالنصارى وحدهم يقيمون دين موسى وعيسى ديناً واحداً، هو الذي يشرعه القرآن للعرب (الشورى 13). فعلى محمد في دعوته أن يقتدي بهدى « النصارى » .

هذه هي « الشريعة من الأمر » التي عليها جعله الله في بعثته : « ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم (الحكمة) والنبوة، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين، وآتيناهم بينات من الأمر. فما اختلفوا (اليهود) إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم - إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون. **ثم جعلناك على شريعة من الأمر، فاتبعها**؛ ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون (المشركين) : إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً. وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض. والله ولي المتقين » (الجاثية 15 - 18). لقد جعل الله محمداً في بعثته على طريقة من أمر الدين، هي طريقة أهل الكتاب والحكمة، التوراة والإنجيل من بني إسرائيل، أي النصارى الذين « رزقناهم من الطيبات، وفضلناهم على العالمين، وآتيناهم بينات من الأمر » ، كما خبر محمد ذلك بنفسه لدى خديجة

وورقة؛ فعليه أن يتبع في دعوته طريقة « النصرانية » ، لا طريقة المشركين الذين لا يعلمون، ولا طريقة اليهود الذين اختلفوا بعد ما جاءهم « العلم » في حكمة الإنجيل. والظالمون من اليهود والمشركين بعضهم أولياء بعض. والله ولي المتقين من جماعة محمد إذا ساروا معه على « شريعة من الأمر » ، هي طريقة النصارى الذين « آتيناهم بينات من الأمر » .

فعلى محمد أن يستقيم في دعوته على الطريقة « النصرانية » ؛ فلا يكن في مرية من أمر المشركين، ولا من أمر المخالفين من أهل الكتاب : « فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء (المشركون) ... ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ... **فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ...** ولا تركنوا إلى الذين ظلموا (اليهود) ... فلولا كان من القرون من قبلكم ألوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض، إلا قليلاً ممن أنجينا منهم » (هود 111 - 118). هؤلاء هم « من قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الأعراف 157)، فقد « آمنت طائفة من بني إسرائيل (بالمسيح) وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا (النصارى) على عدوهم (اليهود) فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14). فالبقية الناجية من بني إسرائيل هي الأمة الهادية من قوم موسى، والطائفة المؤمنة بالمسيح من اليهود : هؤلاء هم النصارى الذين على محمد أن يستقيم في دعوته معهم كما أُمر : « وأُمرت أن أكون من المسلمين » (النمل 91). لاحظ قوة التعبير : « فاستقم كما أمرت ومن **تاب معك** » : فبعثة محمد كانت، بنص القرآن القاطع، **توبة إلى « النصرانية »** ؛ كما كانت **هداية** إلى الإيمان بالكتاب على « شريعة من الأمر » مثلهم (الشورى 52؛ الجاثية 18).

فالنصرانية، بإقامة التوراة والإنجيل معاً (المائدة 71)، بالإيمان « بما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم : لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (2 : 136 و285؛ 3 : 84) هي الدين الذي يشرعه الله للعرب، مهما كابر المشركون، وفارق اليهود : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً -

والذي أوحينا إليك ـ وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى : أَن أَقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه؟ كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ... وما تفرقوا (اليهود) إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ... فلذلك **فادع واستقم كما أمرت.** ولا تتبع أهواءهم. وقل : آمنت بما أنزل الله من كتاب؛ وأمرت لأعدل بينكم » (الشورى 13 ـ 15). فالله يشرع في القرآن دين موسى وعيسى ديناً واحداً (وما وصى به نوحاً وإبراهيم هو في التوراة)، وهذا الدين الواحد من موسى وعيسى، بإقامة التوراة والإنجيل معاً، هو « النصرانية » . فعلى هذه « النصرانية » يجب على محمد أن يستقيم في دعوته، كما أُمر، ولا يتبع أهواء اليهود والمشركين المتحزبين على الدعوة « النصرانية » القرآنية.

والنصارى الذين على محمد أن يقتدي بهداهم، سيماهم في وجوههم، وفي قلوبهم رحمة ورأفة، من دون الفاسقين من اليهود، والفاسقين من المسيحيين : « ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم، وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب : فمنهم مهتد (النصارى من بني إسرائيل) وكثير منهم فاسقون (اليهود). ثم قينا على آثارهم برسلنا، وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل، وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رحمة ورأفة ـ ورهبانية ابتدعوها، ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، فما رعوها حق رعايتها ـ فآتينا الذين آمنوا منهم (النصارى) أجرهم؛ وكثير منهم (المسيحيون) فاسقون » (الحديد 76 ـ 77). فالنصارى من بني إسرائيل هم المهتدون الذين آمنوا فآتاهم أجرهم، من دون الفاسقين في دينهم من اليهود والمسيحيين.

لذلك لا يصح الجدال مع النصارى إلا بالحسنى ـ من دون اليهود الظالمين ـ وهذه الحسنى هي الأمر بالإيمان **أن الإله واحد، والتنزيل واحد، والإسلام واحد** بين النصارى وجماعة محمد (العنكبوت 46). فالوحدة شاملة كاملة، وجامعة مانعة بين جماعة محمد والنصارى.

وتتواتر على محمد الأوامر بأن ينضم إلى هؤلاء النصارى، المسلمين من قبله :

« وأمرت أن أكون من المسلمين » (النمل 91)؛ وتتنوّع: « وأمرت أن أكون من المؤمنين » (يونس 104)؛ « فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين » (الحجر 95 - 98)، لا من المشركين المنبوذين، ولا اليهود المقتسمين الكتاب، « يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض » ، ويستهزئون بمحمد ودعوته. وكل هذه الأوامر المتواترة تعود إلى الأمر الأساسي : « **فبهداهم اقتده** » . فعلى محمد أن يقتدي في دعوته « النصارى » .

تلك هي المفاجأة التاريخية القرآنية الخامسة في « نصرانية » محمد.

*

المفاجأة السادسة : محمد « أول المسلمين » أي « رئيس النصارى »

في كل مفاجأة نعود إلى الأمر الأساسي في بعثة محمد : « وأمرت أن أكون من المسلمين » (النمل 91). فالمسلمون موجودون من قبل محمد والقرآن، ومحمد في بعثته ودعوته قد أُمر بأن ينضم إليهم ويدعو بدعوتهم. لذلك فهو يشهد بالقرآن بشهادتهم للإسلام (آل عمران 18 - 19). فهم « أولو العلم قائماً بالقسط » ، « الراسخون في العلم » (آل عمران 7) أي النصارى من بني إسرائيل، الذين يشهدون : « إنا كنا من قبله مسلمين » (القصص 53)، ولا يشهد بذلك اليهود، ولا المسيحيون. ومن السخافة أن ينسب المفسرون هذا التصريح إلى وفود من الحبشة أو الشام : إن القرآن يفسر بعضه بعضاً.

ففي بعثته يعلن محمد انضمامه إلى النصارى المسلمين، ويدعو بدعوتهم. وبعد فترة يصرّح : « قل : إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين! وأمرت لأن أكون **أول المسلمين** » (الزمر 11 - 12). فلا يقصد أولية زمانية مكانية أي أنه أول من أسلم من العالمين، أو بين العرب : فالمسلمون موجودون من قبله، وقد انضم إليهم، والآن يعلن أنه أمر بأن يكون « **أول المسلمين** » أي « **رئيس النصارى** » . فهي أولية شرفية رئاسية : لقد تسلّم محمد بعد وفاة ورقة رئاسة النصارى المسلمين

بمكة؛ وبعد وفاة بحيرى، « وصي عيسى على دينه » رئاسة النصارى المسلمين في العالمين.

وهو يعتزّ بهذه الرئاسة على النصارى، فهي أمر مقرّر مكرّر : « إني أُمرت أن أكون أول من أسلم » (الأنعام 14).

وها أن أمارات رئاسة محمد على النصارى المسلمين تظهر في سيرته وعقيدته ودعوته : « قل : إن صلاتي ونسكي، ومحياي ومماتي، لله رب العالمين، لا شريك له. بذلك أُمرت وأنا أول المسلمين » (الأنعام 162 - 163). إنها صورة إيمانه في رئاسته. وكان يقتدي بأساقفة المسيحيين في إِمامة الصلاة : يرتدي جبة حمراء فوق حلة حمراء، مع عمامة سوداء.

لقد خلف محمد أستاذه ورقة بن نوفل، قس مكة، على رئاسة النصارى والمتنصرين من العرب، وخلف الإمام الأكبر بحيرى في رئاسة النصرانية جمعاء. وقد حسنت رئاسته ونجحت، فقد أيد النصرانية بالدعوة القرآنية حتى أظهرها على الدين كله في الحجاز والجزيرة (الصف 14).

وهذا هو **شعار انتصار الإسلام « النصراني »** ، دين الحق، على الدين كله في الحجاز والجزيرة : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى (دين موسى) ودين الحق (دين عيسى)، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون » (الصف 9؛ الفتح 28؛ التوبة 34) قابل (الشورى 13). فكان بذلك « أول المسلمين » أي رئيس « النصارى » في مكة والحجاز والجزيرة.

تلك هي المفاجأة التاريخية القرآنية السادسة في « نصرانية » محمد.

*

المفاجأة السابعة : انتصار « النصرانية » باسم الإسلام بفضل الدعوة الإسلامية

تلك المفاجآت توصلنا إلى هذه المفاجأة الضخمة : إن « النصرانية » انتصرت باسم الإسلام في الدعوة القرآنية. فكل القرائن القرآنية التي جمعناها تجزم بأن القرآن دعوة « نصرانية » . والنتيجة الحاسمة أن « النصرانية » هي التي انتصرت

على اليهودية وعلى المسيحية باسم الإسلام في الدعوة القرآنية بالجزيرة العربية. وهذا السر تكشفه لنا آية (الصف 14) : « يا أيها الذين آمنوا، كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين : من أنصاري إلى الله؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله! فآمنت طائفة من بني إسرائيل، وكفرت طائفة؛ **فأيدنا الذين آمنوا** (النصارى) **على عدوهم** (اليهود) **فأصبحوا ظاهرين** » . لاحظ ترجمة « نصارى » بأنصار، ولاحظ دعوة الجماعة إلى أن يكونوا أنصار الله مثل « النصارى » . ويختم بالتصريح الضخم الذي هو سرّ القرآن كله : إن الدعوة القرآنية انتصار « للنصرانية » على اليهودية - ومن بعد على المسيحية، في الجزيرة العربية.

ومنذ العهد المكي يعلن عن هدف دعوته: « ولقد كتبنا في (الزبور) من بعد (الذكر) إن الأرض يرثها عبادي الصالحون[1] ... قل : إنما يوحي إلي أنما إلهكم إله واحد، فهل أنتم مسلمون؟ فإن تولوا، فقل : **آذنتكم على سواء ...** وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون » (الأنبياء 195 - 199) و « عباد الله الصالحون » هم الذين يؤمنون بالأنبياء بدون تفريق بينهم، ويؤمنون بعيسى وأمه آية للعالمين (الأنبياء 92) أي النصارى من بني إسرائيل ومن تنصر معهم من العرب. فالقرآن ينذر المشركين واليهود « **على سواء** » إن أرض العرب للنصارى المسلمين، عباد الله الصالحين، لا لليهود ولا للمشركين.

ومنذ مطلع العهد المدني يؤكد استعلاء النصارى المؤمنين بالمسيح على اليهود إلى يوم الدين ، فلا تنفع اليهود مؤامراتهم مع المشركين على محمد والنصارى : « إذ قال الله : يا عيسى، إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا؛ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة. ثم إلي مرجعكم، فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون : فأما الذين كفروا (بالمسيح) فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة، وما لهم من ناصرين؛ وأما الذين آمنوا (بالمسيح)

---

(1) تفسير مادي لمعنى مجازي في الإنجيل : « طوبى للودعاء (العباد الصالحين) فإنهم يرثون الأرض » (متى 5 : 4).

وعملوا الصالحات، فيوفيهم أجورهم (وهم النصارى) والله لا يحب الظالمين (اليهود). ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم » (آل عمران 55 - 58). فالسيطرة في الحجاز والجزيرة هي للنصارى، لا لليهود.

أجل إن الله لا يحب اليهود الظالمين، لكفرهم بالمسيح ثم بمحمد الذي يدعو إليه: « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون! كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، لبئس ما كانوا يفعلون! **ترى كثيراً منهم يتولون** الذين كفروا (العرب المشركين)! لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم، وهم في العذاب خالدون! ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أُنزل إليه ما اتخذوهم أولياء، ولكن كثيراً منهم فاسقون! لتجدنّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا **اليهود والذين أشركوا!** ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى ... » (المائدة 81 - 88). لقد انقسم أهل الحجاز فريقين : فريق اليهود والمشركين، وفريق النصارى والذين آمنوا من العرب. وسينتصر الإسلام القرآني « النصراني » على اليهود ثم على المشركين، فتسود النصرانية باسم الإسلام.

هذا ما نراه في **نشيد النصر** الذي يردّده ثلاث مرات، في مراحل النصر الثلاث : في النصر على اليهودية (الصف)، وفي النصر على الشرك بمكة (الحديد والفتح)، وفي النصر على المسيحية العربية (براءة). وتكرار النشيد نفسه في المواطن الثلاثة يدل على أنه انتصار « النصرانية » .

إن انتصار الإسلام على اليهودية في شمال الحجاز هو انتصار النصرانية على الشرك على اليهودية : يستفتح بنشيد الحمد على الفتح المبين (الصف 1 - 4). ثم يجمع اليهود والمشركين في تحدّ واحد بالنصرانية، الهدى ودين الحق، كناية عن التوراة والإنجيل : « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متمّ نوره، ولو كره الكافرون (اليهود)، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون » (8 - 9). ويختم بإعلان انتصار النصرانية

على اليهودية بالجهاد الإسلامي : « فأيدنا الذين آمنوا (بالمسيح) على عدوهم (اليهود) فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14).

بدأ فتح مكة بصلح الحديبية، « فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً » (الفتح 27). وبهذه المناسبة كرّر نشيد النصر : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً » (الفتح 28). ولما تمَّ الفتح الأكبر كان النشيد الأكبر (الحديد 1 - 6)؛ ثم يعرّض بالمنافقين على مثال « الذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد، فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » (16)، وهم اليهود. بينما يشيد بالنصارى، ويندّد بفسق المسيحيين، بمناسبة غزوة مؤتة الفاشلة : « وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رحمة ورأفة ... فآتينا الذين آمنوا منهم (النصارى) أجرهم، وكثير منهم فاسقون » (37).

أخيراً جمع جيش العسرة وغزا المسيحيين العرب في تبوك والشمال، آمراً بقتالهم كقتال اليهود، لأنهم « لا يدينون دين الحق » ، أي النصرانية، « حتى يدفعوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون » (براءة 30). فالهدف إخضاعهم لسلطان الإسلام، لا لدينه، بخلاف المشركين. والسبب أنهم كاليهود « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون » (33). ويختم بترداد شعار النصر : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون » (34).

جهاد واحد، ونصر واحد، ونشيد واحد للنصر، سرها كلها : « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم، فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14). إنه انتصار « النصرانية » باسم الإسلام بفضل الدعوة القرآنية وجهادها. تلك هي المفاجأة السابعة في « نصرانية » محمد.

وتلك هي المفاجآت السبع في « نصرانية » محمد قبل مبعثه، وفي دعوته.

* * *

بحث ثالث

« نصرانية » القرآن

تظهر « نصرانية » القرآن من وجود « مثله » عند النصارى من بني إسرائيل؛ ومن عقيدته في المسيح، وفي آخرته؛ ومن إسلامه في الإيمان والدين؛ وفي تكوين جماعته « أمة وسطاً » بين اليهودية والمسيحية؛ وفي جهاده لنصرة « النصرانية » على اليهودية ثم على المسيحية العربية؛ وفي كون الإسلام القرآني هو « النصرانية » عينها؛ وفي موقفه من المسيحية.

المفاجأة الأولى : « نصرانية » القرآن من وجود « مثله » عند النصارى من بني إسرائيل.

المفاجأة الضخمة في سر القرآن هي تصريحه بأن « مثله » موجود عند النصارى من بني إسرائيل، مما يشهد بأنه من عند الله : « قلْ : أرأيتم، إن كان من عند الله، وكفرتم به ـ وشهد شاهد من بني إسرائيل **على مثله** فآمن واستكبرتم ـ إن الله لا يهدي القوم الظالمين**!** (الأحقاف 10). فيرد المشركون : « وقال الذين كفروا للذين آمنوا : لو كان خيراً ما سبقونا إليه**!** ـ وإذا لم يهتدوا به، فسيقولون : هذا **إفك قديم** » **!** (11). فيردّ عليهم : « ومن قبله، كتاب موسى إماماً ورحمة؛ وهذا كتاب مصدّق، لساناً عربياً : لينذر الذين ظلموا، وبشرى للمحسنين (12).

إن برهان المصدر الإلهي للقرآن العربي هو شهادة « شاهد من بني إسرائيل **على مثله** » . فسره الزمخشري : « الضمير للقرآن[1] ؛ أي على مثله في المعنى. ويدل

(1) البيضاوي : « على مثله : مثل القرآن » .

عليه قوله تعالى : (وإنه لفي زبر الأولين)، (إن هذا لفي الصحف الأولى)، (كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك) » .

إن « مثل » القرآن موجود قبله : هذا هو التقرير القرآني، بنصه القاطع. وتفسير الزمخشري « أي **على مثله في المعنى** » ينطبق على الاستشهادات الثلاثة التي ينقلها، لا على آية الأحقاف : « على مثله » . فالقرآن يتحدى المشركين « بمثله » (الإسراء 88)، « بحديث مثله » (الطور 34)، « بعشر سور مثله » (هود 13)، « بسورة مثله » (يونس 38)، « بسورة من مثله » (البقرة 23) : وهذا التحدي يعني حرف القرآن المعجز، لا المعنى المعجز وحده. كذلك في التصريح بالشهادة على وجود « مثله » : فإن « مثل » القرآن موجود بحرفه ومعناه من قبله، وهو يبلغه للعرب « لساناً عربيّاً » (12).

ينتج عن هذا الإعلان القرآني : أولاً سقوط التحدي بإعجاز القرآن، لأن « مثله » موجود قبله؛ ثانياً الشهادة القرآنية بنصه القاطع الصريح على وجود « مثل القرآن قبله » ، بحرفه ومعناه.

لكن من هو « **شاهد من بني إسرائيل** » ؟ ـ تتداول التفاسير أن التعبير كناية عن ابن سلام، الحبر اليهودي الذي أسلم في المدينة، مع كعب الأحبار ليدسّا الإسرائيليات على القرآن. وهل تقوم شهادة واحدة تجاه رفض الأمة كلها، وقد كانوا جميعهم « أول كافر به » . « وقد روى الطبري عن مسروق أحد علماء التابعين أنه قال (واللهِ ما نزلت في عبد الله بن سلام؛ وما نزلت إلا بمكة، وما أسلم عبد الله بن سلام إلا بالمدينة[1] » .

وفات الجميع الشهادة الأخرى الجامعة : (أوَلم يكن لهم آية أن يعلمه **علماء بني إسرائيل** » (الشعراء 197)، وهم « من قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الأعراف 157) أي « فآمنت طائفة من بني إسرائيل (بالمسيح)

(1) دروزة : التفسير الحديث. الجزء الخامس ص 273.

وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم (اليهود) فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14)، فالقرآن يقسم بني إسرائيل إلى يهود ونصارى؛ ويعلن أن اليهود كانوا جملة « أول كافر به » ؛ بينما يستشهد على الدوام بعلماء بني إسرائيل النصارى، والقرآن « يؤيدهم » على عدوهم اليهود.

فالشاهد، بل الشهود، على وجود « مثل » القرآن قبله، هو وهم النصارى من بني إسرائيل، ومن « تنصر » معهم من العرب : **والنتيجة الحاسمة أن « مثل » القرآن موجود قبله عند النصارى من بني إسرائيل.** لذلك فقد أخطأ الأستاذ دروزة، على غرار من سبقه، بقوله : « ونحن نعتقد ذلك، ونعتقد أنها تعني شهادة وإيمان إسرائيلي في مكة » . كلاّ، بل هي شهادة وإيمان نصراني من بني إسرائيل. والقرآن بتقرير الشهادة يؤيدها ويشهد بوجود « مثل » القرآن عندهم.

يردّون عليه بأن القرآن « إفك قديم » على غرار « مثله » (11). وهذا تصريح بأن « مثل » القرآن عند النصارى كان أمراً مشهوراً بمكة. فيردّ عليهم بأنهما ليسا إفكاً قديماً، لأنهما تفصيل الكتاب الإمام : « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة؛ وهذا كتاب مصدّق، لساناً عربياً » . إن إجماع المفسرين على أن « لساناً عربيّاً » « حال من ضمير كتاب في مصدق أو منه لتخصصه بالصفة » (البيضاوي). وهذه شهادة قائمة على أن القرآن العربي لا يتميّز عن « المثل » النصراني إلا باللسان العربي؛ فهو تعريب له، كقوله : « كتاب أُحكمت آياته، **ثم فُصلت من لدن حكيم خبير** » (هود 1) والتفصيل بلغته يعني التعريب، كقوله: « ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا : لولا فُصّلت آياته، أأعجمي وعربي؟ » (فصلت 44). فالقرآن العربي تفصيل أي تعريب « للمثل » أي القرآن النصراني.

وغاية هذا التعريب : « لينذر الذين ظلموا، وبشرى للمحسنين » أي إنذار لليهود الظالمين، وبشرى أي إنجيل للنصارى المحسنين، بحسب الاصطلاحين المتواترين فيه. وهو تفسير لقوله : « إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل (من يهود ونصارى) أكثر الذي هم فيه يختلفون » .

فالشهادة على « نصرانية » القرآن مزدوجة: إن القرآن العربي هو تفصيل « المثْل » النصراني « لساناً عربيّاً » ؛ وهو بشرى أي إنجيل « للمحسنين » النصارى؛ ثم « لينذر الذين ظلموا » (اليهود) (الأحقاف 12)؛ ثم « ليثبت الذين آمنوا (جماعة محمد من العرب) وهدى وبشرى للمسلمين » (النحل 102) أي توراة وإنجيل معاً للنصارى المسلمين من قبله (القصص 53).

إن المفاجأة الأولى الضخمة هي شهادة القرآن على وجود « مثله » عند النصارى من بني إسرائيل.

*

المفاجأة الثانية : « نصرانية » القرآن، من عقيدته في المسيح وفي آخرته.

نوجز هنا ما فصلناه سابقاً.

عقيدة القرآن في المسيح يوجزها في هذا التعريف الجامع المانع : « إنما المسيح عيسى ابن مريم : رسول الله، **وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ...** لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقربون » (النساء 170 - 171).

أجل أن عيسى هو ابن مريم؛ لكنه أيضاً « كلمته وروح منه » . لقد فهم المسيحيون هذا التعريف بأنه شهادة بإلهية المسيح، نطق الله في ذاته، وروح منه تعالى قبل إلقائه إلى مريم. فأول النصارى من بني إسرائيل لقب « كلمة الله » بأنه « روح منه » مثل الملائكة المقربين، وجعلوه أولهم وسيدهم. وهذا هو تعليم القرآن نفسه : إن المسيح مع كونه « كلمته وروحاً منه » فهو عبد « من المقربين » (آل عمران 45)، أي « الملائكة المقربين » (النساء 171) : « إنْ هو إلا عبد أنعمنا عليه » (الزخرف 56). أي أن المسيح هو ملاك من المقربين في عيسى ابن مريم. هذه هي الازدواجية في شخصية المسيح ابن مريم، والتي انتقلت من « النصرانية » إلى الدعوة القرآنية.

وعقيدة القرآن في آخرة المسيح نجد تحديدها في سورة النساء أيضاً (156 - 157) : « وما قتلوه، وما صلبوه، ولكن **شُبّه لهم ...** وما قتلوه يقيناً، بل رفعه الله إليه، وكان الله عزيزاً حكيماً » . لا يقول: « **شُبّه له** » ، بل « شبّه لهم » أي ظنوا أنهم قتلوا وصلبوا المسيح نفسه. لذلك فقصة الشبه أي البديل المصلوب عن المسيح هي أسطورة قضى عليها الرازي في إشكالاته عليها. كان النصارى، من بني إسرائيل الذين يؤمنون بأن المسيح حي خالد لا يموت (قابل يوحنا 12 : 32 - 34) يقولون بأن المسيح، كلمة الله وروحاً منه، قد فارق عيسى قبل استشهاده، فصلب اليهود وقتلوا عيسى ابن مريم، لا المسيح نفسه الذي « رفعه الله إليه » ، قبل الاستشهاد؛ ولما عاد المسيح إلى عيسى قام من الموت والقبر، وارتفع حيّاً إلى السماء.

تلك هي قصة الشبه كما تقول بها « النصرانية » ، وكما تُستخلص من آية (النساء 156) على ضوء سائر الأقوال القرآنية في آخرة المسيح (مريم 33 آل عمران 55 المائدة 120) : إن المسيح كلمة الله وروحاً منه، قد فارق عيسى قبل استشهاده، فصلب اليهود عيسى وقتلوه، وهم يظنون أنهم يقتلون المسيح نفسه؛ لكنهم ما قتلوا المسيح، وما صلبوه، بل رفعه الله إليه؛ وإنما قتلوا صلباً عيسى ابن مريم. والقرآن مثل النصرانية يعتبر موت المسيح استشهاداً، لا فداءً. وهذا سبب خلوّ القرآن من فكرة الفداء في استشهاد المسيح.

« فنصرانية » القرآن ظاهرة من عقيدته في شخصية المسيح وآخرته.

*

المفاجأة الثالثة : « نصرانية » القرآن في إسلامه

يظن أهل القرآن أن إسلامه ميزته في الوحي والتنزيل على الكتاب والنبوة. وفاتهم أن القرآن يشهد للإسلام بشهادة النصارى من بني إسرائيل، الذين يسميهم « أولي العلم قائماً بالقسط » ؛ ويعتبر شهادتهم من شهادة الله وملائكته :

« شهد الله أنه لا إله إلا هو، والملائكة **وأولو العلم قائماً بالقسط**، لا إله إلا هو العزيز الحكيم، أن الدين عند الله الإسلام. وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » (آل عمران 18 - 19). في هذا النص شبهتان جعلتهم ينحرفون في فهم الشهادة حق فهمها : إنهم يفسرون « أولي العلم قائماً بالقسط » تفسيراً لغوياً، وهو اصطلاح قرآني متواتر؛ فأولو العلم مرادف لأهل الكتاب؛ والصفة « قائماً بالقسط » أي المقسطين كناية عن النصارى من بني إسرائيل، بخلاف الظالمين منهم أي اليهود « الذين يقتلون النبيين بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس » (21) أي يقتلون « النصارى » للشهادة للإسلام. والشبهة الثانية في إطلاق « الذين أوتوا الكتاب » على أهله كلهم، وهو تعميم في موطن التخصيص كما يظهر في النص كله (18 - 21). فاليهود يرفضون كون الإسلام هو الدين عند الله، بعد « العلم » النصراني الذي جاءهم بالمسيح والإنجيل، كما رأينا في تحليل مصطلح « العلم » فيه.

وتظهر أيضاً « نصرانية » القرآن في إسلامه من إيمان هذا الإسلام « بما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون : ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين » (آل عمران 84 - 85). إن إسلام القرآن هو دين موسى وعيسى، ديناً واحداً، بلا تفريق؛ وهذا هو الدين الذي يشرعه للعرب (الشورى 13). وهذه هي « النصرانية » عينها. فالقرآن يشهد للإسلام « النصراني » ، ويشرعه ديناً للعرب، وهو الدين عند الله، لا دين سواه.

« فنصرانية » القرآن ظاهرة في إسلامه وإيمانه ودينه.

*

المفاجأة الرابعة : « نصرانية » القرآن في أمته

إن القرآن يعلن بأنه « **أمة واحدة** » مع النصارى » الذين يؤمنون بالمسيح وأمه آية للعالمين : « والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا، وجعلناها وابنها آية

للعالمين : إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » (الأنبياء 91 - 92)؛ لا مع اليهود، « أول كافر به » ؛ ولا مع المسيحيين الذي « قالوا : المسيح ابن الله » (براءة 31)؛ بل مع النصارى من بني إسرائيل، والمتنصرين معهم من العرب، الذين يؤمنون أن « ابن مريم وأمة آية ... وأن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاتقون » (المؤمنون 51 - 53).

لذلك كانت أمة محمد، مثل « النصرانية » عينها، أمة وسطاً بين اليهودية، الكافرة بالمسيح، والمسيحية المغالية فيه : « وكذلك جعلناكم **أمة وسطاً** لتكونوا شهداء على الناس » (البقرة 143)، ما بين تفريط اليهودية وإفراط المسيحية. **فالأمة الوسط التي ينادي بها القرآن هي « النصرانية » عينها :**

في الرفعة على العالمين : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة 11). في اصطلاحه المتواتر، إن أولي العلم المقسطين، الراسخين في العلم، هم « النصارى » . فالأمة الواحدة، بنص القرآن القاطع، هي « النصارى » وجماعة محمد « الذين آمنوا » من العرب.

في غاية الدعوة القرآنية : « قل : نزَّله روح القدس بالحق ليثبت الذين آمنوا، وهدى وبشرى للمسلمين » (النحل 102). واصطلاح « المسلمين » كناية عن « النصارى » قبل أن يصير كناية لأهل القرآن (القصص 53؛ الحج 78) :

في جهاد القرآن لتأييد النصارى من بني إسرائيل على اليهود حتى النصر المبين (الصف 14) وفي إخضاع المسيحيين العرب للجزية وسلطان الأمة الوسط (التوبة 30).

« فنصرانية » القرآن ظاهرة في وحدة الأمة، وفي صفتها « الوسط » بين تفريط اليهودية، وإفراط المسيحية، بحق المسيح وأمه.

*

المفاجأة الخامسة : « نصرانية » القرآن في جهاده

لقد جاهد القرآن العرب المشركين ليفرض عليهم دين موسى وعيسى ديناً واحداً، بلا تفريق كما تفرق بين شرعهما اليهودية والمسيحية (الشورى 13). وهذه هي « النصرانية » عينها التي يشرعها ديناً للعرب (الشورى 13) ولأهل الكتاب : « قل : يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل » (المائدة 71).

لقد جاهد القرآن اليهودية حتى تصفيتها من الحجاز، **وذلك لصالح « النصرانية »** بنص القرآن القاطع : « فأيدنا الذين آمنوا (من بني إسرائيل بالمسيح) على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » وكان جهاد اليهودية **هدف القرآن الأول** ـ بعد فرض التوحيد الكتابي « النصراني » على العرب ـ بحسب قوله : « إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل 76). فلما ظلوا « أول كافر به » صفى وجودهم لكي « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة 11) أي النصارى وجماعة محمد، الأمة الوسط القرآنية.

ولم يكن جهاد القرآن للمسيحية من أهدافه الأولى، إنما ساقه إلى جهاد المسيحية العربية في اليمن والشمال ضرورة وحدة الدين في الجزيرة حتى « لا يبقى في جزيرة العرب دينان » بحسب وصيته الأخيرة. وهذا يظهر من إخضاعهم لسلطان الإسلام القرآني « النصراني » لا لدينه : « حتى يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (براءة 30).

فهدف الجهاد القرآني كله هو فرض إسلام أولي العلم المقسطين (آل عمران 17) أي « النصارى » على الجزيرة العربية، بتصفية الشرك العربي، وتصفية اليهود، وإخضاع المسيحيين العرب : « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14). فظهر « إن الله يحب الذين اتقوا والذين هم محسنون » (النحل 128)، أي جماعة محمد والنصارى، في « أمة واحدة » .

وهذا هو شعاره في جهاده : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (الصف 9؛ الفتح 28؛ براءة 34). وفي

اصطلاحه، أن الهدى كناية عن دين موسى، ودين الحق كناية عن دين عيسى، وهما الدين الذي يشرعه (الشورى 13)، والإسلام « النصراني » الذي يشهد له (آل عمران 18) ويجاهد في سبيله (الصف 14).

« فنصرانية » القرآن ظاهرة من جهاده كله.

*

المفاجأة السادسة : فالإسلام القرآني هو « النصرانية » عينها

هذه هي الخاتمة الحاسمة التي نصل إليها في كل بحث. ينكر ذلك من يجهل معنى « أولي العلم قائماً بالقسط » ، « الراسخين في العلم » الذين يشهد القرآن بشهادتهم « أن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران 7 و17) وهم النصارى من بني إسرائيل ومن « تنصّر » معهم من العرب بزعامة ورقة بن نوفل قس مكة؛ فكانوا « أمة واحدة » مع محمد « ومن تاب معه » .

ينكر ذلك من يجهل أن الذين على النبي العربي أن **يقتدي بهداهم** هم « الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة » (الأنعام 91) أي أهل الكتاب والحكمة، التوراة والإنجيل، الذين يقيمونها ديناً واحداً وشرعاً واحداً، كما يشرع للعرب (الشورى 13) ولأهل الكتاب : « قل : يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل » (المائدة 71) - وهم « النصارى » وحدهم، لا اليهود، ولا المسيحيون. فالقرآن، في دعوته، يقتدي بهدى « النصرانية » .

ينكر ذلك من يجهل معنى إعلان القرآن إيمانه « بما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم : لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (البقرة 136؛ آل عمران 84). وعدم التفريق بين موسى وعيسى، هو « النصرانية » عينها التي يقول بها القرآن.

فالقرآن ينادي « بالنصرانية » في شرع دين موسى وعيسى ديناً واحداً بلا تفريق للعرب (الشورى 13) لأن ما وصى به الله نوحاً وإبراهيم انتهى إلى ما وصي به موسى، ولا نجده إلا في التوراة.

والقرآن ينادي « بالنصرانية » عندما يشهد مع أولي العلم المقسطين « أن الدين عند الله الإسلام » ، كما يكفر بذلك اليهود (آل عمران 18 - 19).

والقرآن ينادي « بالنصرانية » عندما يدعو العرب واليهود والمسيحيين إلى ضرورة الإيمان بالمسيح والإنجيل لصحة الإسلام؛ لأنه فوق الأنبياء والمرسلين أجمعين « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » (النساء 170).

يشهد بذلك الأمر الرباني لمحمد : « وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن » معهم (النمل 91). ويشهد بذلك إعلان النصارى : « إنا كنا من قبله مسلمين » (القصص 53)، وتصريح القرآن : « ولتجدنّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : « إنا نصارى ... يقولون : ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » (المائدة 85).

إنها **الوحدة المطلقة** بين جماعة محمد والنصارى، بين الذين آمنوا والذين أوتوا العلم قائماً بالقسط (المجادلة 11)، في الأمة، وفي إسلامها، وفي إيمانها، وفي جهادها، وفي عقيدتها الواحدة في المسيح وأمه، ما بين تفريط اليهودية وإفراط المسيحية.

فالإسلام القرآني يظهر، من مثل هذه الدلائل، « النصرانية » عينها، « أمة واحدة » هي « الأمة الوسط » بين اليهودية والمسيحية. فالإسلام، في القرآن، هو « النصرانية » عينها.

*

المفاجأة السابعة : « النصارى » يذوبون في الإسلام « النصراني » القرآني

إن اختفاء النصارى من بني إسرائيل في العالم المسيحي، بدولة الروم، ظل لغزاً تاريخيّاً حير المؤرخين، حتى اكتشفناه في المصادر الإسلامية، وفي الدعوة القرآنية، بهجرتهم إلى مكة والحجاز.

وقد رأينا في **الوثائق القرآنية** المكية فالمدينة انضمام محمد إلى « النصارى »

المسلمين، « بنص القرآن القاطع : « وأُمرت أن أكـون من المسلمين » (النمـل 91) وقيام « النصارى » مع محمد بالدعوة القرآنية، والإنفاق في سبيلها، حتى الاستشهاد لأجلها (آل عمران 18 - 21).

ويختم القرآن في سورة (المائدة 85 - 88) **بإعلان ذوبان « النصارى »** في الإسلام « النصراني » القرآني الذي قاموا بدعوته مع النبي العربـي : « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا (إنا نصارى)؛ ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون. وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق. يقولون : **ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين.** وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع **أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين.** فأثابهم ربهم بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، وذلك جزاء المحسنين » . ونعرف أن مرادفات « المحسنين، المقسطين، المسلمين » هي كنايات عن « النصارى » في اصطلاح القرآن. فجزاء « النصارى » المحسنين أن الله أدخلهم مع القوم الصالحين، وكتبهم مع الشاهدين : **فذابوا في الإسلام الذي دعوا إليه.**

وهذا هو **لغز اختفائهم** في العالم الإسلامي، بذوبانهم فيه، حتى أصبح أهل القرآن يجهلون مصادر الإسلام. وهذه هي المفاجأة الأخيرة في « نصرانية » القرآن والإسلام ومحمد، النبي العربي.

* * *

خاتمة الفصل

« الأمة الوسط » في القرآن هي « النصرانية »

تلك هي المفاجآت القرآنية التاريخية الإحدى والعشرون في « نصرانية » البيئة، و« نصرانية » محمد، و « نصرانية » القرآن، ما بين أوهام الناس وحقائق

المصادر الإسلامية في القرآن والحديث والسيرة. وكلها شاهد عدل على أن القرآن دعوة « نصرانية » .

نقول : « نصرانية » ، لا مسيحية. وجهل الفارق بينهما هو سبب تخبّط القوم والعلماء في مصادر الدعوة القرآنية وفي ماهيتها وحقيقتها. فيجب التمييز بين النصارى من بني إسرائيل، والمسيحيين من الأمميين. ومن الظلم والخيانة للقرآن إطلاق اسم « نصارى » الوارد في القرآن على المسيحيين المنتشرين في العالم.

لم يتعرض القرآن للمسيحية الرسمية على الإطلاق. ولم يتصل النبي العربي إلا بوفد نجران، وقد وزعوا حوار القرآن معهم على السور المدنية. وإجماع المفسرين أن وفد نجران كان من أهل البدعة اليعقوبية في المسيحية : فمن الظلم والخيانة للقرآن إطلاق أحكام القرآن في بدعة مسيحية على المسيحية جمعاء.

فالقرآن دعوة « نصرانية » في « أمة وسط » بين اليهودية والمسيحية. و « نصرانية » القرآن هي صلة الوصل الأصلية بين الإسلام والمسيحية، وسبيل الحوار الصحيح بينهما، متى زالت الأوهام وبانت الحقائق في الدعوة القرآنية، كما رأينا في تلك « المفاجآت التاريخية حول الدعوة القرآنية » .

الفصل السَّابع

النتائج الحاسمة من الواقع القرآني

توطئة : الظاهرة الكبرى في القرآن أنه قريب وبعيد من اليهودية والمسيحية

بحث أول : مصادر الإسلام في نظر الإيمان والعلم

بحث ثان : القرآن دعوة « نصرانية »

بحث ثالث : في عرْف القرآن لا يصح إسلام بدون إيمان بالمسيح والإنجيل

بحث رابع : « نصرانية » القرآن هي صلة الوصل الكيانية بين الإسلام والمسيحية

فصل الخطاب : « نصرانية » القرآن هي محور الحوار بين الإسلام والمسيحية

القول الفصل : القرآن دعوة « نصرانية » للشهادة لله وللمسيح

[Blank Page]

توطئة

الظاهرة الكبرى في القرآن : إنه قريب وبعيد معاً من اليهودية ومن المسيحيّة

الواقع القرآني لغز حيّر العلماء : فهو قريب وبعيد في آن واحد من اليهودية؛ وهو قريب وبعيد في آن واحد من المسيحية. **فما هو سره؟**

إِن القرآن **دعوة كتابية**، بتصاريحه القاطعة :

فهو يشرع للعرب دين موسى ودين عيسى ديناً واحداً بلا تفريق (الشورى 13).

وهو يشهد للإسلام بشهادة « أولي العلم قائماً بالقسط » (آل عمران 71).

وهو « أمة واحدة » مع أهل « الكتاب والحكم والنبوة » (الأنبياء 91، المؤمنون 53).

وفي صحة دعوته تكفيه شهادة « من عنده علم الكتاب » (الرعد 45).

والقرآن هو « آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » (العنكبوت 49).

بل هو « تصديق الذي بين يديه، وتفصيل الكتاب » (يونس 36)؛ ويصرح أيضاً : « أُنزل إليكم الكتاب مفصلاً » (الأنعام 114).

وينتسب انتساباً مطلقاً إلى موسى : « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة » (هود 17؛ الأحقاف 12).

كما ينتسب انتساباً مطلقاً إلى المسيح والإنجيل : فالمسيح هو خاتمة النبوة والكتاب، قفى به على الرسل، ولم يقفّ عليه بأحد (57 : 27؛ 2 : 87؛ 5 : 49)؛ « وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ... وهدى وموعظة للمتقين » من العرب (المائدة 49).

ويؤمر النبي العربي أن « يقتدي » بهدى أهل الكتاب (الأنعام 90).

بل يؤمر أن ينضم إلى المسلمين من قبله : « وأُمرت أن أكون من المسلمين » (النحل 90).

والنتيجة الحاسمة أن القرآن وإسلامه ينتسبان انتساباً مطلقاً إلى اليهودية، وإلى المسيحية.

لكنه يجاهد اليهود لأنهم كانوا « أول كافر به » (البقرة 41)، وهم قبل المشركين « شر البرية » (البينة 6) و « أشد عداوة للذين آمنوا » (المائدة 85).

وفي آخر أمره، في آخر سورة منه يأمر جماعته بقتال المسيحيين العرب « حتى يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون ... وقالت النصارى : المسيح ابن الله » « التوبة 30 - 31).

فهذا هو الواقع القرآني : تراه في آن واحد قريباً وبعيداً من اليهودية؛ وقريباً وبعيداً معاً من المسيحيين. **فما هو سر القرآن الذي حيّر العلماء؟**

*

بحث أول

مصادر الإسلام في نظر الإيمان والعلم

إن القرآن، بنصوصه القاطعة، دعوة كتابية : فهو ينتسب على الدوام إلى الكتاب انتساباً مطلقاً. وهذا التقرير النهائي لا يمس عقيدة الوحي والتنزيل، **لأن قضية الوحي والتنزيل قضية إيمانية لا تُمس؛** لكنها لا تمنع التحليل العلمي.

والوحي والتنزيل قد يكون مباشرة، وقد يكون بالواسطة، بل بواسطة كتاب منزل سابق، كما يصرح القرآن نفسه (الشورى 51) : « أنزل إليكم

الكتاب مفصلاً » (الأنعام 114). والنبي، واسطة البلاغ، يتأثر بدهياً بعوامل بيئته الجغرافية والقومية والثقافية والدينية. والنبي العربي يتحدى بني قومه « بدرس الكتاب » (القلم 37) بل « بدرس الكتب » المنزلة قبله (سبأ 44)؛ ويستعلي عليهم « بهدى وعلم وكتاب منير » (لقمان 20؛ الحج 8). فكما تصح دراسة مصادر الإنجيل في الكتاب، تصح دراسة مصادر القرآن في الكتاب والإنجيل اللذين ينتسب إليهما انتساباً مطلقاً : فالقرآن هو « تفصيل الكتاب » (يونس 37)، بل هو « الكتاب مفصلاً » (الأنعام 114).

ففي قضية مصادر الإسلام والقرآن لدينا نظريتين : **نظرية الإيمان ونظرية العلم**. وفي رأينا كلتهما قاصرتان.

1- نظرية الإيمان في مصادر الإسلام والقرآن

أهل الإيمان بالقرآن يقولون بالوحي والتنزيل.

عملت بهذه النظرية بصدق وإخلاص. فوجدت أن تعابير الوحي والتنزيل في القرآن متشابهة لا تقطع بمعنى محدّد يفرض اليقين. بل يأتي تعبير التنزيل فيه مرادفاً « لتفصيل الكتاب » ، « وتفسير آياته » و « تصريفها » بلسان عربي مبين.

ووجدت القرآن ينتسب انتساباً مطلقاً، لا إلى كتاب في السماء، بل إلى الكتاب المنزل من قبله : « ومن قبله كتاب موسى إماماً » (هود 17، الأحقاف 12)؛ وإمامه أيضاً الإنجيل، « الكتاب المنير » (آل عمران 158؛ فاطر 25). بل يعلن بما لا مجال فيه لريب : « وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » (الأحقاف 10). أجل « إنه لتنزيل رب العالمين » ، لكنه « لفي زبر الأولين » (الشعراء 193 و195).

ووجدته يؤمر بأن « يقتدي » بهدى « الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة » (الأنعام 90)؛ ويشهد للإسلام بشهادة « أولي العلم قائماً بالقسط » (آل عمران 18)؛ وينتسب في دعوته وجهاده إلى « أمة من قوم موسى يهدون بالحق وبه

يعدلون » (الأعراف 157)؛ أي إلى طائفة من بني إسرائيل آمنت بالمسيح، ويؤيدها بجهاده حتى النصر المبين (الصف 14). إلى غير ما هنالك من دلائل وإمارات درسناها في الوثائق القرآنية.

فهذا الواقع القرآني يجعل **نظرية أهل الإيمان قاصرة** في تفسير مصادر الإسلام والقرآن. يكفي قوله : « وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن » (النمل 90)، وقوله : « وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » (الأحقاف 10).

2- نظرية العلم في مصادر الإسلام والقرآن

حينئذٍ اتجهت إلى النظريات العلمية والنقدية. فلم أستطع أن أجدها عند أهل الإسلام، لأن نقد القرآن غير مباح كنقد الإنجيل.

فاتجهت إلى المستشرقين، مع ما لنا عليهم من مآخذ. فوجدت لديهم **ثلاث نظريات** في مصادر الدعوة القرآنية، **وجدتها جميعاً قاصرة.**

نظرية أولى تقول بأن مصادر الإسلام **يهودية توراتية.** فالقرآن ينادي « أن لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل » (يونس 90). ويجعل كتاب موسى إمامه في الهدى والبيان : « ومن قبله كتاب موسى إماماً » (هود 17؛ الأحقاف 12). وفات هؤلاء أن القرآن الذي يدعو إلى التوحيد التوراتي والنبوي، يدعو أيضاً إلى الإيمان بالمسيح والإنجيل، وأن جهاده كان لتصفية اليهودية من الحجاز والجزيرة. **فالنظرية قاصرة.**

نظرية ثانية تقول بأن مصادر الإسلام في القرآن **مسيحية**، لأنه يؤمن بالمسيح والإنجيل، وهذا ليس من اليهودية في شيء. لكن هذه المسيحية التي يقول بها القرآن ليست المسيحية التي نعرفها في فرقها كلها : فجميع المسيحيين منذ الحواريين إلى اليوم يؤمنون أن « المسيح ابن الله » (التوبة 31) مهما اختلفت نظرياتهم وتفاسيرهم. وإن قامت بدع أنكرت ذلك، فقد كان سحابة سوداء عابرة. وهذا ما يكفره القرآن (التوبة 31).

ومن أصحاب هذه النظرية الثانية من رأى أن مصادره **المسيحية نسطورية** تجمع شخصين في المسيح : « كلمة الله وابن مريم » ، كما في ظاهر تعريف القرآن (النساء 170). وفاتهم أن النسطورية تؤمن بالتثليث وبإلهية المسيح وبالفداء. وهذا ما ينكره القرآن. **فالنظرية من كل جوانبها قاصرة.**

نظرية ثالثة يكاد يتم عليها إجماع العلماء المستشرقين بأن مصادر الإسلام **يهودية ومسيحية معاً**، في « تلفيق » بارع، و « إسلام مصفّى » من اليهودية والمسيحية، يليق بالبيئة العربية. وهذا ما يفسر انتسابه الدائم إلى موسى وعيسى معاً، إلى التوراة والإنجيل معاً. وفاتهم أن « تلفيق » دين من دينين يتخطّى علمياً وتاريخياً البيئة الجاهلية، وصاحب الدعوة. ويتعارض مع الواقع القرآني الذي ينتسب إلى طائفة من بني إسرائيل آمنت بالمسيح يدعو بدعوتها ويجاهد جهادها (الصف 14؛ آل عمران 18) لفرضها على العرب وعلى أهل الكتاب جميعهم. وفاتهم أيضاً تكفير اليهود، « أول كافر به » ، وتصفيتهم من الحجاز؛ وتكفير « قالت النصارى : المسيح ابن الله » (التوبة 31). ولا أثر « لتلفيق » في القرآن؛ إنما هو انتساب لطائفة من أهل الكتاب بعينها : **فالنظرية قاصرة.**

ولم أطلع على نظرية رابعة. وتلك النظريات العلمية الثلاث فيها شيء من الواقع القرآني؛ لكنها جميعاً قاصرة عن الإحاطة بواقعه وشموله.

وبقي اللغز القرآني في مصادره الكتابية قائماً يتحدى العلم والعلماء، حتى منَّ الله علينا بكشف الغطاء عنه.

3ـ كشف الغطاء عن سر الدعوة القرآنية

في نظرية تجمع بين الإيمان والعلم اهتدينا إلى سر الدعوة القرآنية، كما ينبع من الواقع القرآني نفسه.

في كتاب لنا سابق، « القرآن والكتاب، القسم الثاني : أطوار الدعوة

القرآنيـة، ›› رأينـا تطورهـا بحسب ظاهرهـا إلـى **خمسة عهود :** العهد المسيحي، فالعهد الإسرائيلي، فعهد الأمة الواحدة، فعهد الأمة الوسط، فالعهد الإسلامي. لكنها مظاهر لا تكشف عن باطن الدعوة.

وعلى ضوء النظرية العلمية القاصرة، وعلى ضوء النظرية الإيمانية القاصرة، رجعت إلى القرآن ودرسته، فوجدت أنه **دعوة ‹‹ نصرانية ››** ، في ‹‹ أمة وسط ›› بين تفريط اليهودية وإفراط المسيحية، ينادي بها القرآن مع النصارى من بني إسرائيل ومن ‹‹ تنصّر ›› **معهم** من العرب مثل قس مكة، ورقة بن نوفل. فليست الدعوة القرآنية ‹‹ تلفيقاً ›› من اليهودية والمسيحية؛ إنما هي دعوة ‹‹ نصرانية ›› قائمة في مكة والحجاز، **تنافس اليهودية والمسيحية**، في فرض سيطرتها على العرب، ينادي بها ‹‹ من قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ›› (الأعراف 157) أي ‹‹ فآمنت **طائفة من بني إسرائيل** (بالمسيح) وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ›› (الصف 14). أولئك هم النصارى من بني إسرائيل ومن ‹‹ تنصر ›› معهم من العرب، **انضم إليهم محمد بإشارة من السماء**، في رؤيا غار حراء، ودعا بدعوتهم : ‹‹ وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن ›› ، قرآن الكتاب (النمل 90 - 91). فانتصرت ‹‹ النصرانية ›› على اليهودية وعلى المسيحية، في الجزيرة العربية، بفضل الدعوة القرآنية.

فالقرآن دعوة ‹‹ نصرانية ›› . تلك هي النظرية الصحيحة التي تجمع بين الإيمان والعلم، في سر الدعوة القرآنية.

* * *

بحث ثان

القرآن دعوة « نصرانية »

تلك هي النتيجة الحاسمة التي تظهر من تحليل الوثائق القرآنية التي درسناها، ومن الدلائل الحسان على « نصرانية » القرآن، التي تورث بمجموعها العلم اليقين.

1ـ ومصدر الخطإ في فهم حقيقة الدعوة القرآنية يقوم على سوء فهم لغة القرآن واصطلاحها في اسم « النصارى » واسم « بني إسرائيل » .

إن « النصارى » ليسوا جميع المؤمنين بالمسيح، وليس التعبير مرادفاً للمسيحيين كما هو شائع. فالقرآن يحصر **اسم « نصارى »** بالطائفة من بني إسرائيل (الصف 14)، بالأمة من قوم موسى (الأعراف 157) التي آمنت بالمسيح، وتؤيدها الدعوة القرآنية. ويطلق اسم نصارى على المسيحيين، على التوسع تجاوزاً (التوبة 31). وهذا مصدر التشابه الذي ورّط المسلمين والمستشرقين في مرادفة نصارى بمسيحيين؛ مع أنهم في موقف الشيعة من السنة المسيحية. والقرآن يثني دائماً على النصارى، ويندّد بالمسيحيين بسبب « غلوهم » بأمر المسيح وأمه.

وتعبير « بني إسرائيل » لا يقتصر على اليهود وحدهم، بل يشمل اليهود والنصارى من بني إسرائيل على السواء، كما يصرّح : « فآمنت طائفة من بني إسرائيل (بالمسيح) وكفرت طائفة » (الصف 14). فهذه الطائفة المؤمنة بالمسيح من بني إسرائيل هم « النصارى » على الحصر والقصر؛ « وهم من قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الأعراف 157). و « إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل 76)، وما اختلفوا، إلا في المسيح والإنجيل. والقرآن بشهادته للمسيح والإنجيل ينتصر للنصارى من بني إسرائيل، فكان اليهود « أول كافر به » . لذلك فكل ثناء في القرآن على بني

إسرائيل أو أهل الكتاب فهو خاص بالنصارى منهم؛ **وكل حملة عليهم خاصة باليهود**[1]. فقوله: « أوَلم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل » (الشعراء 197)، « وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » (الأحقاف 10) إنما يقصد النصارى من بني إسرائيل الذين يسميهم أيضاً المحسنين، المقسطين، المسلمين؛ بينما صفة اليهود المتواترة أنهم « الظالمون » : « وإذا ابتلى إبراهيم ربّه بكلمات فأتمهنَّ، قال : إني جاعلك للناس إماماً؛ قال : ومن ذريتي؟ قال : لا ينال عهدي الظالمين » (البقرة 124). لذلك يبيح القرآن جدال اليهود الظالمين بغير الحسنى، أما النصارى فلا يصح جدالهم إلا بالحسنى، وهي الشهادة معهم أن الله واحد، والتنزيل واحد، والإسلام واحد (العنكبوت 46). وهذا ما يقول به النصارى، لا اليهود ولا المسيحيون : فالقرآن دعوة « نصرانية » .

2ـ وهناك **واقعان تاريخيان** لا مجال للريب فيهما على الإطلاق : **أولاً قيام « النصرانية »** في عهد الفترة ما بين الإنجيل والقرآن، في منزلة الشيعة من السنة المسيحية بجميع فرقها، لذلك كان المسيحيون يسمون النصارى « حنفاء » بلغة السريان؛ **ثانياً « نصرانية » الدعوة القرآنية** كما أثبتنا ذلك في هذا الكتاب. والجامع بين الواقعين التاريخيين هو هجرة النصارى من بني إسرائيل إلى مكة والحجاز، حيث دعوا لنصرانيتهم باسم **الحنيفية**، ثم باسم **الإسلام** قبل القرآن : « هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا » القرآن (الحج 78)، ثم **بالدعوة القرآنية** التي تزعمها محمد برؤيا غار حراء؛ والتي أؤمن بها إيماناً علمياً، كما يصفها القرآن (الشورى 53؛ النمل 90) فكان « **أول المسلمين** » أي « رئيس النصارى » بمكة والحجاز، بعد وفاة أستاذه، ورقة بن نوفل، قس مكة، وفي الجزيرة كلها بعد وفاة بحيرى.

3ـ نوجز « نصرانية » الدعوة القرآنية بهذه **المواقف العشرة :**

الموقف الأول في الدين الذي يشرعه القرآن للعرب، وهو هدف دعوته

---

(1) أما المسيحيون فهم أهل « الغلو » في الدين؛ وتكفيراته للمسيحية تقتصر على وفد نجران، من أهل البدعة اليعقوبية. فلا يحاور القرآن المسيحية الرسمية على الإطلاق.

الأول : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ـ والذي أوحينا إليك ـ وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه ... وقلْ : آمنت بما أنزل الله من كتاب » (الشورى 13 و15). فدين نوح وإبراهيم لا نعرفه إلا من التوراة، فهي تدوين وتجديد الدين الإبراهيمي مع الشرع الموسوي. لذلك **فالقرآن يشرع للعرب دين موسى ودين عيسى، ديناً واحداً**، بلا تفريق كما تفعل اليهودية والمسيحية. ولا يقول بموسى وعيسى ديناً واحداً وشرعاً واحداً إلا « النصرانية » : فالقرآن دعوة « نصرانية » ، يوجهها أولاً للعرب، ثم لأهل الكتاب من اليهود والمسيحيين : « قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل » كما يفعل « النصارى » (المائدة 71).

الموقف الثاني : في هدف الدعوة القرآنية الثاني : « إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل 76). وقد اختلفوا إلى يهود ونصارى لما جاءَهم « العلم » بالمسيح والإنجيل. والقرآن بشهادته للمسيح والإنجيل ينتصر « للنصرانية » (الصف 14). ويخاطب اليهود : « يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أَنعمت عليكم، وأَوفوا بعهدي أوف بعهدكم، وإياي فارهبون، وآمنوا بما أنزل مصدّقاً لما معكم، **ولا تكونوا أول كافر به** » (البقرة 40 - 41). لم يكفروا به لدعوته للتوراة، بل لدعوته للمسيح والإنجيل. وتعبير « يا بني إسرائيل » تعميم يُراد به التخصيص باليهود، « أول كافر به » ، لأن « الذين آتيناهم الكتاب، يتلونه حق تلاوته، أولئك يؤمنون به، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون » (البقرة 131). وهذا الفريق الثاني من بني إسرائيل المؤمن بالدعوة القرآنية هم النصارى. فالقرآن دعوة « نصرانية » .

الموقف الثالث : « ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم (الحكمة) والنبوة؛ ورزقناهم من الطيبات؛ وفضّلناهم على العالمين. **وآتيناهم بينات من الأمر :** فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم. إن ربك يقضي بينهم

يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون. ثم **جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها**، ولا تتّبع أهواء الذين لا يعلمون (المشركين) : إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض، والله ولي المتقين » (الجاثية 16 - 18). إن الكتاب والحكمة هما التوراة والإنجيل، أتاهما الله بني إسرائيل فاختلفوا إلى يهود ونصارى بسبب الإنجيل والمسيح، وهذا هو « العلم » الذي فيه يختلفون. وقد جعل الله محمداً على شريعة من أمر الدين بالإيمان بالمسيح والإنجيل، والدعوة للكتاب والحكمة أي التوراة والإنجيل، ديناً واحداً، « فاتبعها » ، ولا تتبع أهواء المشركين ولا اليهود المتآمرين معهم، « وإن الظالمين بعضهم أولياءُ بعض » . فالقرآن يحصر دعوته في بني إسرائيل ليفصل بينهم في « العلم » الذي فيه يختلفون. وهذا « العلم » هو الإيمان بالكتاب والحكمة، أي بالتوراة والإنجيل معاً، ديناً واحداً : وما يقول بهذا إلا النصارى من بني إسرائيل؛ وهذه هي شريعة الدين التي أمره أن « يتّبعها » : فالقرآن دعوة « نصرانية » تجمع النصارى من بني إسرائيل و « المتقين » من العرب « أمة واحدة » هي « الأمة الوسط » بين اليهودية والمسيحية.

الموقف الرابع في حديث النبي الأمي، حيث يرد على دعاء اليهود لربهم : « واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة أنا هدْنا إليك، قال : عذابي أصيب به مَن أشاء، ورحمتي وسعت كل شيء؛ فسأكتبها للذين يتقون ... الذين يتبعون الرسول، النبي الأمي الذي يجدونه **مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ...** النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلمته ... ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الأعراف 155 - 158). فليست الحسنة لليهود، بل للأمة من قوم موسى الذين يؤمنون بالتوراة والإنجيل معاً، ويتبعون النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلمته المسيح، وهم النصارى من بني إسرائيل ومن « تنصر » معهم من العرب « المتقين » : فالقرآن دعوة « نصرانية » .

الموقف الخامس : في الهدى الذي يؤمر محمد بالاقتداء به في دعوته : « أولئك

الذين آتيناهم الكتاب والحكم (الحكمة) والنبوة ... **أولئك الذين هدى الله، فبهداهم اقتدهْ** » (الأنعام 89 - 90). نقل تعبير الحكمة بحرفه السرياني النصراني « الحكم » ، وهو كناية عن الإنجيل في اصطلاحه المتواتر (المزخرف 63). وأهل الكتاب والحكمة، التوراة والإنجيل، ديناً واحداً وشرعاً واحداً هم وحدهم النصارى من بني إسرائيل، ومَن « تنصّر » معهم من العرب. إن القرآن إذن محمداً نفسه أن **يقتدي بهدى « النصرانية » :** فالقرآن دعوة « نصرانية » .

الموقف السادس، في الأمر الذي جاء محمداً برؤيا غار حراء : « **وأمرت أن أكون من المسلمين**، وأن أتلو القرآن » معهم (النمل 60 - 91). المسلمون الموجودون من قبله (الحج 78) والذين يُؤمر بأن ينضم إليهم ويدعو بدعوتهم لقرآن الكتاب، ليسوا اليهود، ولا المسيحيين؛ إنما هم النصارى من بني إسرائيل ومن « تنصر » معهم من العرب : فالقرآن دعوة « نصرانية »، « ليثبت الذين آمنوا، وهدى وبشرى للمسلمين » (النحل 102)، و « لينذر الذين ظلموا (اليهود) وبشرى للمحسنين » النصارى (الأحقاف 12).

الموقف السابع في تعليم القرآن للكتاب والحكمة. فقد جاء القرآن « **يعلمهم الكتاب والحكمة** » (البقرة 129 و151؛ آل عمران 164؛ الجمعة 2)، وهو تعبير كناية عن التوراة والإنجيل كما علمهما المسيح (آل عمران 48؛ المائدة 113). لذلك فهو يدعو إلى إقامة التوراة والإنجيل ديناً واحداً وشرعاً واحداً (المائدة 71) في « أمة وسط » بين اليهودية والمسيحية (البقرة 143). ولا يقول بذلك إلا النصارى من بني إسرائيل ومن « تنصر » معهم من العرب « المتقين » : فالقرآن دعوة « نصرانية » .

الموقف الثامن في « الأمة الواحدة » التي ينادي بها، وهي التي تؤمن بالمسيح وأمه آية للعالمين : « وجعلناها وابنها آية للعالمين » (الأنبياء 91 قابل المؤمنون 51). هذا ما يكفر به اليهود، وما « يغلو » فيه المسيحيون. أما النصارى من

بني إسرائيل ومن « تنصر » معهم من العرب فكانـوا يؤمنـون مـع النبـي العربـي أن المسيح « كلمته ألقاهـا إلى مريم وروح منه » (النساء 170) أي روح من الملائكة المقربين اسمه « كلمة الله » ؛ فليس هو « ابن الله » (التوبة 31): فالقرآن دعوة « نصرانية » .

الموقف التاسع في إعلان الإسلام القرآنـي : فهو يشـهد مـع أولـي العلم المقسطين - وشـهادتهم من شـهادة الله وملائكتـه - « أن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران 18 - 19). وأولـو العلـم المقسطون اصطلاح متواتر فيه مخصوص بالنصـارى من بنـي إسرائيل ومَن « تنصر » معهم من العرب : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة 11) وهم المحسنون تجاه المتقين من العرب : « إن الله مع الذين اتقوا، والذين هم محسنون » (النحل 128)؛ وهم المسلمون تجاه الذين آمنوا، جماعة محمد : « ليثبت الذين آمنوا، وهدى وبشرى للمسلمين » (النحل 102) : فالقرآن دعوة « نصرانية » .

الموقف العاشر في دعوة جماعته « الذين آمنوا » من العرب أن يكونوا أنصار الله مثل الحواريين أنصار عيسى : « فآمنت طائفة من بني إسرائيل (بالمسيح) وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا (منهم) على عدوهم (اليهود) فأصبحوا ظاهرين » (الصف 14). فالقرآن بنصه القاطع تأييد للنصرانية على اليهودية، ليظهرها على الدين كله (الصف 9) : فالقرآن دعوة « نصرانية » ، في « أمة وسط » ما بين تفريط اليهودية وإفراط المسيحية.

فالإسلام القرآني هو « النصرانية » عينها؛ والقرآن دعوة « نصرانية » .

* * *

بحث ثالث

في عرف القرآن لا يصح إسلام بدون إيمان بالمسيح والإنجيل

في رأي الناس أن القرآن يدعو إلى الإسلام. وهو كذلك، لكنه يدعو إلى الإسلام «النصراني» الذي يشهد به «أولو العلم قائماً بالقسط» (آل عمران 18)، الذين أُمر محمد في رؤياه بحراء بالانضمام إليهم والدعوة بدعوتهم لقرآن الكتاب: «وأُمرتُ أن أكون من المسلمين، وأن أتلو القرآن» (النمل 90 - 91). فهم جماعة قائمة بمكة والحجاز ينضم إليهم ويدعو بدعوتهم.

فالقرآن دعوة للتوحيد «النصراني» الذي يقوم على الإيمان بالله والمسيح، «كلمته وروح منه» تعالى. لذلك ففي عرف القرآن لا يصح إسلام بدون إيمان بالمسيح والإنجيل.

1- محور الدعوة القرآنية هو الإيمان بالمسيح والإنجيل

فمحور الدعوة القرآنية هو الإيمان بالتوحيد الكتابي؛ وهو أيضاً الإيمان بالمسيح والإنجيل وهذا ما يطمسه المفسرون، ويسهو عنه العلماء.

ولو لم يكن **السيد المسيح محور الدعوة القرآنية** لَمَا رده العرب الموحدون بقولهم: «إن نتبع الهدى معك نتخطّف من أرضنا» (القصص 57) لاعتبارهم أن الدين دليل الولاء السياسي، والإيمان بالمسيح دليل الولاء لدولة الروم؛ فهم يخشون بتخويف اليهود لهم بطش الفرس بهم كما فعلوا باليمن؛ ولمّا ردّه اليهود أيضاً وكانوا «أول كافر به»؛ وهم لم يكفروا بالقرآن لتوحيده، بل لدعوته للمسيح والإنجيل.

فالمعارضة للدعوة القرآنية سببها دعوتها للمسيح. وهذا الواقع يجعل القرآن دعوة «نصرانية» للمسيح، الذي هو محورها.

وفي جدال المشركين على دعوة القرآن للمسيح ـ وقد تحول شركهم وانتهى إلى عبادة الملائكة (الأنبياء 26) ـ ردّوا عليه بتفضيل الملائكة : « ولمّا ضُرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون ... وقالوا : أآلهتنا خير أم هو » ؟ (الزخرف 57 ـ 58) أي إذا عبد المسيحيون المسيح، فنحن أولى بعبادة الملائكة. فأجابهم بجواب « النصرانية » : « إنْ هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل » (59)، « لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقرّبون » (النساء 171).

لقد « جعلناه مثلاً لبني إسرائيل »، بل « وجعلناها وابنها آية للعالمين » (الأنبياء 91). ولا يقول القرآن هذا بحق أحد من الرسل، ولا في جدهم إبراهيم؛ بل « إني جاعلك للناس إماماً » (البقرة 124)، لا آية للعالمين.

فالمسيح يمتاز في القرآن بشخصيته ورسالته على المرسلين أجمعين. أجل إنه « ابن مريم » ولكنه أيضاً « **كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه** » (النساء 170). فهو مسيح الله وكلمة الله وروح الله، بل « روح منه » . وهذا ما لم يقله القرآن في أحد من العالمين والمرسلين. وإذا رجعنا إلى التفاسير في معاني تلك الألقاب الثلاثة نرى السيد المسيح أسمى من بشر ومن ملاك، إلى صلة بالله تجعله « كلمته وروحاً منه » . فلا غرابة أن يكون مع الله محور الدعوة القرآنية.

وفي عرف القرآن، فالمسيح هو ختام النبوة والكتاب، قفّى الله به على الرسل أجمعين، ولم يقفّ عليه بأحد : « ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب. ثم قفينا على آثارهم برسلنا، وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل » (الحديد 26 ـ 27)؛ « ولقد آتينا موسى الكتاب، وقفينا من بعده بالرسل، وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات وأيدناه بروح القدس » (البقرة 87)؛ « وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ... وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ... وهدى وموعظة للمتقين » من العرب (المائدة 49). فلا ينص القرآن على أن الله قفّى على المسيح بأحد. وقوله في محمد أنه « خاتَم النبيين » (الأحزاب 40)، كلمة يتيمة في القرآن بمعنى « صدَّق المرسلين » (الصافات

38)، « مصدقاً لما بين يديه » (16 مرة)، لا بمعنى خاتمة. إنما خاتمة النبوة والكتاب من يكون « عَلَماً ـ عِلْماً ـ للساعة » (الزخرف 61) أي المسيح الذي وحده تتخطى رسالته الزمن، فيكون رسول يوم الدين. لذلك يرى فيه الصوفيون ختم النبوة، وختم الولاية. فوحده بين الرسل « أيدناه بروح القدس » في شخصيته وسيرته ودعوته، « يسير معه حيث سار » (الجلالان)، بل هو نفسه « روح منه » تعالى.

2- القرآن يجعل الإنجيل « هدى وموعظة للمتقين »

والقرآن يجعل الإنجيل « هدى ونور ... **هدى وموعظة للمتقين** » من أتباع محمد. **لذلك فليس القرآن وحده كتابهم، بل الإنجيل كذلك.** فمن يكتفي بمحمد والقرآن، لا يكون مسلماً بإسلام القرآن نفسه. وقصة نسخ القرآن للإنجيل فرية على القرآن. إنما المسلم من يؤمن بالإنجيل أيضاً ويعمل به. وقصة تحريف الإنجيل فرية أخرى على القرآن. **فالمسلم الحق من يجعل المسيح محور إيمانه وحياته** في سبيله إلى الله، كما جعله القرآن محور دعوته.

ولم يجعل القرآن محمداً محور دعوته، بل واسطتها، « جاء بالحق وصدّق المرسلين » (الصافات 37). **إنما محور الدعوة القرآنية الله والمسيح،** مع الشرط المطلوب ألا يتخذوه وأمه « إلهين من دون الله » (المائدة 119) كما كان يفعل بعض النصارى العرب الجهال.

والقرآن يدعو إلى « علم الكتاب » (الرعد 45)، ويجادل « بهدى وعلم وكتاب منير » (لقمان 20؛ الحج 8) أي الإنجيل (فاطر 25) لأنه « هدى ونور » (المائدة 49). إن « العلم » بحسب اصطلاحه، لا بحسب لغته، الذي يدعو إليه هو ما جاء به المسيح في الإنجيل، وهو الذي كفر به اليهود « من بعد ما جاءهم العلم » (3 : 19؛ 42 : 14؛ 45 : 16)؛ وهو الذي يحرّض القرآن محمداً على التمسك به « بعد الذي جاءك من العلم » (البقرة 120)، « من بعد ما جاءك من العلم (2 : 145؛ 3 : 61)، « بعد ما جاءك من العلم » (13: 39)؛ ويشهد للإسلام بشهادة « أولي العلم قائماً بالقسط، (آل عمران 18)؛ ويكتفي

على صحة دعوته بشهادة الله « ومن عنده علم الكتاب » (الرعد 45) أي النصارى « الراسخين في العلم » (آل عمران 7؛ النساء 161) حتى « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة 11).

مع ذلك عند البحث في سر الروح والله، « يسألونك عن الروح؟ ـ قل : الروح من أمر ربي، **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** » (الإسراء 85). هذا تقرير لا يصح أن يغفله أهل القرآن. بل عليهم أن يذكروا **أمره لأمته :** « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر » (النحل 43؛ الأنبياء 7)؛ **وأمره لنبيه :** « فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك » (يونس 94).

فالقرآن ينتسب انتساباً مطلقاً إلى الكتاب الإمام، خصوصاً إلى الكتاب المنير، الإنجيل لأنه « **هدى ونور ... هدى وموعظة للمتقين** » (المائدة 49) من أتباع النبي العربي؛ فهو مصدر « العلم » الذي يدعو إليه القرآن بما فيه من « العلم القليل » في سر الروح والله، المبدأ والمعاد.

3ـ لذلك لا يصح إسلام بدون إيمان بالمسيح والإنجيل

لذلك، في عرف القرآن، لا يصح إسلام إلا بالإيمان بالمسيح والإنجيل، وليس إيماناً نظرياً كما في سائر الأنبياء، بل إيماناً حياتيّاً وجودياً، في سبيلنا إلى الله تعالى.

بناءً عليه لا يصح للمسلم الحق الاستغناء بالقرآن عن الإنجيل، ولا الاستغناء بمحمد عن المسيح، في نظر القرآن نفسه :

لأن القرآن ـ وإن كان كتاب موسى إماماً له (هود 17؛ الأحقاف 12) ـ يجادل الناس « بهدى وعلم وكتاب منير » هو الإنجيل (فاطر 25)؛

لأن القرآن ليس آخر تنزيل الله، إنما هو « تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب » (يونس 37)، فالرجوع إلى الأصل هو الأصل؛

لأن القرآن شرع لأمته دين موسى وعيسى ديناً واحداً بلا تفريق (الشورى

13)، وإيمانه المعلن الصريح هو « بما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم : لا نفرق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون » (البقرة 136؛ آل عمران 84).

لأن القرآن « تنزيل رب العالمين » لكنه « في زبر الأولين » (الشعراء 193 و195) فهو « بيّنة ما في الصحف الأولى » (133) « **ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم** » (النساء 25)؛

لأن القرآن يمنع جدال « النصارى » ، ويأمر أمته بالتسليم معهم أن الإله واحد، والتنزيل واحد والإسلام واحد : « وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون » (العنكبوت 46)؛ فالإيمان والعمل بما أنزل في الإنجيل من صحة الإسلام القرآني؛

لأن القرآن يشهد للإسلام بشهادة النصارى، « أولي العلم قائماً بالقسط » ـ وشهادتهم من شهادة الله وملائكته (آل عمران 18)؛ وهذا الإسلام مبني على الإيمان بالله الواحد الأحد، والإيمان بالمسيح، « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » (النساء 170)؛ وشتان ما بين نبي، « رسول الله وخاتم النبيين » (الأحزاب 40)، والمسيح « كلمته وروح منه » : فمحمد بشر من الأرض اتصل بالسماء، ومات كسائر البشر؛ والمسيح « روح منه » تعالى اتصل بالأرض، وارتفع حياً إلى السماء؛

لأن القرآن « تفصيل الكتاب » (يونس 36)، فقد « أنزل إليكم الكتاب مفصلاً » (الأنعام 114)؛ والنبي يُؤمر عند الشك من صحة التفصيل، « **فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك** » (يونس 94)، فكم بالحري يلزم الأمر أمته!

لأن إسلام القرآن من إسلام الكتاب، في « أمة واحدة » بالإيمان بالمسيح وأمه آية للعالمين (الأنبياء 91؛ المؤمنون 51).

لأن دين القرآن من دين الكتاب : « شرع لكم من الدين ... ما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى، أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه » ؛ لأن دين القرآن ينتهي إلى الكتاب، فهو الغاية : « وقل : آمنت بما أنزل الله من كتاب » (الشورى 13 و15).

لأن في القرآن « ما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » (الإسراء 85)؛ والنبي العربي كان يكتفي للشهادة على صحة دعوته، بعد الله، « بمن عنده علم الكتاب » (الرعد 45)؛ وقد أمر أن يقتدي بهداهم في دعوته (الأنعام 90)؛

لأن دور القرآن يقتصر في آخر أمره على تصديق الكتاب والشهادة له : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب، ومهيمناً عليه » (المائدة 51) أي « شاهداً له » (الجلالان)؛ وبما أن دوره يقتصر على التصديق والشهادة للكتاب، وذروته الإنجيل، فالمرجع الأول والأخير هو الإنجيل.

والقول الفصل أن الإنجيل « فيه هدى ونور ... هدى وموعظة للمتقين » من أمة محمد (المائدة 49)، فالاستغناء بالقرآن عن الإنجيل نقض صريح لأمر القرآن الذي يجعل الإنجيل هدى للمسلمين.

فالأمر الذي يصح على النبي العربي يصح لأمته : « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم (الحكمة ـ الإنجيل) و النبوّة ... أولئك الذين هدى الله، فبهداهم اقتدهْ » (الأنعام 90)؛ « فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » (يونس 94).

لذلك ففي عرْف القرآن لا يصح إسلام بدون إيمان حياتي عمليّ بالمسيح والإنجيل. « إِن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين » (الأنبياء 106).

* * *

بحث رابع

« نصرانية » القرآن هي صلة الوصل الكيانية بين الإسلام والمسيحية

1- إن القرآن دعوة « نصرانية » . هذا ما ثبت لنا في هذا الكتاب.

فالإسلام القرآني هو « النصرانية » عينها، في « أمة وسط » بين اليهودية والمسيحية.

لقد توصلت « النصرانية » بفضل الدعوة القرآنية التي أطلقتها في الحجاز والجزيرة، باسم الإسلام - « هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا » القرآن (الحج 78) - وبزعامة فتى قريش، ابن « بيت الزعامة » على مكة والكعبة، الذي صار « أول المسلمين » أي « رئيس النصارى » ، إلى منافسة أختيها في العالم، اليهودية والمسيحية.

حينئذ ذابت « النصرانية » في الإسلام، وزالت من الوجود كأمة مستقلة. لكنها باسم الإسلام « النصراني » احتلت مكانها تحت الشمس، منافسة أختها المسيحية في السيطرة على العالم.

وانتقل الصراع ما بين النصرانية والمسيحية، إلى الصراع ما بين الإسلام والمسيحية (التوبة 30 - 35). ويا ليته ظل **تنافساً أخوياً** في « استباق الخيرات » كما يشرع القرآن في آخر أمره. فإنه يختم دعوته بهذا المبدإِ الجامع المانع، الشامل الكامل، الأولي والنهائي : « **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً**؛ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة؛ ولكن ليبلوكم فيما آتاكم : فاستبقوا الخيرات**!** إلى الله مرجعكم جميعاً، فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » (المائدة 51). ولو نفذ هذا الأمر لتغيّر وجه التاريخ.

وآن « لأهل العلم والإيمان » أن يفيئوا إلى أمر الله، في عصر أصبح الإلحاد فيه خطراً على كل إيمان بالله واليوم الآخر، عن طريق محمد، أم عن طريق المسيح.

وصراع المسيحية والإسلام أفسح المجال لليهودية، بحركتها الصهيونية، السيطرة على العالم، وتهديد المسيحية والإسلام، في دعم الإلحاد.

تجاه هذين الخطرين على مصير الإسلام والمسيحية، آن لأهل القرآن وأهل الإنجيل إنهاء الصراع بين الإسلام والمسيحية، **للدخول في حوار أخوي** لما بينهما من « أمة واحدة » في الإيمان بالمسيح والإنجيل.

2ـ فما بين الإسلام والمسيحية **قربى كيانية**؛ وصلة الوصل التكوينية بين الإسلام والمسيحية هي « نصرانية » القرآن.

فقد كانت « **النصرانية** » **الشيعة بالنسبة للمسيحية السنّة**. فمنذ مؤتمر صحابة المسيح في أورشليم عام 49 م افترى أتباع المسيح إلى سنّة وشيعة. فاكتفى المسيحيون من الأمميين بشرع الإنجيل وإمامة رسل المسيح عليهم؛ وتشيّع النصارى من بني إسرائيل للتوراة فأقاموا أحكامها مع أحكام الإنجيل؛ وتشيعوا لأهل بيت المسيح، أولاد عمه، فأمروهم قسيسين عليهم من دون صحابة المسيح.

فهذه « النصرانية » الشيعة هي التي هاجرت من دولة الروم، لما أعلنت المسيحية فيها دين الدولة، إلى مكة والحجاز. وهذه « النصرانية » هي التي تبناها القرآن باسم الإسلام في دعوته. فكان القرآن دعوة « نصرانية » .

وبما أن الإسلام القرآني هو « النصرانية » عينها، **فالإسلام في نسبة الشيعة إلى المسيحية السنّة : فهما فرعان لأصل واحد.**

وهذا ما يجهله أو يتجاهله المسلمون والمسيحيون. **فما بين الإسلام والمسيحية وحدة دينية** محورها الإيمان بالمسيح « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » (النساء 170). حرف الإيمان واحد، وإن اختلف التأويل. ومهما اختلف الخطان في تطوّرهما، فما بين الإسلام والمسيحية أصل جامع واحد هو « نصرانية » القرآن.

فالإسلام والمسيحية - مهما بدا لنا ذلك مدهشاً - **هما دين واحد**، لكن شيعة وسنة. والشيعة والسنة في دين واحد هما في الأصل « أمة واحدة » .

لقد آن لأهل القرآن ولأهل الإنجيل أن يدركوا تلك الحقيقة، ويستفيقوا من غفلتهم، ضنا بمصيرهم، ومصير الإيمان بالله واليوم الآخر بين الناس.

فأمام الخطر الخطير على المسيحية والإسلام، من الإلحاد العالمي، والصهيونية العالمية التي توآزره ويوآزرها، آن لأهل الإنجيل والقرآن أن **يفتحوا باب الحوار الأخوي** على مصراعيه، ويلجوا فيه بصفاء ووفاء وإخاء. فإن « نصرانية » القرآن هي صلة الوصل الكيانية الجامعة بين الإسلام والمسيحية في دين واحد.

*

خاتمة الكتاب

((نصرانية)) القرآن هي محور الحوار بين الإسلام والمسيحية

[Blank Page]

فصل الخطاب في هذا الكتاب أن الهدف منه هو **تحديد حقيقة الدعوة القرآنية، لتحديد الموقف الحق بين الإسلام والمسيحية**، ومعرفة إمكانيات الحوار الصحيح بينهما.

لقد انتقل الصراع الذي كان قائماً بين النصرانية والمسيحية إلى الإسلام « النصراني » والمسيحية، كالصراع بين الشيعة والسنة في دين واحد. فوقف الإسلام والمسيحية حتى اليوم من بعضهما البعض موقف المجابهة، لا موقف المفاوضة ـ كما يقولون في لغة السياسة ـ أي موقف الجدال والخصومة، لا موقف الحوار والمودة، كما نقول في لغة الدين الحنيف والصراط المستقيم.

وفي غزو الإلحاد والصهيونية للمسيحية والإسلام، يجب أن يعودوا إلى نشأتهما وتكوينهما ليعرفا الروابط الجذرية الأصلية التي تجمع بينهما، فيتفاعلان ويفعلان بموجبها، لدرء الخطر العظيم الذي يهدّد مصيرهما. وعند الخطر على المصير يجب أن يتوقف كل صراع في « الأمة الواحدة » ، ليقوم بين الأبناء الحوار البنّاء.

لقد ثبت لنا في هذا الكتاب أن القرآن دعوة « نصرانية » ، فهو في منزلة الشيعة بالنسبة للسنة المسيحية. فقد بدأت « النصرانية » منذ مؤتمر صحابة المسيح في أورشليم عام 49 م. فانقسم أتباع المسيح إلى شيعة النصارى من بني إسرائيل وسنّة المسيحيين من الأمميين. وظل التشيّع « النصراني » قائماً في عهد الفترة ما بين الإنجيل والقرآن حتى هجرة النصارى من بني إسرائيل إلى مكة والحجاز؛ حيث انتهت الدعوة « النصرانية » إلى قيام الدعوة القرآنية، فتقمّصت « النصرانية » في الإسلام القرآني وذابت فيه. فكان القرآن دعوة « نصرانية » لتصفية اليهودية، ومنافسة المسيحية. ووقف الإسلام والمسيحية وجهاً لوجه حتى اليوم.

وتجاه خطر الإلحاد والصهيونية اللذين يجرفان الإسلام والمسيحية، يجب فتح الحوار الأخوي الودّي بينهما، لاستعادة الوحدة الجذرية بينهما في « أمة واحدة » .

وهذه الوحدة الجذرية قائمة بين الإسلام والمسيحية، في الأصل والفصل، لأن القرآن دعوة « نصرانية » . فالإسلام القرآني في منزلة الشيعة من المسيحية السنة ـ لا كما قيل منذ يوحنا الدمشقي بأن الإسلام « شيعة مسيحية » ـ فالمسيحية بكل فرقها سنّة، والإسلام هو الشيعة بالنسبة لها كلها.

وهذا التحديد للكيان الإسلامي والمسيحي يعرض الموقف صافياً بين المسيحية والإسلام، ويجعل الحوار بينهما واضحاً ميسوراً بل واجباً مفروضاً. ففي دين واحد في أصله، يقوم على إيمان واحد بالمسيح عليه السلام، مع اختلاف في التأويل بين شيعة وسنة، لا يصعب الجمع بين السنة والشيعة من دين واحد، في « أمة واحدة » . والقرآن ينتسب انتساباً مطلقاً إلى المسيح وأمه آية للعالمين (المؤمنون 51؛ الأنبياء 91)، وبهذه المناسبة يقرر أن جماعته وأهل الكتاب « أمة واحدة » .

تلك هي « نصرانية » القرآن، التي هي محور الحوار الواجب بين الإسلام والمسيحية. ففي الحوار بينهما لا يصح أن ينسى الفريقان كلاهما أن القرآن دعوة « نصرانية » تجمعهما وحدة جذرية على دين واحد في الإيمان بالمسيح، مهما اختلفا في التأويل؛ وهذا الإيمان الواحد أن المسيح « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » .

فلا ينس أهل الإنجيل قول السيد المسيح : « ولي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة؛ فهي أيضاً ينبغي لي أن أجيء بها، وستسمع صوتي فيكون القطيع واحداً والراعي واحداً » (يوحنا 10 : 16). فالمسلمون هم أيضاً على مثال المسيحيين خراف المسيح، لإيمانهم به على هذه الشهادة : « وجعلناها وابنها آية للعالمين » (الأنبياء 91؛ المؤمنون 51).

ولا ينس أهل القرآن تقريره عن نفسه : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً »

(الإسراء 85)؛ وهو يعتبر الإنجيل « هدى ونوراً ... **هدى وموعظة للمتقين** » أي **للمسلمين أنفسهم** (المائدة 49). لذلك « فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك » (يونس 94)، أي النصارى أولي العلم المقسطين، الراسخين في العلم، « من عنده علم الكتاب » (الرعد 45).

إن « نصرانية » القرآن هي الأساس الحق، للحوار الصحيح المفروض بين الإسلام والمسيحية.

* * *

[Blank Page]

القول الفصل :

بين الإسلام والمسيحيّة، الشهادة لله وللمسيح على حرف واحد وتأويل مختلف

[Blank Page]

القول الفصل في هذا الكتاب أن القرآن دعوة « نصرانية » للشهادة لله والمسيح. بناء عليه فالإسلام والمسيحية **دين واحد**، و « **أمة واحدة** » ، على خلاف ما يظن الفريقان, وإن افترقا إلى شيعة وسنة في تأويل شهادتهما للمسيح.

إن الشهادة الواحدة الجامعة بين الإسلام والمسيحية هي: **أشهد أن لا إله إلا الله، و« إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه** » (النساء 170).

حرف الشهادة واحد في الإنجيل والقرآن : المسيح، وإن كان ابن مريم، هو في ذاته السامية « كلمة الله » ألقاها إلى مريم. ولا يصح على الإطلاق تفسير « كلمته » بأنه كلام الله أو أمر الله الملقى إلى مريم؛ يمنع من ذلك أن « كلمته » هو « روح منه » تعالى : **فهو ذات روحية** حلت في مريم فكانت « المسيح عيسى ابن مريم » . هذا هو سر المسيح في شخصيته.

لكن **تأويل الشهادة** يختلف إلى سنة في المسيحية، وشيعة في الإسلام.

فالمسيحية السنة فهمت معنى « كلمة الله » على ضوء تصريح الإنجيل في فاتحته :

في البدء كان الكلمة　　والكلمة كان في الله
والله كان الكلمة　　فهو منذ البدء في الله
(يوحنا 1 : 1 - 4)

إن « كلمة الله » يعني بحسب التعبير اليوناني المنزل « لوغس » ، أي نطق الله الذاتي، يصدر عن ذات الله، في ذات الله، صدور ابن عن أبيه في عالم المخلوق. لذلك فإن « كلمة الله » ، في تعبير شعبي تفهمه الجماهير، هو « ابن الله » ، في كامل التنزيه والتجريد عن المخلوق وأفعاله وصفاته.

وفي الله الواحد الأحد **روحه أيضاً، كما فيه نطقه.** فالله ونطقه وروحه، بتعبير كلامي للخاصة، هو بتعبير شعبي للعامة : الآب والابن والروح القدس. فلا تقول المسيحية أن عيسى وأمه إلهان من دون الله؛ لا دخل لمريم أم المسيح في ذات الله على الإطلاق؛ هذا كفر محض لا يليق بعقل الإنسان، بله بتنزيل الله. إنما الله ونطقه الذاتي وروحه الذاتي ثالوث في وحدة الجوهر الإلهي الفرد. وهذا التثليث بحسب الإنجيل إنما هو تفسير منزل لحياة الحي القيوم في ذاته الصمدانية. فهو تثليث لا يقوم إلا على التوحيد. لذلك فقول القرآن، عند التعريف الوافي بالمسيح : « ولا تقولوا : ثلاثة » (النساء 170) أي أن عيسى وأمه إلهان من دون الله (المائدة 119) لا يعني المسيحية بشيء على الإطلاق.

أما الإسلام « النصراني » فقد فسر « كلمة الله » بأنه « **روح منه** » تعالى، أي « من المقربين » (آل عمران 45)، « الملائكة المقربين » (النساء 171). فيكون المسيح، في عيسى ابن مريم، فوق البشر، ومن الملاء الأعلى، إنها ثنائية في المسيح قائمة لا ريب فيها : إن عيسى ابن مريم هو أيضاً « كلمته وروح منه » تعالى.

وتلك الثنائية في شخصية السيد المسيح هي السر الذي حيّر الإنسان، فقسم تأويله أهل الإنجيل إلى مسيحية ونصرانية، وانتقل الخلاف عينه في التأويل إلى المسيحية والإسلام.

لكن الخلاف الذي يفصل الإسلام والمسيحية إلى شيعة وسنة، في تأويل الشهادة الواحدة للمسيح، « كلمته وروح منه » ، لا يمنع أنهما بتلك الشهادة الجامعة للمسيح هما **دين واحد**، في « **أمة واحدة** » (الأنبياء 91؛ المؤمنون 51).

فالمسيحيون والمسلمون هم أخوة في الإيمان، من حيث يدرون أو لا يدرون.

وهذه الشهادة الواحدة الجامعة للمسيح، في الإسلام والمسيحية، هي محور الحوار المنشود الواجب بينهما. وصلة الوصل الكيانية الجامعة بين الإسلام والمسيحية، على دين واحد، في « أمة واحدة » ، هي « نصرانية » القرآن.

إن القرآن دعوة « نصرانية » .

وأختم بقول أغسطينوس العظيم، بلاغاً للناس :

« إن قارئي، إذا شاطرني عقيدتي فليرافقني
وإذا شاطرني شكوكي فليبحث معي
وإذا وجد نفسه على خطإٍ فليرجع عنه معي
وإذا وجدني أنا نفسي على خطإٍ فليردني عنه »

« قل : هذه سبيلي، أدعو إلى الله على بصيرة
أنا ومن أتبعني. وسبحان الله، وما أنا من المشركين »
(يونس 108).

هذا هو اجتهادي في أساس الحوار الإسلامي المسيحي.

للمؤلف

1 دروس قرآنية

1 ـ الإنجيل في القرآن (طبعة ثانية)

2 ـ القرآن و الكتاب
* الكتاب الأول : **بيئة القرآن الكتابية** (طبعة ثانية)
* الكتاب الثاني : **أطوار الدعوة القرآنية**

3 ـ نظم القرآن و الكتاب
* الكتاب الأول : **إعجاز القرآن** (طبعة ثانية)
* الكتاب الثاني : **معجزة القرآن**

2 في سبيل الحوار الإسلامي المسيحي

1 ـ مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي
2 ـ القرآن دعوة « نصرانية »
3 ـ القرآن و المسيحيّة
4 ـ أسرار القرآن (مخطوطة)
5 ـ المسيح و محمّد في عرف القرآن (مخطوطة)
6 ـ سيرة محمد و سرة (مخطوطة)

3 دراسات إنجيلية (مصادر الوحي الإنجيلي)

1 ـ الدفاع عن المسيحيّة
(في الإنجيل بحسب متى و بحسب مرقص)
2 ـ تاريخ المسيحيّة
(في الإنجيل بحسب لوقا و في سفر أعمال الرسل)
3 ـ فلسفة المسيحيّة

* الكتاب الأول : **الرسول بولس**
* الكتاب الثاني : **رسائل بولس**

4 ـ صوفية المسيحيّة

* الكتاب الأول : **في الإنجيل بحسب يوحنا**
* الكتاب الثاني : **في سفر الرؤيا**

5 ـ المسيح في الإنجيل (مخطوطة)
6 ـ « إنجيل » بولس (مخطوطة)
7 ـ سيرة المسيح و سرّه (مخطوطة)
8 ـ دروس إنجيليّة (مخطوطة)
9 ـ الدفاع عن المسيحيّة من تاريخها و تعليمها (مخطوطة)